

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا سلم بن قتيبة عن ابن أبي ذئب عن
المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحرصون على
الإمارة ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة فنعمت المرزعة وبئست الفاطمة" .

حدثني محمد بن زياد الزبّادي قال حدثنا عبد العزيز الداروردي قال حدثنا شريك
عن عطاء بن يسار أن رجلاً قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الإمارة .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلّها" .

حدثني زيد بن أنحزم الطائي قال حدثنا ابن قتيبة^(*) قال حدثنا أبو المنهال عن عبد العزيز
ابن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : آبنته بوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرهم
إلى امرأة" .

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أيوب
يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة فقال : من استعمل
القوم؟ قالوا : علي قريش عبد الله بن مطيع ، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب
فقال : أميران ! هلك والله القوم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما
لوجودهما معا في كتب الأنساب .

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام ابن حسان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الاسلام إلى السلطان الحكم والنبي، والجمعة والجهاد » . وحدثني محمد قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الاسلام والسلطان والناس مثل القسطاط والعمود والأطناب والأوتاد ، فالقسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلح بعضه إلا ببعض » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : « السلطان سُوقٌ فما نَفَقَ عنده أُتِيَ به » . وقرأت في كتاب لابن المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نَفَاقٌ فسيكسد^(١) بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة مُلْكُ دين ومُلْكُ حزم ومُلْكُ هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويُلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى في الإقرار والتسليم . وأما مُلْكُ الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخيظ ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودَّمار دهر .

حدثني يزيد بن عمرو عن عَصْمة بن صُقَيْر الباهلي قال حدثنا اسحق بن مُجَيْش عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله حُرَّاسًا يحرسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان » .

(١) في الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : الملوك .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني سعيد بن سلم الباهلي قال أخبرني شعبة عن شرفي عن عكرمة في قول الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال : «الجلالوزة يحفظون الأمراء» .

[وقال الشاعر^(*)

- ألا ليت شعري هل أبين ليلة * خليًا من اسم الله والبركات
يعني باسم الله، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمر الله .
وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شر المال ما لا يُنفق منه وشر الاخوان
الخاذل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن » .
وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النسر حوله الحيف لامن أشبه الحيفة حوطها
النسور » وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية
خير للرعية من سلطان يخافها » .

- حدثني شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لأبي وائل عن أبي وائل قال ،
قال عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا
كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر » .
وأخبرني أيضا عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه : « ثلاث من القواقر : جار مُقامة إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة
أذاعها ، وأمرأة إن دخلت عليها لستك وإن غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان إن
أحسنتم لم يمدك وإن أسأت قتلك » .

- وقرأت في اليتيمة : « مثل قليل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي
هو سُقيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السفر

(*) زيادة في النسخة الفتوغرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدّر سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج
 له البحار فتشتدّ البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله
 في الأرض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر،
 أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلغوا ذكر خواصّ البلايا التي دخلت على
 خواص الخلق. ومثل الرياح التي يرسلها الله تُشْرِأ بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب
 ويعملها لِقَاحاً للثمرات وأرواحاً للعباد يتنسّمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها
 مياههم وتقدّ بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّت بكثير من الناس في برهم
 وبحرهم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكّون ويتأذى بها
 المتأذّون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخّرها له من قوام
 عبادته وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحاً للحرث
 والنسل ونتاجاً للحب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويحملها] ويخرجها الحر باذن الله
 ويُنضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما
 وسمائهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح. ومن ذلك
 الليل الذي جعله الله سكناً ولباساً وقد يستوحش له أخو القفر وينازع فيه ذو البلية
 والريبة وتعدو فيه السباع وتنساب فيه الهوام ويغتنم أهل السرقة والسلة ولا يُزرى
 صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذم ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على
 ما مَنّ به عليهم منه. ومثل النهار الذي جعله الله ضياءً وتُسُوراً وقد يكون على الناس
 أذى الحَر في قِيظهم وتَصَبُّحهم في الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَب والشُّحُوص
 وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيء
 من سرّاها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نعاماً بغير كدر وميسورها من

(*) في النسخة الفتوغرافية : رواها.

غير معسور كانت الدنيا إذا هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح والى ليس فيها نصب ولا لُغوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

- ٥ وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شيء يجلّ وألباب السّوق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرّسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المشونة ، ومن هناك يعزّ الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان

هو السلطان » . ١٠

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان » .

- ١٥ وروى الهيثم عن ابن عيَّاش عن الشعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تتحدثوني عن أدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبارضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القراية أم بالقراية دون الجماعة أم بهما جميعا ؟ فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القراية فلا أرى القراية أثبت حقا ولا أسست ملكا ، وإن كان بالقراية دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ووارثه وساقى الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف ، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقراية جميعا فان القراية خصلة من خصال الامامة لا تكون الامامة بها وحدها وأتم تدعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها وتقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم

(*)

لثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمر تضيق به الصدور، إذا
سئتم عن أجمع عليه من غيركم قائم حق . فإن كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم
الحق من دعواكم . انظروا: فإن كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم، وإن كانوا أخذوا
حقهم فسلموا إليهم فإنه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس
ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا، ونقول كان ترك الناس أن
يرضوا بنا ويجمعوا علينا حقاً ضيعوه وحظاً حرّموه، وقد اجتمعوا على ذى فضل
لم يخطئ الورد والصدر، ولا ينقص فضل ذى فضل فضل غيره عليه . قال الله
عز وجل ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فاما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعهد منه إلينا قلنا فيه قوله ودأ بتأويله ولو أمرنا أن
نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك
حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضاراً .
اتهمت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود . فاما
القرابة فقد نفعت المشرك وهى للمؤمن أنفع ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أنت عمى وصنو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك أحر الهجرة كما أن
نبوتى أحر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك
بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَاسْتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّ تُبْتُ آلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيًّا ﴾ .

حدثنا الرياشى عن أحمد بن سلام مولى ذؤيف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ
له قال، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر، وقاض
عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار » .

(*) فى الأصل الفتوغرافى : عليها .

وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة ، والمحبة ، والدانة » .

وقرأت في بعض كتب العجم كتاباً لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته :
« من أردشير المؤيد ذي البهاء ملك الملوك ووارث العظماء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة
الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضة ، والحُباب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث
الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا
بفضل رأفتنا إتاقته الموطّفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لانتشعروا
الحقد فيدهمكم العدو ، ولا تحتكروا فيشملكم القحط ، وتزوجوا في القرايين فانه أمسى
للرحم وأثبت للنسب ، ولا تعذبوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها
مع ذلك فان الآخرة لا تتال إلا بها » .

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لياضهم وسوادهم بالغراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعني بذلك الروم والسودان .

(٢) في النسخة الألمانية : المؤيد ، والموبذ كالموبذ أن فقيه الفرس وحاكم المجرس . ٢٠

(٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألاسكندر وفيه : « املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالحبّة منها فإن طلبك ذلك منها بإحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك ، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطّها الى القلوب بالمعروف ، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

وقرأت في كتاب الآيين^(١) أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأخص عن الأعمال لا عن السرائر » . ونحوه قول العجم : « أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها » . وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة [كَرْدًا]^(٢) ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأي والتدبير » .

حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أنو شروان إذا ولى رجلاً امر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أتى بالعهد وقع فيه : سُئِ خيَار الناس بالحبّة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفَلَة الناس بالإخافة » .

قال المدائني : « قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرِّبة خبر؟ قال نعم ، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينما أنا عليه إذ أورد أعرابي إبله فلما شربت ضرب على جنوبها وقال عليك زياداً . فقلت له : ما أردت بهذا؟ قال : هي سُدى ، ما قام لي بها راجع مذ ولى زياد . فسرّ ذلك معاوية وكتب به الى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة ، ولا ين المقنع تأليف بهذا

الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكي باشا

عن هذه الكلمة في كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذي نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

قال عبد الملك بن مروان : « أنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ! ولا تسرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر ! نسأل الله أن يعين كلًّا على كل » .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إني لأجمع أن أخرج للمسلمين امرا من العدل فأخاف أن لا تحمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا ، فان تفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا » .

قال معاوية : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما آتتقطعت . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت اذا مدوها خلتها وإذا خلّوها مددتها » .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كان معاوية كالجمل الطَّبَّ ، إذا سُكت عنه تقدّم وإذا رُدَّ تأخر » . والجمل الطَّبُّ الحاذق بالمشى وهو الذي لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من نخته » .

وأغلظ له رجل فخلم عنه فقيل له : أتخلم عن هذا ؟ فقال : « إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين سلطتنا » .

كان يقال : « لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة » .

(*) في الأصل الفتوغرافي : من .

قال زياد : « أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سمانا ما سمينوا » .

وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : « إني أيقظت رأيي وأتمت هواي ، فأدريت السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في أمره . وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي ، وصرفت السيف الى النّطف المسىء ، والثواب الى المحسن البريء نخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .

وكان يقول لأهل الشام : « [إنما] أنا لكم كالظلم الرائخ عن فراخه : ينفي عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكنّنها من المطر ويحميها من الضباب ويجرسها من الذئاب . يا أهل الشام أتم الجنة والرداء وأتم العدة والحذاء » .

نخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .

وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : « هبة الخاصة مع صدق مودتها وأقياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع » .

وفي كتب العجم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعها من شيء فلتعلم أنه فيها » .

ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب وأستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى ، وأودعت القلوب هبة لم يشبها مقت وودا لم تشبهه جرعة وعممت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : قلوب الرعية خزائن ملكها فما أودعها من شيء فليعلم أنه فيها .

(٣) في الأصل الفتوغرافي : القلوب .

وقرأت في كتاب التاج : قال أبرويز لابنه شيرويه وهو في حبسه : « لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك ، أعطهم عطاء قصداً وأمنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء » . ونحوه قول المنصور في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمع كلبك يتبعك . فقام أبو العباس الطوسي فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفساق وأجعلوهم يدا ورجلا رجلا ، وعد مرضى المسلمين وآشهد جنائزهم وانتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بوادٍ خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن وإنما حنفتها في السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشق الناس من شق الناس به والسلام » .

١٥ هشام بن عروة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت إلينا فقال : لا يبعدن ابن هند ! إن كانت فيه لمخارج لانجدها في أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحرب على برأته بأجراً منه فيتفارق لنا . وإن كنا لخدعه وما أبن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط في الأصل الفتوغرافي هكذا (مريض) ويظهر أنه من عمل النسخ ، وفي الأصل الألماني :

مريض . والتصويب عن أشهر مشاهير الاسلام .

فَيَتَخَادَعُ لَنَا ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَا مُتَعَنَّا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا حَجَرٍ (وأشار إلى أبي قيس)
لَا يُنْخَوِّنُ لَهُ عَقْلٌ وَلَا تَنْتَقِصُ لَهُ قُوَّةٌ ، قُلْنَا : أَوْحَشَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ . قَالَ : وَكَانَ يَصِلُ
بِهَذَا الْحَدِيثِ : كَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الْعُدْرِيُّ

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَتَأْبَاهَا * مَعْنً بِخَطْبَتِهِ مَجْهَرٌ

تُرِيْعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِذَا خَطَلَ النَّثْرُ الْمَهْمَرُ^(١)

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَدُّ سُرَانَ وَسُرَانُ عَمُّ الْأَصْمَعِيِّ
قَالَ : « كَلَّمَ النَّاسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكْلِمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي أَنْ يَلِينَ لَهُمْ
فَإِنَّهُ قَدْ أَخَافَهُمْ حَتَّى لَمَنَ قَدْ أَخَافَ الْأَبْكَارَ فِي خُدُورِهِمْ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَا أَجِدُ
لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، إِنْهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ عِنْدِي لِأَخْذُوا ثَوْبِي عَنْ عَاتِقِي^(٢) » .

قَالَ وَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ : « يَا أَبَا عَقْرٍ حَفْصُ ، اللَّهُ لَكَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ
أَعْقَرْتِ ؟ أَيْ دَهَشْتِ فَقَالَتْ صَلَعْتُ فَرَقَتَكَ^(٣) » .

قَالَ أَشْبَعُ السُّلَمِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُثْمَانَ

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِدَّةٌ * تَغْشَى الْبَرِيءَ بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرَمِ

وَمِنْ الْوَلَاةِ مَقْحَمٌ لَا يُتَّقَى * وَالسَّيْفُ تَقَطَّرَ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ

مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا * بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

(١) فِي التَّاجِ مَادَّةُ هَمْ رَ : وَخَطِيبُ مَهْمَرٍ : مُكْرَرٌ . وَأُورِدَ هَذَا الْبَيْتُ . وَفِي الْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَافِي "مَهْمَرٌ"
وَلَمْ نَجِدْهُ فِي الْقَامُوسِ وَلَا فِي اللَّسَانِ .

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَافِي عَارِيَا عَنِ الضَّبْطِ ، وَضَبَطَ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَقَدْ بَحْثْنَا عَنْهُ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي : مِنْ عَلَى .

(٤) كَذَا بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَافِي وَالْأَلْمَانِي وَلَعَلَّهُ مُحَرَّفٌ عَنْ "عَمْرٍ" وَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تَتَادِيَهُ بِقَوْلِهَا
يَا أَبَا حَفْصِ عَمْرٍ ، فَقَالَتْ مِنْ دَهَشْتَهَا يَا أَبَا عَمْرٍ حَفْصُ كَمَا قَالَتْ فِي آخِرِ الْحِكَايَةِ صَلَعْتُ فَرَقَتَكَ وَكَأَنَّهَا
أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتُ صَلَعَتَكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي هَلَعْتُ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القراء وشر القراء أقربهم من الأمراء » .
كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص الى عمر : « إن مدينة حمص قد تهتدم^(١)
حصنها ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه » فكتب اليه عمر « أما بعد ،
فحصنها بالعدل ، والسلام » .

- ذكر أعرابى أميرا فقال : « كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسيء خائف » .
كان جعفر بن يحيى يقول : « انخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استزير
بمثل الظلم » .

- وفى كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بنى ، إن الملك والدين
أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أش والملك حارس ، وما لم يكن له أس
فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » .
وكان يقال : « مهما كان فى الملك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغى
أن يكون كذابا فانه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يرج أو وعد بشر لم يخف ،
ولا ينبغى أن يكون بخيلا فانه إذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
بالمناصحة [ولا ينبغى أن يكون حديدا فانه اذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية]
ولا ينبغى أن يكون حسودا فانه اذا كان حسودا لم يشرف أحدا ولا يصلح الناس
إلا على أشرافهم ، ولا ينبغى أن يكون جبانا فانه إذا كان جبانا ضاعت نفوره وأجترأ
عليه عدوه » .

٢٠ . (١) فى الأصل الفتوغرافى سورها وكتب فوقها كالتفسير لها : حصنها .
(٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل الفتوغرافى من سهو النسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبتاه، وبكت .
فقال معاوية: « يا أبنة أختي إنا الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم
حلمنا تحت غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان
أنصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكوني بنت عم
أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: « إنا المسلمين ولؤك أمرهم بعد علي
فشمّر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك
وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة فان بعض
ما يكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين، خير
من كثير مما يحبون إذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووهن الدين » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم
قال: « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل
البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فان قالوا نعم،
حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب اليه: أقبل » .

اختيار العمال

رؤى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهدا فيه:
« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده
بالدنيا وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر: اني
استعملت عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمي به، وإن جار وبدل فلا علم

لى بالغيب ، وانخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أىّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وفى التاج أن أبرويز كتب الى ابنه شيرويه من الحبس : « ليكن من تختاره
لولايتك أمراً [كان] فى ضعة فرعته ، أو ذا شرف وجدته مهتظاً فأصطنعته ،
ولا تجعله أمراً أصبته بعقوبة فأتضع عنها ولا أمراً أطاعك بعد ما أذلتته ولا أحدا
ممن يقع فى خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضرراً
عُمراً كثر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه فى غيره ، ولا كبيراً مُدبراً قد أخذ الدهر من عقله
كما أخذت السن من جسمه » .

وقال لقيط فى هذا المعنى

١٠ قتلّوا أمركم لله دركم * رجب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مُترفاً إن رخاء العيش ساعده * ولا إذا عضّ مكروه به خشعا^(٣)
ما زال يحلب درّ الدهر أشطره * يكون متبعا يوماً ومتبعا
حتى آسمرت على شزير مريته * مستحكم السن لا نخا ولا ضرعا^(٤)

ويقال فى مثل : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » ومن أمثال العرب أيضاً
فى المجرب « العوان لا تعلم الحجرة » .

١٥

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : خير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضعا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى "غفا" وكتب تحته كالتفسير له "كيرا"

والصواب "غفا" ومعناه كبير السن جداً ونظيره من شعر العرب قوله

له حكّات الدهر من غير كبرة * تشين فلا فان ولا تخرع عُمر

٢٠

قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهتمني . قالوا : كيف تزيده؟ قال : « إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيع بن زياد [الحارثي] . قال : صدقتم ، هو لها .

٥ وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال ، قال المجاج : دلوني على رجل للشرط فقيل : أي الرجال تريد؟ فقال : « أريده دائم العُوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يخفق في الحق على جرة يهون عليه سبّ الأشراف في الشفاعة » فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التيمي . فأرسل إليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك ولدك وحاشيتك . قال : يا غلام ، ناد في الناس : من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله ، كان لا يحبس إلا في دين ، وكان إذا أتى برجل قد نقب على قوم وضع متقبته في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أتى بنباش حفر له قبرا فدفنه فيه ، وإذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ، ضربه ثلثائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم إليه المجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو تحريف والصواب لا يئحق في الحق على جرة ، يقال ما يئحق

فلان على جرة وما يكظم على جرة إذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضي الله عنه :

« لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يئحق على جرة » ٥١ . انظر اللسان في مادة حق .

وقرأت في كتاب أبرويزالى أبنيه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة :
 إما رجلاً يظهر زهداً في المال ويدعى ورعاً في الدين فإن كان كذلك عدل
 على الضعيف وأنصف من الشريف ووفر الخراج وأجتهد في العارة، فإن هو لم يرع
 ولم يعف إبقاء على دينه ونظراً لأمانته كان حرياً أن يخون قليلاً ويوفر كثيراً استسراً
 بالرياء واكتتاما بالخيانة ، فإن ظهرت على ذلك منه عاقبته على ما خان ولم تحمده على
 ما وفر، وإن هو جالغ في الخيانة وبارز بالرياء نكلت به في العذاب واستنظفت ماله
 مع الحبس . أو رجلاً عالماً بالخراج غنياً في المال مأموناً في العقل فيدعوه علمه
 بالخراج الى الاقتصاد في الحلب والعيارة للأرضين والرفق بالرية، ويدعوه غناه الى العفة
 ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلاً عالماً بالخراج مأموناً
 بالأمانة مقتراً من المال فتوسع عليه في الرزق فيغتم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته
 اليسير، ويؤجى بعلمه الخراج، ويعف بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك
 بأهل العُدْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن
 قصّروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

قال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلّني على قوم من القراء أولهم . فقال له :
 القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا،
 فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل
 البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فوهم .

أحضر الرشيد رجلاً ليوليّه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه .
 قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثير صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من نتفقه به . فولي فما وجدوا فيه مطعنا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر الخزاز قال قال لي إياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأتيته فساكتني فسكت ، فلما أطلت قال : إيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئاً ؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إني أريد أن أستعين بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا عتي . قال : أما الدمامة فاني لا أريد أن أحاسن بك الناس ، وأما العتي فاني أراك تعبر عن نفسك ، وأما سوء الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني [وأعطاني (*)] ألفي درهم فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه مخافة ضره ، فعَل الذي تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه » .

حدثني المعلي بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلاً فقد تضمن عيبه » .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلقونه

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : « يا بُنَيَّ إني أرى أمير المؤمنين يستخلك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني أوصيك بخلال أربع : لا تفشين له سرا ، ولا يجرن عليك كذبا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا تطو عنه نصيحة » قال الشعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إني والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزده » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم أصفح صفحا جميلا ، ولا يرين منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغي لمن خدم السلطان ألا يغتر بهم إذا رضوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستقل ما حملوه ولا يلحف في مسئلتهم » .

وقرأت في كتاب للهند : « صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيط وأطراح للأنفه ،

وصل إلى حاجته » .

وقرأت فيه : «السلطان لا يتوحنى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه» .

وكانت العرب تقول : «إذا لم تكن من قُرْبَانِ الأمير فكُنْ من بُعْدَانِهِ» .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكوننَّ صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافظا إذا وَلَّوكَ ، حَذِرا إذا قَرَّبوكَ ، آمينا إذا أَمَّنوكَ ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صَرَّموكَ ، راضيا إن أَسْخَطوكَ ، وإلا فالبعد منهم كُلُّ البعد والحذر منهم كُلُّ الحذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يَحْدُمُ^(٢) السلطان بحقه يَحُلْ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة » .

وقال : «إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام المَلَق ولا تكثرنَّ له في الدعاء إلا أن تكلمه على رءوس الناس ولا يكوننَّ طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئنهُ إن أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنت تعتدُّ عليه ببلاء . وإن استطعت ألا يَنسَى حقَّك وبلاءك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجد موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرك فلا تكن المحيب . وأعلم أن استلابك للكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) في الادب الكبير: ضاموك، وفي نسخة منه ظلموك . (٢) في الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٢) في الادب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأصل الفتوغرافي : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

- وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه لمجالسته ومحدثه : « كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا أعجبك الكلام فاضمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن] لا تساعدني على ما يقبح بي ولا تردّد على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودّع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلمني بقدر ما استنطقتك واجعل بدل التقرّيط لى حسن الاستماع مني . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتني أتحدّث فأرني فهمك في طرفك وتوقّفك ولا تجهّد نفسك في نظرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تُظهر من استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا ممن يستكّد الملوك بالباطل فيدلّ على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلّ المعجب بما تسمع منه وقد أحلّته محلّ من لا يسمع منه ؟ وأقل من هذا يُحيط إحسانك ويُسقط حقّ حرمة إن كانت لك . إني جعلتك مؤدّبا بعد أن كنت معلّما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدًا . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه إلا حَقك .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

قال الفضل بن الربيع : « مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات التواكي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، قل : أصبح الله الأمير بالكرامة . وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، قل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثنَّ عليه عند أحد ، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسارّ في مجلس السلطان أحدا ولا تومئ اليه بجفك وعينك فإن السرار يخيل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغ إلى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى لملك الهند ثياب وحلّى فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة إليه كالمستشارة له فغمزها باللباس تفضيلاً بعينه ، ولحظه الملك ، فاخترت الحلية لثلاث يقطن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لثلاث تقرر تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقه وصار اللباس للآخرى [فلمّا حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شيبّة : « ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالي » والإعتاب الجوع عن الاساءة .

(٢) في الأدب الكبير : عه . (٣) زيادة عن الأصل القوتوغرافي .

التفت لم تستقبله الشمس ، وإن ساريين يديه أن يحيد عن سنن الريح التي تؤدى
الغباب الى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن آبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس
فأخذوا في الثناء فعليك بالدعاء » .

- (١)
قال ثُمَامَة : كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوما في بستان موسى
والشمس عن يساريحي والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحادثان
حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى : كانت الشمس
عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا
إلى حيث كنت . فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أفيك هؤل المطمع
بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُدّ من أن تأخذ الشمس منى مثل
ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .
وقال المأمون : « أول العدل أن يعدل الرجل على بطّانته ثم على الذين يلوّنهم حتى
يلغى العدل الطبقة السفلى .

- المدائنى قال ، قال الأحنف : « لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من
أشرف للسلطان أذراه ومن تضرع له أخطاه » .
١٥

(٢)
حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومى [قال حدثنا زهير بن معاوية]
عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال ، قال حذيفة بن اليمان : « ما مشى قوم قط الى
سلطان الله فى الأرض ليذّبوا إلا أذلم الله قبل أن يموتوا » .

- (١) كذا بالأصل ، وفى العقد الفريد : مؤنسة بنت المهدي .
(٢) هكذا فى الألمانية ، وفى الفتوغرافية أخطاه . وفى العقد الفريد : ومن طامن له تخطاه ،
٢٠ قال : شبهوا السلطان بالريح الشديدة التى لا تضرب ما لان وتمايل معها من الشجر والخشيش ، وما استهدف
لها قصمته . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنت أقرب الناس منه فتنفّس ثم قال : يا خالد، لربّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى الى حديثنا منك . فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدًا أدلّ فأملّ وأؤجف فأعجف ولم يدع لراجع مرجعا، على أنه ما سألنى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى . فقال : هيهات إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكن ^(١) * إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث ، وبعبضه نهيك : اعتل يحيى بن خالد فبعث الى منكه الهندى فقال له : ما ترى فى هذه العلة؟ فقال منكه : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفئنا ^(٢) . فقال له يحيى : ربما ثقل على السمع خطرة الحق به ، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منكه : صدقت ولكنى أرى فى الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم فى المعرفة وقد نهيت، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأمر منصرف الى العواقب وما حتم لابد من أن يقع ، والمنعة بمسألة الأيام نهزة فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منكه : هى الصفراء ما زجتها مائئة من البلغم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم فى النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفى تقريب التهذيب لابن حجر : « نهيك » بوزن عظيم ابن يريم . وفى تحفة ذكرى الأرب فى مشكل الاسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : « نهيك » ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفى النسخة الفتوغرافية : « متعبا » وفى النسخة الألمانية : « متعينا » وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية : « المتمة » وفى الألمانية : « المنفعة » وكلاهما محرف .

- ما يحدث للهب عند مماسه رطوبة المادة من الاشتعال نخذ ماء رُمَانين ^(١) فدقهما بإهليلجة سوداء ^(٢) تنهضك مجلسا ^(٣) [أو مجلسين] وتسكن ذلك التوقد الذي تجد إن شاء الله .
- فلما كان من حديثهم الذي كان ، تلطف منك حتى دخل على يحيى فى المجلس فوجده جالسا على لُبْد ووجد الفضل بين يديه يَمَهُنُ أى يخدم فاستعبر منك وقال : قد كنت ناديت لو أشرت ^(٤) الإجابة . قال له يحيى : أترك علمت من ذلك شيئا جهلته ؟ كلا .
- ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزايلة القدر الخطير عبئا قلما تنهض به الهمة . وبعد فقد كانت نعم أرجو أن يكون أولها شكرا وآخرها أجرا . فما تقول فى هذا الداء ؟ قال له منك : ما أرى له دواء أنجع من الصبر ، ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيى : قد شكرت لك ما ذكرت فان أمكنك تعهدنا فافعل . قال منك : لو أمكننى تخليف
- الروح عندك ما بخلت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل
- كان يحيى يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها .

- وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه عن فقدهم منهم مثل البغى والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر » .
- والعرب تقول : « السلطان ذو عدوانٍ وذو بدوانٍ وذو تُدرأٍ » يريدون أنه سريع الانصراف كثير البدوات هجوم على الأمور .

- (١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد : نخذ ماء الرمان فدق فيه إهليلجة الخ .
- (٢) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية هكذا "تنفضك" . وفى الألمانية : "تنفضك" وكلام آخر يف .
- (٣) الزيادة عن العقد الفريد .
- (٤) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل
- (٥) فى العقد الفريد "أسرعت" وفى الأصلين الفتوغرافى والألمانية هكذا "أعرب" ونقل فى هامش النسخة الألمانية أ "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فترع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . فجاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . فالبسته إياها ففقد ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يَقْطِينُ بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعَلَهَا ابنُ سلامةَ الفاعلة؟ لا يَكُنِّي . فقال يَقْطِينُ : عَجَلْتَ أيها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسأَلُهَا اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يَقْطِينُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرِفَةَ رِذْوَنِهِ ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغْنِي المعرفة إذا لم يُقَدَّر على دفع المحتوم . ثم قال : جازة ذيلها ، تدعوا يا ويلها ، بدجلة أو حولها ، كأننا بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كن في صدري شفى الله منها : كتاب أبي مسلم إلى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية؟ . وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط . »

قال المنصور لسلم ابن قتيبة : ما ترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سلم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أُمِيَّة .

قال أبو دَلَامَة ١٥

أبا مُجْرَمٍ ما غيّر الله نعمة * على عبده حتى يُغيّرَها العبد
أفي دولة المهدى حاولت غدره * ألا إن أهل الغدر آباؤك الكُرد
أبا مجرم خوفني القتل فاتحى * عليك بما خوفني الأسد الورد

قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتججت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بي ، فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تتفنى في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ . »

حُرِّمَتِي بَعْدَ وَفَاتِي» قَقَالَ عِبْدُ الْحَمِيدِ: إِنْ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْفَعُ الْأَمْرَيْنِ لَكَ وَأَقْبَحُهُمَا
بِي وَمَا عِنْدِي إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ أَوْ أَقْتُلَ مَعَكَ . وَقَالَ
أَسِرُّ وَفَاءً ثُمَّ أَظْهَرَ غَدْرَهُ * فَمَنْ لِي بِعَذْرِ يُوسَعُ النَّاسَ ظَاهِرُهُ

المشاوره والرأى

- حَدَّثَنَا الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُ حَتَّى الْمَرْأَةَ فَتَشِيرُ عَلَيْهِ بِالشَّيْءِ فَيَأْخُذُ بِهِ» .
- وَقَرَأْتُ فِي التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
« لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا خَالِيًا بِهِ ، فَإِنَّهُ أَمُوتَ لِلسَّرِّ وَأَحْزَمَ لِلرَّأْيِ
وَأَجْدَرَ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضُ ، فَإِنْ إِفْشَاءَ السَّرِّ إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ
أَوْثَقَ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ ، وَإِفْشَاءَهُ إِلَى ثَلَاثٍ كإِفْشَائِهِ إِلَى الْعَامَةِ لِأَنَّ الْوَاحِدَ رَهْنٌ
بِمَا أَفْشَى إِلَيْهِ وَالثَّانِي يُطْلِقُ عَنْهُ ذَلِكَ الرَّهْنِ وَالثَّلَاثُ عِلَاوَةٌ فِيهِ ، وَإِذَا كَانَ سِرُّ الرَّجُلِ
عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى أَلَّا يُظْهَرَهُ رَهْبَةً مِنْهُ وَرَغْبَةً إِلَيْهِ ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ
دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِيضُ ، فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ أَتَمَّهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِجُنَايَةٍ مُجْرَمٌ ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا كَانَ الْعَفْوُ عَنْ
أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ » .

١٥

- وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ أَنَّ مُلْكًَا اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ لَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : « الْمَلِكُ
الْحَازِمُ يَزْدَادُ بَرَأً إِلَى الْوُزَرَءِ الْحَزَمَةِ كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَيُنَالُ بِالْحَزْمِ
وَالرَّأْيِ مَا لَا يَنَالُهُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنُودِ ، وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ الرَّهْطُ فِيهِ ، وَمِنْهَا
مَا يَسْتَعَانُ فِيهِ بِقَوْمٍ ، وَمِنْهَا مَا يَسْتَعْنِي فِيهِ بِوَاحِدٍ . وَفِي تَحْصِينِ السَّرِّ الظَّفَرُ بِالْحَاجَةِ
وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْخُلَلِ . وَالْمُسْتَشِيرُ وَإِنْ كَانَ أَفْضَلُ رَأْيًا مِنَ الْمَشِيرِ ، فَإِنَّهُ يَزْدَادُ بَرَأً بِهِ » .

٢٠

(*) فِي النُّسخَةِ الْفُتُوغَرِافِيَّةِ : إِلَّا الصَّبْرَ مَعَكَ .

رأيا كما تزداد النار بالسليط ضروء . وإذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من ان يُعرف ما في نفسه متخيلا للوزراء مهيبا في أنفُس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المُريب مقَدرا لما يُفيد وينفق، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به .

قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : « لم يزل حَزْمَةُ الرجال يَسْتَحْلُونَ مرارة قول النصحاء وَيَسْتَهْدُونَ العيوب وَيَسْتَتِيرُونَ صواب الرأي من كُلِّ حَتَّى الأُمّةِ الوُكُلاء ، ومن احتاج الى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته وتقائه طويته فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطراب إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادة الحال » .

وفي فصل آخر : « وقد تحملتُ في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأى ولم أَسْتَشِرْ وأُحِلَّت نفسى محل الخواص ولم أُحَلَّ ونزعتُ بى النفس ، حين جاشت وضائق بما تسمع ، عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوك منبسطا بما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك ، ورأيت وليك معكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب الأقاويل في أمرك ، ولا شئ أضرَّ على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم . وبما يُجْريه الله على ألسنتهم تسير الركان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب ، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفي فصل منه : « وسائسُ الناس ومديرُ أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنوع مما

(*) في الأصل الفتوغرافى : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يعذرون بالعدر الواضح فكيف بالعدر المتيسر ، وأخوك من صدقك وأرتضى لك لا من تابعتك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك» .

قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإحراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخره يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك » .

وكتب بعض الكتاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاش لك الحاطب عليك من مد لك في الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم وجرى معك في عثانك متقادا لهواك » .

وفي فصل : « إني وإن كنت ظنينا عندك في هذه الحال ففي تدبرك صفحات هذه

المشورة ما ذلك على أن مخرجها عن صدق وإخلاص » .

١٥ إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله ابن عمرو في أخيه أبي بكر أن يولي القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث الى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت علي به ثم أسمعك تنهأ ! قال : أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحتته .

كان نصر ابن مالك على شرط أبي مسلم ، فلما جاءه إذن أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار إليه : استشارك أبو مسلم في القدوم على فنيته؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الامام يحدث عن أبيه محمد بن عليّ قال « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضغنا فاستشيرته ، فيثيرني منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعي شتما وأوسع حيلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيني وأستجده فيجديني » .

وقرأت في كتاب إبرويز^(١) إلى ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينضج لك الكي ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكن ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها ، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أحمدت اجتنيت وإن ذممت نفيت ، فان في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيت معتليا لما رأيت قليت ، وإن رأيت متضعا عنه استغنيت ، ومنها أنه يجتد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويحض لك مودته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر » .

(١) نقل بهامش النسخة الألمانية عن نسخة "فيثور" الخ .

(٢) في الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسخة الألمانية والقتوغرافية . والمناسب لما قبله "أذمت" يقال أذمته أي وجدته ذميا .

وفي آداب ابن المقفع : « لا يُقدفن في رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك ، فيقطعك ذاك عن المشاورة ، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسن الذكر عند الألباء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : «الرأى الفرد كالخيط السَّحِيل ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مِرَارٌ لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع رأى سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ * ما أتر الحزم رأى قَدَمَ الحذرَا

كتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب اليه المهلب : « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسبي يوم عقدت له الخوارج : تكلم . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيبي . وقال أيضا : خمير الرأى خير من فطيره ، ورُبَّ شئ غابهُ خير من طريّه ، وتأخيرهِ خير من تقديمه . وقيل لآخر : تكلم . فقال : ما أشتى الخبز إلا بائنا .

كان ابن هبيرة يقول : « اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشير ، ومن لا يلتمس خالص مودتك إلا بالتأني لموافقة شهوتك ، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك » . وكان يقال : « من أعطى أربعا لم يُمنع أربعا : من أعطى الشكر لم يُمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يُمنع القبول ، ومن أعطى المشورة لم يُمنع الصواب ، ومن أعطى الاستشارة لم يُمنع الخيرة » . وكان يقال : لا تستشر معالما ولا راعى الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخلف « ولا لحاقب » وهو الذى يجد رزّا فى بطنه . وقالوا أيضا : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مرّازبته فقصّروا فى الرأى دعا الموكّلين بأرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : تخطئ مرّازبتك وتعاقبنا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إن النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكّة فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم .
قال الشاعر

وأفنع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فأبصر بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه * غريب ولا ذوالرأى والصدروا غر

١٠

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم
وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن * تؤوما فان الحزم ليس بنائم
وأدن من القربى المقرب نفسه * ولا تُشهد الشورى أمرا غير كاتم
وما خير كف أمسك الغلّ أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقاءم
فانك لن تستطرد الهم بالمنى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

١٥

قال أعرابي : ما عُيْنْتُ قط حتى يُغَبَّن قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال :
لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بني عبس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توان » .

وقال القطامي في معصية الناصح

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استمجا
وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا
كذاك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرّ غاويهم سراحا
تراهم يغمزون من آسروا * ويحتنبون من صدق المصاعا

وقال آخر، أنشدنيہ الرياشي

ومولّى عصاني وأستبدّ برأيه * كما لم يُطع بالبقين قصير
فلما رأى أن غبّ أمرى وأمره * وولّت بأعجاز الأمور صدور
تمنى بثيسا أن يكون أطاعني * وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال سبيع لأهل اليمامة « يا بني حنيفة بعدا كما بعدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، وأصبحتم وفي أيديكم من تكذبي التصديق ومن تهمتي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلّكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود وما بقي غير مأمون. وإني لما رأيتم تهتمون النصيح وتسفّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرّة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وهنّ الموغوظ وكنتم كأنما يُعنى بما أتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذي

يخلط حلوكلامه بمرّه وحزّه بسهله ويحزك الاشفاق منه ما هو ساكن من غيره ،

وقد وَعَيْتُ النصيح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكُّ في مودته وصافي غيبه ، وما زلت بحمد الله الى كل خير طريقا منها ومهيأ واضحا .

وكتب عثمان الى عليّ حين أحيط به : «أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي وبلغ الحزام الطيبين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فان كنت ما كولا فكن خيرا كل * وإلا فأدركني ولما أمزق»

وقال أوس بن حجر

وقد أعتب ابن العم إن كنت ظالما * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا

وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيرني * يجذني ابن عمي مخطئ الأمر مزيلا

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها * وأحر إذا حالت بأن أتحولا

وأستبدل الأمر القوي بغيره * إذا عقّد مأفون الرجال تحللا

وكان يقال : «أناة في عواقبها درك، خير من معاجلة في عواقبها فوت» .

وأنشدني الراشي

وعاجز الرأي مضيا لفرسته * حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وكان يقال : «روّ بحزم فاذا استوضحت فاعزم» .

الاصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا تأس بخير من لم يبرأيه ما لم يربعيه » . وسئل

بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان» .

وكان يقال : «كفى تحيرا عما مضى ما بقى ، وكفى عبرا لأولى الأبواب ما جربوا» . وكان

يقال : «كل شيء محتاج الى العقل ، والعقل محتاج الى التجارب» . ويقال : «من لم

ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حجر

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع

وقال آخر

وأبغى صوابَ الظنِّ أعلم أنه * إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مقاديرُهُ
وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس : «إنه لينظر إلى
الغيب من ستر رقيق» . ويقال : «ظنُّ الرجل قطعةً من عقله» . ويقال : «الظنون
مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتاب
أصونك أن أظنَّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكمي

مثلُ التدبر في الأمر آتئنا فكمه * والمرء يعجز في الأقوام لا الحيل^(١)

وقال آخر

وكنْتَ متى تُهزَز لخطب تُغشَّه * ضرائبُ أمضى من رفاق المضارب
تجلَّته بالرأى حتى أريتَه * به ملء عيذه مكان العواقب

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الرأي ما هو واقع

وقال آخر في مثله

عالِم بأعقاب الأمور برأيه * كان له في اليوم عينا على الغد

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال جثامة بن قيس يهجو قوما^(٢)

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجااء الرشد أم غابا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله محرف عن الاقدام .

(٢) في النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا ترون وقد ولّين أذنا
وقبلاً يفجأ المكروه صاحبه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا
وقال آخر (*)

فلا يحذرون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبراً

ويقال : « ظن العاقل كهانة » . وفي كتاب للهند : « الناس حازمان وعاجز ، فاحد
الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم
منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردد وتثن حائر بائر
لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا » .

وقال الشاعر

وإني لأرجو الله حتى كائن * أرى بجمل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغير مرة من فعل غير * وغير مرة من فعال مؤق
فلا تفرح بأمر قد تدق * ولا تأيس من الأمر السحيق
فان القرب يبعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق
ومن لم يتق الضحضاح زلت * به قدماء في البحر العميق
وما أكتسب المحامد طاليوها * بمثل البشر والوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم لحبيش بن دبلجة : أظنك أحق . قال : « أحق ما يكون
الشيخ إذا عمل بظنه » . ونقش رجل على خاتمه : « الخاتم خير من الظن » . ومثله :
« طينة خير من ظنة » .

(*) في النسخة الفتوغرافية وقال جثامة بن قيس . والبيت لجرير كما في اللسان .

أتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يغلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقراً (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره

إذا أنت لم تعص الهوى قaddock الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال
وقل بزرجمهر : « إذا آستبه عليك أمران فلم تدبر في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه » .

كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو امرأته فوقعت في نفس عمارة فدفع عمرا في البحر فتعلق بالسفينة وخرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعمارة إلى النجاشي وأخبره أنه يحالف إلى بعض نسائه فدعا النجاشي بالسواحر فنفتخن في إحليله فهام مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك تعلم عمارة أن من شر شيمة * لئلك أن يدعى ابن عم له أنبا وإن كنت ذا بردين أحوى مرَجَلاً * فلست براء لابن عمك محرماً إذا المرء لم يترك طعاماً يحبّه * ولم يعص قلباً غاوريا حيث يَمُما قضى وطراً منه يسيرا وأصبحت * إذا ذُكرت أمثالُه تملأ الفها وقال حاتم طي في مثله

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤله * وفرجك نالا مُنتهى الذم أجمعا

وقال آخر

جارَ الجنيّد على مُحْتِكَمَا * جهلا ولست بموضع الظلم
أكل الهوى مُججى وربّ هوى * مما سيأكل حجة الخضم

قال اعرابي : « الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب

وَأَجْتَنِبُ الْمَقَادِعَ حَيْثُ كَانَتْ * وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لِمَا خَشِيتُ

وقال البريق الهذلي

أَيْنَ لِي مَا تَرَى وَالْمَرْءُ تَأْتِي * عَزِيْمَتُهُ وَيَغْلِبُهُ هَوَاهُ

فَيَعْمَى مَا يُرَى فِيهِ عَلَيْهِ * وَيَحْسَبُ مَا يَرَاهُ لَا يَرَاهُ

وكان يقال : « أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك » .

السِّرُّ وكتمانه وإعلانه

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحُصَيْب قال حدثني أوس بن عبد الله بن بُريدة عن أخيه سهل عن بُريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » . وكانت الحكماء تقول : « سِرُّك من دمك » . والعرب تقول : « من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمِّه الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال : دخل ابن أبي محجن الثقفي على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول إذا مُتُّ فادفني إلى أصل كَرَمَةٍ * تُرَوَّى عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا ولا تدفني في القلعة فاني * أخاف وراء الموت أن لأذوقها

فقال ابن أبي محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية : وما ذاك؟ قال قوله

لَأَسْأَلِيَ الْقَوْمَ مَا مَالِي وَمَا حَسْبِي * وَسَأَلِيَ الْقَوْمَ مَا حَزَمِي وَمَا خُلِقِي

الْقَوْمُ أَعْلَمُ أُنَى مِنْ سَرَائِهِمْ * إِذَا تَطْيِشُ يَدُ الرَّعْدِ يَدَةُ الْفَرْقِ

أَعْطَى السَّنَانَ غَدَاةَ الرُّوعِ حِصَّتَهُ * وَعَامَلَ الرِّيحَ أَرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ

قَدْ أَرَكَبَ الْهَوَلَ مَسْدُولًا عَسَا كُرِهَ * وَأَكْتَمَ السَّرْفِيهِ ضَرْبَةَ الْعَنْقِ

وَأُنْشِدْنِي لِلصَّلَاتَانِ الْعَبْدِي

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ * وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ

وَكَانَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ

وَلَا تُبْقِشِ سِرُّكَ إِلَّا إِلَيْكَ * فَانْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُرُوءَةَ الرَّجَا * لِئَلَّا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وقال الشاعر

وَمُرَاقِبَيْنِ تَكَاتَمَا بِهَوَاهِمَا * جَعَلَا الْقُلُوبَ لِمَا تُنْجِي قُبُورًا

يَتَلَحُّظَانِ تَلَاخُظًا فَكَاتَمَا * يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْخَفُونِ سُطُورًا

وقال مسكين الدارمي

أَوَانِحِي رِجَالًا لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ * عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا

يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسِرَّهُمْ * إِلَى صَخْرَةِ أَعْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعُهَا

وقال (*)

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا أَشْتَمَلْتُ * مِنِّي الضُّلُوعُ مِنَ الْأَمْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّاهُ * إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

أُسْرُجِلُ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ حَدِيثًا فَلَمَّا اسْتَقْصَاهُ قَالَ لَهُ : أَفَهِمْتُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ نَسِيتُ . ١٥

قِيلَ لِأَعْرَابِي : كَيْفَ كِتْمَانُكَ لِلسَّرِّ ؟ قَالَ : « مَا قَلْبِي لَهُ إِلَّا قَبْرٌ » . وَقِيلَ لِمُزَبَدٍ :

أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ حَضَنِكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَحْمَقُ لِمَ خَبَأْتَهُ . وقال الشاعر

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ * فَأَفْشَيْتَهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي * وَسَرَى عَنْدهُ فَأَنَا الظَّلُومُ

وَلَمَّا حِينَ أُسَامُ حَمَلَ سَرِي * وَقَدْ ضَمِنَتْهُ صَدْرِي سَوْمُومُ ٢٠

(*) . فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : وَقَالَ آخَرُ . عَلَى أَنَا لَمْ نَعْرِ عَلَى هَذَا الشَّعْرَ لِمُسْكِينِ الدَّارِمِيِّ .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر؟ قال : «أجمد الخبز وأحاف للمستخبر». وكان يقال : «من وهى الأمر إعلانه قبل إحكامه». وقال الشاعر
إذا أنت حملت الخؤون أمانة * فانك قد أسندتها شتر مُسند

وقال عمرو بن العاص : «ما استودعت رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته، لأنى كنت أضيق صدرا حين استودعته». وقال

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس أفشى وأضيع
وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه».

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرالى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يسطه لغيرك، أفلا أحدثك به؟ قال : لا يا بني «إنه من كتم سره كان الخیار له، ومن أفشاه كان الخیار عليه، فلا تكون مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت : وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال : لا، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السر. فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتقك أخى من رق الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صنونا أسراركم فانه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكيدة تُحاول أو متزلة تُراول أو سريرة مدخولة تُكتم، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شيء منها عنه». وكان يقال : «ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك».

وقال جميل بن معمر

أموت وألقى الله يابتن لم أئج * بسرّك والمستخبرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة الخزومى

ولما تلاقينا عرفنا الذى بها * كمثل الذى بي حدوك النعل بالنعل

فَقَالَتْ وَأَرَخْتُ جَانِبَ السَّيْرِ إِنَّمَا * مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهْمٍ مِنْ تَرْقُبٍ * وَلَكِنْ سَرَى لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ يَحْمِلُهُ أَحَدٌ مِثْلِي فِي صِيَانَتِهِ وَسَتَرِهِ، أَيْ فَلَا أُبْدِيهِ لِأَحَدٍ . وَقَالَ زَهِيرُ
السَّيْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِيتَرِ

وَقَالَ آخَرُ

فَسِرِّي كَمَا عَلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي * وَظُلْمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا
وَقَالَ آخَرُ لَاخُ لَهْ وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ : اجْعَلْ هَذَا فِي وَعَاءٍ غَيْرِ سَرَبٍ . وَالسَّرَبُ السَّائِلُ .
وَكَانَ يَقَالُ : «لِلْقَائِلِ عَلَى السَّامِعِ جَمْعُ الْبَالِ وَالْكُتْمَانِ وَبَسْطُ الْعَذْرِ» . وَكَانَ يَقَالُ :
«الرَّعَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْتِرْعَاءِ» .

١٠ أُنِيَ رَجُلٌ عُيِّدَ اللَّهُ بْنُ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ السَّلُولِيَّ سَبَّهُ . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا بَنَ هَمَّامٍ إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ ابْنُ هَمَّامٍ
فَأَنْتَ أَمَرْتُمْ إِيَّامَا ائْتَمْتُكَ خَالِيَا * نَفُتْنَا، وَإِيَّامَا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمَ
وَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ * لَفِي مَنْزِلٍ بَيْنَ الْحَيَانَةِ وَالْإِثْمِ

وَقَالَ آخَرُ

١٥ اخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِذِلٍّ * وَالتَفِثْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ

وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُنْمِثْهَا * وَلَا أَدْعِ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
وَإِنْ قَلِيلَ الْعَقْلِ مِنْ بَاتٍ لَيْلَهُ * تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ

وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ

٢٠ لَا تَأْمَنْ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ * غَيْرِي وَغَيْرَكَ أَوْطَى الْقَرَّاطِيسِ
أَوْ طَائِرٍ سَاحِلِيهِ وَأَنْعَمْتَهُ * مَا زَالَ صَاحِبُ تَنْقِيرٍ وَتَأْسِيسِ

سُودِ بَرَاثَتُهُ مِيلَ ذَوَائِبُهُ * صُفْرِ حَمَالِقِهِ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسٍ
 قَدْ كَانَ هَمُّ سَلِيمَانَ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سَعَايَتُهُ يَوْمًا يَلْقَيْسُ

وقال أيضا

أَفْضَى إِلَيْكَ بِسَرِّهِ قَلَمٌ * لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بَكِي قَلَمُهُ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْكَتَابِ يَأْتِيكَ فِيهِ السَّرُّ
 الْحَزْمُ تَحْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ * وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
 إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ * فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسٍ

وقال آخر

سَأَكْتُمُهُ سَرِّي وَأَحْفَظُ سَرَّهُ * وَلَا غَرَّانِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
 حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُشِيعُهُ * وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْكَتَابُ وَالْكِتَابَةُ

(١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ عَنْ وَهَبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ
 عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ تَعْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ أَشْرَاطُ
 السَّاعَةِ أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ وَتَفْشُو التِّجَارُ" قَالَ عَمْرُو : إِنْ كُنَّا لَنَتَمَسَّسُ
 فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَاتِبَ ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ : حَتَّى أَسْتَأْمِنَ تاجرَ بَنِي فَلَانٍ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ عَنْ عَنَسَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَانَ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُمْلِي فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ "ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أَذْنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْمُلَمَّى بِهِ".

(١) كَذَا بِالْفَتْوَاغَرَفَةِ . وَفِي الْأَمَانِيَةِ «عُبَيْدُ اللَّهِ» وَلَعَلَّهُ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ بَنِي دِينَارِ الْعُبَيْدِيِّ رَاوَى الْحَدِيثَ

كثِيرًا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ . (٢) الْحَوَاءُ : مُجْتَمِعُ بَيْوتِ الْحَيِّ إِذَا تَدَانَتْ .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النبي عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: أدع لي كاتبك ليقرأ لنا صُحُفا جاءت من الشام . فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد . قال عمر: أيه جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني . قال: فرقع يده فضرب نخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك! قاتلك الله! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا اتخذت رجلاً حنيفياً! فقال أبو موسى: له دينه ولي كتابته . فقال عمر: «لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زنباع عن أبي الدهقان قال: ذكر لعمر ابن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانياً، فقيل له: لو اتخذته كاتباً . فقال «لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين» .

حدثني أبو حاتم قال: مرَّ^(*) ابن مَرَّة من أهل الأنبار وهو الذي وضع كتابة العربية، ومن الأنبار انتشرت في الناس .

(*) هكذا في النسخة الفتوغرافية واللمانية . والذي في القاموس: ومرامر بن مرة بضمهما أول من

وضع الخط العربي . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال: قال

ابن بري: الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائني أنه مرامر بن مَرَّة .

حدثني أبو سهل عن الطنّافسي عن المنكدر بن محمد عن أبيه محمد بن المنكدر قال جاء الزبير بن العوام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت ؟ جعلني الله فداك ! قال " ما تركت أعرايتك بعد " .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجليستك ، فإن الغائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسّم يعرفك بحاجبك ، والداخلُ عليك يعرفك بجليستك » .

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب إليه : « إنه ليُخَيَّلُ إلى أني لو كتبتُ إليك أن تُعطي رجلاً شاة لكتبتَ إلى : أضأن أم ماعز ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فاذا أتاك كتابي هذا فلا تُراجعي في مظلمة » .

وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة يأمره بهدم دُورٍ من خرج مع إبراهيم وعقر نخلمهم . فكتب إليه : بأي ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدور ؟ فكتب إليه أبو جعفر . « أما بعد ، فاني لو أمرتك بافساد ثمرهم لكتبتَ إلى تستأذن في أيه تبدأ أبالبرني أم بالشهريز ؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : « لا كاتب على الملك ثلاثة ، رفع الحجاب عنه ، واتّهام الوشاة عليه ، وإفشاء السرّ عليه » .

كانت العجم تقول : « من لم يكن عالماً بأجراء المياه وبحفر فُرض الماء والمسابر وُرِدَم المَهاوى ومجاري الأيام في الزيادة والنقصان واستهلاك القمر وأقاله ووزن الموازين

(١) في الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) في الفتوغرافية فرض المشارب .

وذَرَعَ المثلثَ والمُربَّعَ والمُختلفَ الزوايا ونَصَبَ القناطرَ والجُسُورَ والدُّوَالِي والنواعيرَ على المياه وحال أدوات الصنَّاع ودقائق الحساب كان ناقصاً في حال كتابته .

قال ميمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجةٌ فليكن رسولك اليه الطمع» .
وقال : «إذا آخيت الوزير فلا تخش الأمير» .

وفي كتاب للهند : «إذا كان الوزير يُساوى الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدائني قال : خلا زياد يوماً في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وابنه عبيد الله ، فنفس زياد فقال لعبيد الله : تعهد هذا لا يكتب شيئاً . ونام ، فوجد عبيد الله مساً من البول فكره أن يوقظ أباه وكره أن يُخلى الكاتب فشد إبهاميه بخيط وختمه وقام لحاجته .

قال أبو عباد الكاتب : ما جلس أحد قط بين يدي إلا تخيل إلى أني جالس بين يديه .
وقرأت في التاج أن أبرويز قال لكاتبه : «أكرم السر وأصدق الحديث واجتهد في النصيحة واحترس بالحذر ، فإن لك علي أن لا أعجل بك حتى أستاذني لك ولا أقبل عليك قولاً حتى أستيقن ولا أطمع فيك أحداً فيغتا لك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطنها وفي ظل مملكة فلا تستريلنه ، وقارب الناس بمجاملة عن نفسك وباعد الناس مشايحة^(*) من عدوك واقصد إلى الجميل أدراعاً لعدك وتحصن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسن عندى بما قدرت عليه من حسن ولا تشرعن الألسنة فيك ولا تقبحن الأحداث عنك وصن نفسك صون الدرّة الصافية وأخلصها لإخلاص الفضة البيضاء وعاتها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيع . لا تدعن أن ترفع إلى الصغير ، فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاغلي عن

(*) مشايحة : محاذرة .

الصغير . هذَّبَ أمورك ثم أَلْقَى بها وأَحْكَمَ لسانك ثم راجعني به ولا تجترئن على فَاْمْتِعْصَ ولا تنقبض مني فَأَتَّهَمَ ولا تُمَرِّضَنَّ ما تلقاني به ولا تُحْدِجَنَّهُ . وإذا فكرت فلا تعجل وإذا كتبت فلا تُعْذِرْ، ولا تستعين بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تُقْصِرَنَّ عن التحقيق فانها هُجْنَةٌ بالمقالة ولا تَلْبِسَنَّ كلاما بكلام ولا تباعدن معنى عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه ، وانتشار يُبْجِئُهُ ، ومعانٍ تقعد به ، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، وليكن بَسْطَةُ كتابك على السُّوقَةِ كبسطة ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ما تملك عظيما وما تقول صغيرا فانما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوقه . واعلم أن جُمَاعَ الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن الشيء فهذه الخلال دعائم المقالات إن أَلْتَمَسَ لها خامس لم يوجد وإن نُقِصَ منها رابع لم تتم ، فاذا أمرت فأحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فأَسْجِحْ واذا أخبرت فحقق فانك اذا فعلت ذلك أخذت بِجَزَائِمِ القول كله فلم يشته عليك وارده ولم يُعْجِزَكَ منه صادرة . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأَحْصِ فيها ما أخرجت وتيقظ لما تأخذ وتجرّد لما تعطى ولا يغلبنك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدم ولا تُنْجِزَنَّ وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن إخراج الكثير في الحق ، وليكن ذلك كله عن مؤامرتي .

قال رجل لبنيه : « يا بني تَزَيَّوْا بزي الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السُّوقَةِ » .

قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشيء بعد الشيء أَقْرَنَهُ بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابي: «رأى أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحثف الكلمة الشroud» .

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست الى قوم ببغداد فإ رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيئش من أقلامهم» .

وكتب بعض الكتاب الى صديق له: «وصل الى كتابك فإ رأيت كتاباً أسهل فنونا ولا أملىس مُتونا ولا أكثر عيوننا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حراً منه. أنجزت فيه عدة الرأي وبشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال: «عقول الرجال فى أطراف أقلامها» .

ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك العجين أحد الرّيعين وحسن التقدير أحد الكاسيين واللبن أحد اللحمين» . وقد يقال: المرق أخذ اللحمين .

قيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانة الخفية . وقرأت فى بعض كتب العجم أن موبذاف موبذ وصف الكتاب فقال: «كُتّاب الملوك عيبتهم المصونة عندهم وآذانهم الواعية وألستهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهدهم للملوك اجتهدهم لأنفسهم فلا يتهم روح على جسده ولا يتهم جسده على روحه لأن زوال ألفتهم زوال نعمتهما، وأن الثام ألفتهم صلاح خاصتهما» .

وقال

لئن ذهبتُ الى المجَّاجِ يقتلني * إني لأحق من تحدى به العيرُ
مستحقاً صُحفاً تُدْمى طوابعها * وفي الصحائف حياتٌ مَنَّا كيرُ

وقال بعض الشعراء في القلم

عجبت لذي سِنَّين في الماء نبتُهُ * له أثر في كل مصرٍ ومَعمرٍ

وقال بعض المحدثين في القلم

ضئيلُ الرِّواءِ كبيرُ الغناء * من البحر في المنصبِ الأخضرِ
كمثل أنحى العشق في شخصه * وفي لونه من بني الأصفرِ
يمرُّ كهَيْثَة مرَّ الشَّجا * ع في دِعْصٍ مَحْنِيَّةٍ أعفِرِ
إذا رأسه فتح لم ينبعث * وجاز السبيلَ ولم يبصرِ
وإن مُدِيَّةً صَدَعَتْ رأسه * جرى جرى لا هائبٌ مُقْصِرِ
يقضى ما رَبَّه مقبلاً * ويَحْسِمها هَيْثَة المَدِيرِ
تجود بكفِّ فتي كفُّه * تسوق الثَّراء إلى المعسرِ

وقال حبيب الطائي يصف القلم

لك القلم الأعلى الذي بَشَبَاتِه * يصابُ من الأمرِ الكُلِّي والمفاصلُ
لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابُهُ * وأرئى الجَنَى أَشْتارته أيدِ عواسلُ
له ريقَةٌ طُلٌّ ولكن وقعها * بأثاره في الشرق والغربِ وإبلُ
فصيح إذا استنطقته وهو راكبُ * وأعجمُ إن خاطبته وهو راجلُ
إذا ما أمتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغت * عليه شِعبُ الفكرِ وهي حوافلُ
أطاعته أطرافُ القنا وتقوضت * لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافلُ
تراه جليلاً شأنه وهو مرهفُ * ضنَى وسمينا خطبُه وهو ناحلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم
وأسمّر طأوى الكشح أنحس ناطق * له ذمّ لآث في بطون المهارق
إذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلا صوت إرعا ولا ضوء بارق
كأن الآلى والزرجد نطفه * ونور الخزامى في بطون الحدائق

وقال بعض المحمدين يمدح كاتباً

وإذا تالق في الندى كلامه آل منظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم أنتجت * برقت مصابيح الدجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده * منا ويبعد نياله في قربه
حكم فسأحمها خلال بنانه * متدفق وقليها في قلبه
كالروض مؤتلف بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسان لا ضميره * كأنه نخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه في الكلام كما * يبدى ضمير سواه منطق القلم

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة ابنوس وكتب اليه

قد بعثنا إليك أم المنايا * والعطايا زنجية الأحساب
في حشاها من غير حرب حراب * هي أمضى من مرهفات الحراب

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم

ومسوذة الأرجاء قد خضت ماءها * ورويت من قعر لها غير منبط
نحيص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال : للكتاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمي موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال ، قال الله عز وجل (وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حلهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر، شبه بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتباً كتب الغداة يسئني * من ذا يطبق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين سببتني * حتى شككت عليه بالإعراب
وأردت إفهامي فقد أفهمتني * وصدقت فيما قلت غير محابي

وقال آخر

يا كاتباً تشتر أقلامه * من كفه دُراً على الأسطر

وقال عدي بن الرقاع

صلى الاله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها
ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طي في معنى قولهم مت قبلك

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا * بموت فكأن أنت الذى نتأخر

وقال جرير فى معناه

رُدَى فؤادى وكونى لى بمنزلى * يا قبل نفسك لاقى نفسى التلّف

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتَّاب كتابا دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب
اليه ذلك الكاتب

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلَتْ مُلْكَاً فَتِيتَ فِي كِتَابِكَ
أَمْ هَلْ تَرَى أَنْفَ فِي التَّوَاضُعِ لِلْأَخْوَانِ تَقْصَا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ
أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ * فَأَيُّ شَيْءٍ أَدْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابٍ ذِي مِقَّةٍ * يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعْ بِكَ

وقال الأصمعي في البرامكة

إِذَا ذُكِرَ الشُّرْكُ فِي مَجْلِسٍ * أَنْارَتْ وَجْوهَ بَنِي بَرْمَكٍ
وَإِنْ تُنِيلَتْ عَنْهُمْ آيَةٌ * أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ

وقال آخر

إِنْ الْفَرَاغُ دَعَانِي * إِلَى آبَتِنَاءِ الْمَسَاجِدِ
وَإِنْ رَأَيْتَنِي فِيهَا * كَرَأَى يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ

مرّة عبد الله بن المقفع بيت النار، فقال

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أُنْعَزَلُ * حَذَرَ الْعَدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكَلٌ

وقال دِعْبِلُ فِي أَبِي عَبَّادٍ

أَوَّلَى الْأُمُورِ بَضِيعَةٌ وَفَسَادُ * أَمْرٍ يَدْبُرُهُ أَبُو عَبَّادٍ
حَنِقَ عَلَى جَلْسَانِهِ بِدَوَاتِهِ * فَرَمَلْ وَمَضْمَخَ بِمَدَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دَيْرِهِ قَلْ مُفْلَتٌ * حَرْدٌ يَحْزُ سُلَاسِلَ الْأَقْيَادِ

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتمد . أنظر هذا الشعر ورد

ابن الزيات عليه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو محرف عن "مزك" ، واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج
في أيام قباذ بن فيروز قبل شريعة زرادشت واستحل المحارم وسوى بين الناس في الأموال والنساء والعبيد
فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه ٥١
باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والتبيين للجاحظ .

خيانات العمال

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: دُكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر نخذ جزوز ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، افصل القضاء بيننا كما يفصل نخذ الجزور . فقضى عليها عمر وقال : إياكم والهدايا . وذكر القصة .

قال إسحاق : كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضى بين الناس ، فأهدى إليه رجل سراجا من شبه^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة . فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال : ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرتة .

حدثنا إسحاق قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه ، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطىء لأنت . فضرب رأسه بجريدة وقال : والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى ، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمثل هؤلاء ، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفَعُوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ قال الربيع : لا .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا هنيان بن عُمينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أُتي عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه يعود في يده ويقول : والله إن الذى أدى

(١) النحاس الأصفر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط ، ولعله الحريري بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إلياس الحريري ، فقد جاء في تهذيب التهذيب وفي الأنساب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أدت الى الله فاذا رتعت رتعوا . قال : صدقت .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزان والنقاد فكثوم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرى وابيضى وعرى غيرى . وأنشد

هذا جنائى وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليه أربعا : ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ بوابا . ومر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعَ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالة ويركبون البراذين وخذ الفضل .

حدثنا محمد بن عبيد عن هُوذة عن عوف عن ابن سيرين ^(١) [وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ قال أبو هريرة لست بعدو الله

(١) في النسخة الفقهية : "حميد" والاسمان واردان معا في تهذيب الكمال في أسماء الرجال . وليس في ترجمة أحدهما من يروى عن هُوذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هي الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدو كتابه ولكنى عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تتابع فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمر المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أُمَيَّة ^(١) أخشى ثلاثا واثنتين . قال فهلا قلت نحسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، ويتزع مالي .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قُديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بُردة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحمق من السلطان ومن أجهل من عصاني ومن أعز ^(٢) من أعزني . أيا راعى السوء دفعْتُ اليك غنا سمانا سخاحا فاكلت اللحم وشربت اللبن واثتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتهما عظاما تتقعقع » .

حدثني محمد بن شَبَّابة عن القاسم بن الحكم العُرنى القاضي قال حدثني اسماعيل ابن عِيَّاش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن مُحَرَّمَة ^(٣) قال : إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذوق في حقه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم . ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإني ما وجدت

(١) اسم أم أبي هريرة . (٢) في النسخة الألمانية : ومن أغرَّ من أغرتني .

(٣) في الألمانية : « محرمة » ولعل الصواب ما في الفتوغرافية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة أن من شيوخه المسورين محرمة .

صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تَقْرُمُ الْبَهْمَةَ .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد إذا ولى رجلاً قل له : خذ عهدك وسِرِّ الى عملك واعلم أنك مصروفٌ رأس سنتك وأنتك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معزتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائناً قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قويا زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

قال العتيبي : بُعث الى عمر بن الخطاب فاقسمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى أتررت به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

بلغنى عن حفص بن عمران الرازى عن الحسن بن عُمارة عن المنهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذكر علينا فتنة فقام شداد فقال : « الحمد لله

(*) كذا بالأصل ، وفي القاموس : واتتربه وتأزر به ولا تقل اتزر وقد جاء في بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة ٥١ . وفي النهاية لابن الأثير أنه خطأ لأن الهمة لا تدغم في التاء . وفي التاج : وقال المطرزي أنه لغة عامية ثم نقل عن الصاغاني أنه يجوز أن تقول اتزر بالمتزر أيضاً فيمن يدغم الهمة في التاء كما يقال آتمنه والأصل آتمته .

الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ، وإن الدنيا عَرَضٌ حاضرياً كل منها البرّ والفاجر ، وإن السامع المطيع لاجبة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمل عليهم صلحاءهم وقضى بينهم فقهاءهم وجعل المال في شُمُحاتهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم . وإن من صلاح الولاية أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمال ، وقال : ألسنتُ من السمعاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعمّدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالاً وأنفقته إفضالاً ، فنعّم . وإن كان مما شارك فيه المسامون فاحتجته دونهم ، أصبته اقترافاً وأنفقته إسرافاً ، فإن الله عز وجل يقول (إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّة عمرو بن عبّيد بجماعة عُكوف ، فقال ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السريقطعه سارق العلانية ! .

ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرمة ، وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة أراها وإن كانت مُحِبٌّ كأنها * سخابةٌ صيف عن قريب تَقَشَّعُ

اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إنهم يحدون مثل أبيك ولا يحد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم .

ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة ستين فأحسن السيرة وعف عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا اليه فأنشد لدراج الضبابي .

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أني من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذا مت أن يعطوا الذي كنت أ منع
ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلى هذه الوجوه
من لا يرعى لها حقها .

- ووجدت في كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ
من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركك في أمانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق
منك في نفسي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو قد حرب قلبت
لابن عمك ظهر الحين بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدرت
عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى » وفي الكتاب : « صم^(*)
رويدا فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادي المغتر
بالحسرة ويتمنى المضيق التوبة والظالم الرجعة » .

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة : « غرتني منك مجالستك القراء
وعمايتك السوداء فلما بلونك وجدناك على خلاف ما أملناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون
بين القبور ! » .

١٥

قال ابن أحمريذ كرم عمال الصدقة
إن العياب التي يخفون مشرحة * فيها البيان ويلوى عندك الخبر
فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخف عين على عين ولا أثر
هل في الثمان من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر
وقال عبد الله بن همام السلولى

٢٠

أقلى على اللوم يا أم مالك * وذى زمانا ساد فيه الفلاقس

(*) صم من ضحيت الغنم اذا رعيها في الضحى ، أى اربع نفسك على مهل فانما أنت على شرف الموت .

وساجع مع السلطان ليس بناصح * و”محتس من مثله وهو حارس“ (*)

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحدثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنكم بأناس خير كسبهم * مصرح السحت سموه الإصابات
وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح

بنيت بما خنت الامام سقاية * فلا شربوا إلا أمر من الصبر
فما كنت إلا مثل بائعة آستها * تعود على المرضي به طلب الأجر
يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل ترفى بحب الرمان وتصدق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

ألست أمين الله سيفك نعمة * اذا ماق يوما في خلافتك مائق
فكيف بإسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك منافق
أعيدك بالرحمن من شركائب * له قلم زان وآخر سارق

وقال فيه أيضا

ألا قل لإسماعيل إنك شارب * بكأس بنى ما هان ضربة لازم
أئسمن أولاد الطريد ورهطه * ياهزال آل الله من نسل هاشم
وتخبر من لا قيت أنك صائم * وتغدو بفرج مفطر غير صائم
فإن يسر إسماعيل في جفاته * فليس أمير المؤمنين بنائم

ولى حارثة بن بدر ”سرق“ فكتب اليه أنس الدؤلى

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شئ لا يؤمن أن يخون فيه ، كما في لسان العرب .

وبار تيميا بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فان جميع الناس إما مكذَّب * يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحققوا
ولا تَحْقِرَنَّ يا حَارِ شَيْثَا أَصْبَتَهُ * فَخُطُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِينَ سُرُقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعنى عليك الرشد .

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جُويرية بن أسماء قال ، قال فلان : « إن الرجل
ليكون أميناً فإذا رأى الضياع خان » .

قرأت في كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من
الخيانة كعقوبتك على الكثير منها ، فإذا لم يُطمع منك في الصغير لم يُتجرأ عليك
في الكبير . وأبَرِدْ البريد في الدرهم ينقص من الخراج ، ولا تعاقبن على شيء كعقوبتك
على كسره ولا ترزقن على شيء كرزقك على إزجائه ، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن
ثوابك عليه حقن دم المزجي وتوفير ماله من غير أن يعلم انك أحمدت أمره حين
عف واعتصم من أن يهلك » .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لصاحب بيت المال : « إني لا أحتملك على
خيانة درهم ولا أحمذك على حفظ ألف ألف درهم ، لأنك إنما تحقن بذلك دمك
وتعمر به أمانتك فانك إن خنت قليلاً خنت كثيراً . واحترس من خصلتين :
النقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أني لم أجعل أحداً على ذخائر الملك وعمارة
المملكة والعُدَّة على المدق إلا وأنت آمنٌ عندي من موضعه الذي هو فيه وخواتيمه
التي هي عليها ، فحق ظني في اختياري إياك أحقق ظنك في رجائك لي ، ولا تتعوض
بخير شر ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة » . وكان يقال : « كفى بالمرء
خيانة أن يكون أميناً للثونة » .

قدم معاذ من أيمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لا والله لا إلى لكم عملاً أبداً .

ذكر أعرابي رجلاً خائناً فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقماً وإن فلاناً يحسوها حسوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلاً تعمل طويلاً وآلزم العفاف يلزمك العمل ، وإياك والرشا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالماً قبل أن يستعمل ، مستشيراً لأهل العلم ، ملقياً للرشع^(١) ، منصفاً للخصم ، محتسباً للأئمة^(٢) » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق الأنصاري عن عبد الله بن هبة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظلم على التقوى سنخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قمش جهلاً غاراً بأغباش الفتنة عمياً بما في عقد الهدنة سماء أشباهه من الناس عالماً ولم يُغن في العلم يوماً سالماً . بكر^(٤) »

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتدياً بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في العقد الفريد وفي البيان والتبيين بما نصه : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي .
(٣) في النسختين الألمانية والفتوغرافية ، « بهيج » والتصويب عن نهج البلاغة .
(٤) في الأصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر، ما قل منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكثر من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيا حشوا رثا^(*) من رأيه، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت. لا يعلم اذا أخطأ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب. خباط عَشَوَات رَكَاب جهالات. لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعص في العلم بضرر قاطع. يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم، تبكى منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه الفرج الحرام. لا ملء والله باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرظ به «

قال ابن شبرمة

- ما في القضاء شفاعة لخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على اذا قضيت بسنة * أو بالكاتب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

- الهيم عن ابن عيَّاش عن الشَّعْبِي قال : كان اَوَّل قاضٍ قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر واستقضى شُرَحْبِيل على المدائن، ثم عزله واستقضى أبوقرة الكندي وهو اسمه فاخطت الناس الكوفة وقاضيههم أبوقرة. ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي فقضى نحسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقعده ولم يقض في الفتنة. فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا في الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت والله بجور، قال : وكيف ذاك؟ ويحك ! قال : كبرت

(*) في الأصلين « رأيا » والتصويب عن نهج البلاغة .

سُنْكَ واختلط عقلك وارثني ابنك، فقال [شريح لا جرم] (*) لا يقولها أحد بعدك .
فأتى المجاج فقال : والله لا أقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفك أو تبغني رجلاً .
فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى . فاستقضاه المجاج
وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً .

وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دثار وكان على القضاء
فقال له : يا محارب، الى كم تردد الخصوم؟ فقال له : إني والخصوم كما قال الأعشى
أرقتُ وما هذا الشهاد المؤرق * وما بي من سقم وما بي معشَق
ولكن أراني لا أزال بمحدث * أغادى بما لم يمسّ عندي وأطرق

حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة
فطوّل فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الثّنيا فعليك بالحسن معلّى ومعلم أبي ،
وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى — وكان على قضاء البصرة
يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بجميد الطويل ، وتدرى ما يقول لك ؟
يقول لك : حظّ شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى نصلح بينكما ، وإن
كنت تريد الشغب فعليك بصالح السّدوسي ، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك :
أحمد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادّع ما ليس لك وادّع بينة غيّبا .

قرأت في الآيين : « ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل والقضاء العدل غير
الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بنتبث وروية ويتحفّظ من الشبهة » . والقضاء
الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس ، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد ،
والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أنحى الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ قيل : وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التحاط والهضم فإن أخذ الحق كله مر .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في شيء فحكم رجل له في الخطي هوى ، فقال للخطي : من يقول بقولك أكثر .

الهيثم بن عدي قال : تقدمت كلثم بنت سريغ مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمي بها فقضى لها ، فقال هذيل الأشجعي

أناه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما دعت من صامت المال والحوّل
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه * وكان وليدٌ ذا مرءٍ وذا جدل
ففتنت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه * لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تحاوص * وكان وما منه التهاوص والحوّل
إذا ذاتٌ دلّ كلمته لحاجة * فهم بأن يقضى تتنح أو سعل
[وبرق عينيه ولاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصها جلل]^(١)

فكان عبد الملك بن عمير يقول : والله لربما جاءتني السعلة أو التنح وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك .

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأُمير المؤمنين الذى * من هاشم في سرها واللباب

٢٠

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في القاموس : وابن منذر ويضم فيصرف شاعر بصرى لأنه محمد بن المنذر بن المنذر . وفي الأغاني أنه إذا قيل له ابن منذر يفتح الميم فيضرب ثم يقول أنا منذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . إنما هو منذر على وزن مفاعل من فاذر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّخْطَةِ عاقبتنا * بخالد فهو أشدَّ العقاب
كان قضاةُ الناسِ فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
يا عجباً من خالد كيف لا * يخطئُ فتياً مرةً بالصواب

وقال فيه

جُعل الحاكم يا للناس من آل طَلِيق
صُحْكَةً يُحْكَمُ في الناسِ * س برأى الجائِلِيق^(١)
أى قاض أنت في النقصِ وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيثم ما أنست لهذا بخلق
لا ولا أنت لما حُمِلَتْ منه بِمُطِيق

أراد عديُّ بن أرطاة بكر بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن
القضاء، فإن كنتُ كاذباً أو صادقاً فما يحلُّ لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عُزل ابن شبرمة عن القضاء قال له
والى اليمن : اختر لنا رجلاً نوليّه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه .
فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل اليه بجاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدري
لم دُعيت؟ قال : لا . قال : إنك قد دُعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أيسر
القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له
ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطنَ شاة حامل فألقت ما في بطنها؟ فسكت
الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك^(٢) فما وجدنا عندك شيئاً . فقيل له : ما القضاء
فيها؟ قال ابن شبرمة] تُقَوِّمُ حاملاً وتُقَوِّمُ حائلاً ويفرم قدر ما بينهما .

(١) في القاموس : الجائليق بفتح التاء المثناة رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب
التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقفذ . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(*) حدثني عبد الله بن محمد الخَلنجي قال : كان يحيى بن أكرم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمّه فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عمُّ الآخر لأمّه .

٥. ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمّهما ولا غنى بنا عن رِفدك . فقال له عبد الملك : إن أخبرتنى ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بجدة قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمى الحرمان ، وإن أخطأ أتسع لي العذر . فدعا بالبجدة فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالزّماح ، أحدهما عمُّ الآخر والآخر خاله .

١٠. قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قُبّة له وبين يديه كأنون له فيه نار بغاء رجل بجلّس معه على فراشه فسأره بشيء لا ندرى ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضَع لي إصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علىّ بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعا إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كنّ في القاضي فليس بكامل : إذا كره اللوائم ، وأحبَّ المحامد ، وكره العزل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالماً ، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم » .

(*) في النسخة الفتوغرافية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السمعاني ما يؤيد رواية الألبانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي الى العدل في لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عنيها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبيكون .

بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا بياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمتنعك قضاء قضيتته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء . والمسلمون عدول في الشهادة إلا مجلودا في حد أو مجريا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فانه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله ، والسلام » .

وقال سلمة بن الخُرْشُب لُسَيْعِ التَّغَلَبِي في شأن الرُّهْن التي وضعت على يديه في قتل
عَبَسَ وَدُبَيَّان .

أبلغ سُبَيْعَا وأنت سيدنا * قَدَمَا وأوفى رجالنا ذِمَّا
أن بَغِيضًا وأن إخوتها * دُبَيَّان قد ضَرَمُوا الذي اضطروا
نَبَّئْتُ أن حَكْمَكَ بينهم * فلا تقولن بئس ما حكما
إن كنت ذا عِرْفَةٍ بشأنهم * تعرفُ ذا حقِّهم ومن ظَلَمَا
وتُنزل الأمر في منازله * حكما وعلمًا وتحضر الفَهَمَا
فاحكم فأتى الحكيم بينهم * لن يدمموا الحقَّ باردا صَمَمَا
وأصدع أديم السواء بينهم * على رضا من رضى ومن رَغِمَا
إن كان مالا فثقل عِدَّتُهُ * مَالٌ بِمَالٍ وإن دَمًا فَدَمَا
هذا وإن لم تُطَقْ حكومتهم * فانبذ إليهم أمورهم سَلَمَا
وأُشِدَّ عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبي سلمى، فلما بلغ قوله
فان الحق مقطعه ثلاث * يمينٌ أو نِفَارٌ أو جَلَاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من
إحدى ثلاث إما يمين أو محامدة أو حجة .

وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عبد الله بن شبرمة
وكيف ترجى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم في نفسكا
وترجم أنك لابن الجَلَّاح * وهيات دعواك من أصلكا

عبد الله بن صالح العجلي قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيزران وقد
أقبلت تريد الحج، فأتى، "شاهي" فأقام بها ثلاثا ولم تُوفِ نَخَفَ زاده وما كان
معه من الخبز فجعل يبله بالماء ويأكله بالملح، فقال العلاء بن المنهال الغنوي

فان كان الذى قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مَوْضِعًا فى كل يوم * تَلْقَى من يَحْجُ من النساء
مقيمًا فى قرى شَاهِي ثلاثا * بلا زاد سوى كِسِير وماء
يزيد الناس خيرا كل يوم * فترجع ياشريك الى وراء

وقال فيه أيضا

فليت أبا شريك كان حيا * فيُقَصِّر حين يبصره شريك
ويترك من تدرّيه علينا * اذا قلنا له هذا أبوك^(١)

وأنشد لبعض الشعراء فى بعض الحكم

أبكى وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكم
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا الى سوار بن عبد الله ف قضى على الجريري ، فمر
سوار ببني جرير فقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيت أحلاما فعبثتها * وكنت للأحلام عبّارا
رأيتني أخفق ضبّا على * بجحروكان الضب سوارا

فى الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لى أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دَعْوته ولا أُجيز شهادته . قال وقال سوار : ما أعلم أحدا أفضل من عطاء السلمي ،
ولو شهد عندي على فلّسين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأى ليس بالخازم ،

(١) فى هذا الشعر الإقواء وهو المخالفة بين القوافى فى حركة الإعراب ، وقد أورد صاحب اللسان هذين

ليتين فى جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) فى النسخة الألمانية « أبو أيوب » .

- لا أنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن عترة بن ثقب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد ادعاها رجل قال : أشهد أنها له من الماء الى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أي شيء أكتب ؟ فقال : كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فاكتبه . ^(١) قال أبو حاتم بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه [قال وشهد رجل عند سوار ، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدب . قال : فانا لا نحبز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . قال : يا هذا ، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك . فأجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجرنا شهادة أبي فراس ، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف مُحَصَّنَة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك
- إِنِ الْقَوْمُ غَطَّوْنِي تَغْطِيتُ دُونَهُمْ * وَإِنْ بَحْثُوا عَنِّي فَمَبَاحُثُ
وإِنْ حَفَرُوا بَثْرَى حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ * لِيَعْلَمَ مَا تَخْفِيهِ تِلْكَ النَّبَاثُ
- فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

- أتى رجل ابن شبرمة ^(٢) بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل ، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم في القراح من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم . فرد شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فأجازهم .
- (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم تقف في ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصم لا يرتجى النجاة له * يوما إذا كان خصمه القاضي

قدم رجل خصما له الى زياد في حق له عليه، فقال : إن هذا الرجل يُدلى بخاصّة ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بما ينفعه عندى من خاصّته : إن يكن الحقُّ له عليك آخذك أخذًا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليه أقض عليه ثم أقض عنه .

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبي بكرة قاضيا وكان يميل في الحكم الى إخوانه . ف قيل له في ذلك . فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائني : كان بين طلحة بن عبيد الله والوزير مداراة في واد بالمدينة . قال فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أنتم في فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تحتلفان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت وحضرتما من قوله مثل الذي حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق أنه يطوّقه من سبع أرضين ! والحكم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن الحكم إذا جار رُزئ دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رُزئ عرض الدنيا [إن شئتما فآدليا بمجنتكما^(١) و] إن شئتما فأصلحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا .

وكان السنديّ ابن شَاهك لا يستحلف المكارى ولا الحائك ولا الملاح ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إني أستخيرك في الجمال ومعلم الصبيان .

وقال أبو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا تقبل شهادة العبد ولا شهادة العذيوط ولا المغدّي ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري : أتجيز شهادة رجل عفيف تقيّ أحق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لي أبا مودود^(١) حاجي ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أتروني كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لي محارب بن دثار : وليت القضاء فبكي أهلي وعُزِلت عنه فبكوا ، فما أدرى مم ذاك؟ فقلتُ له : وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكي أهلك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكي أهلك . فقال : إنه لكما قلت .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقلتم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد على الناس .

قال أعرابي لخصم له : « والله لئن هملجت إلى الباطل إنك عن الحق لقطوف » .

(١) في النسخة الفتوграфияية : مورد . (٢) في الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين . ٢٠

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أذرع » .

حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك الغفاري عن أبيه عن جده قال : « كفل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرا » .

حدثني يزيد قال حدثني الوليد عن جرير بن حازم عن الحسن : « أت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذورباب .

حدثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زنت يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زنت . فأعادها عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه » .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرق ، فقال : أسرقت ؟ قولي : لا .

(١) في النسخة الألمانية : "خيم" ولم نعث على ما يرجح إحدى الروايتين .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبو الوليد" .

حدَّثني سهل بن محمد قال حدَّثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فأتتهروه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصديق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدَّثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن عمن حدَّثه عن ابن عباس قال « جزَّ الرأس والحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسْكا لمرضاته » .

حدَّثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « إياكم والمثلة في العقوبة جزَّ الرأس والحية » .

حدَّثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدَّثنا سلم بن قتيبة قال حدَّثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة ققضى في رجل ١٠ فزَّع رجلا فضرط بأربعين درهما .

حدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحل في هذه الأمة غُل ولا صَفْد ولا تجريد ولا مد » .

حدَّثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان عامر بن الظرب العدواني حَكَمَ العرب ، فنزل به قوم يستفتونه في خنثى وله جارية يقال لها خُصيلة^(١) . وربما لامها في الإبطاء ١٥ في الرعى وفي الشيء يحده عليها . فقال : يا خُصيلة لقد حبست هؤلاء القوم ورئيتهم حتى أسرع في غنمي . قالت وما يكن عليك من ذلك ؟ أتبعه مباله . فقال لها : "مَسَى خُصِيل بعدها أوروحي" .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « جبيلة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب بخُصيلة هذه في حكايات العرب قال ولعلها هي التي كان أبوها عامر يقول لها "مَسَى تَخِيل بعدها أوصبحي" بناء على أنها كانت تسمى تخيلا أيضا . وقد ذكر الميداني أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأتى ابن زياد بالناس له قُبُلٌ وذَكَرَ ولا يُدْرِي كيف يُورَثُ. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل إلى جابر بن زيد. فأرسل إليه، بخاء يَرْسُفُ في قيوده فقال: ما تقول: في هذا؟ فقال: أَلَزَقَهُ بِالْحِدَارِ فَنَ بَالٍ عَلَيْهِ فَهُوَ ذَكَرٌ، وَإِنْ بَالٍ فِي رَجْلَيْهِ فَهُوَ أَنْثَى. حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ خَدَّاشٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمُ بْنُ قَتَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي حَصِينٍ أَنَّ رَجُلًا كَسَرَ طَنْبُورًا لِرَجُلٍ نَخَّاصِمِهِ إِلَى شَرِيحٍ، فَقَالَ شَرِيحٌ: لَا أَقْضِي فِي الطَنْبُورِ شَيْءً.

(*) [حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْعَجَّاجِ: يَا بْنَ أَصْمَعَ وَاللَّهِ لَنْ أَقْرَرَ لَأُنْزِمَنَّكَ. أَيْ لَا تَقْرَ.]

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: رَدَّ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ جَارِيَةً اشْتَرَاهَا مِنْهُ، نَخَّاصِمَهُ إِلَى إِيَّاسَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: بِمِ تَرَدَّهَا؟ قَالَ لَهُ: بِالْحَقِّ. فَقَالَ لَهَا إِيَّاسُ: أَيْ رَجْلَيْكَ أَطُولُ؟ فَقَالَتْ: هَذِهِ. فَقَالَ: أَتَذَكِّرِينَ لَيْلَةَ وُلِدْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ إِيَّاسُ: رَدِّ رَدِّ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ قَالَ: رَأَيْتُ الشَّعْبِيَّ يَقْضِي عَلَى جِلْدِ أَسَدٍ.

الظلم

(*) حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ [بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ] قَالَ أَخْبَرَنَا بَعْضُ أَشْيَاحِ الْبَصْرَةِ أَنَّ رَجُلًا وَأَمْرَأَتَهُ اخْتَصَمَا إِلَى أَمِيرٍ مِنْ أَمْراءِ الْعِرَاقِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ حَسَنَةً الْمُتَنَقِّبِ قَبِيحَةَ الْمُسْفَرِّ، وَكَانَ لَهَا لِسَانٌ فَكَأَنَّ الْعَامِلَ مَالَ مَعَهَا فَقَالَ: يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَرْأَةِ الْكَرِيمَةِ فَيَتَرَوَّجُهَا ثُمَّ يَسِيءُ إِلَيْهَا! فَأَهْوَى زَوْجَهَا إِلَى النَّقَابِ فَأَلْقَاهُ

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأنشد الرباشي
في نحو هذا

رأيتُ أبا المجنَّاءِ في الناسِ جائراً * ولون أبي المجنَّاءِ لونُ البهائمِ
تراه على ما لاحه من سواده * وإن كان مظلوما له وجهٌ ظالم

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب
في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويعتدي يقول : فلان لا يموت سويًا . فيرون ذلك
حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه ف قيل له : مات فلان سويًا . فلم يقبل حتى
تتابعت الاخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن لكم داراً سوى هذه تجازون فيها ^(١) .

كتب رجل من الكُتاب الى سلطان : « أعينك بالله من أن تكون لاهياً عن
الشكر محجوباً بالنعم صارفاً فضل ما أوتيت من السلطان الى ما قيل عائده وتعظم تبعته
من الظلم والعدوان ، وأن يسترلك الشيطان بخدعه وغروره وتسويله فيُريل عاجل
الغبطة وينسيك مذموم العاقبة ، فان الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب
غده ولم يفره طول الأمل وتراخي النسيان ولم يضرب في غمرة من الباطل ولا يدري
ما تتجلى به مغبتها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المتقلب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه
كرّ الحديدین واختلاف العصرین » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء
عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بعلم الصبيان يوم القيامة فان كان عدل بين الغالبين ^(٢)
والأقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أظلم [من لا يجد ^(٣)

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من النسخ . (٢) في الفتوغرافية : الكتاب .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي أن أظلم [وأخرج أن أظلم » .
وكان يقال : إذا أراد الله أن يتخف عبدا قيض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : « أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم
بالانصاف من بسطت بالقدره يده » .

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب : إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُخرب الديار . فقال ابن عباس أنا أوجدك في القرآن ، قال الله عز وجل
(قَتَلَتْ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان فرعان وهو من بني تميم لا يزال يُغير
على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها إلى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ،
بغاء الرجل فأخذ بشعره فحذبه فبرك ، فقال الناس : كبرت والله يا فرعان . فقال : لا والله
ولكن جذبي جذبة مُحَقَّ . وكان سُديف بن ميمون مولى اللّهييين يقول : اللهم قد
صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار
للأمة . واشتريت الملاحى والمعاذف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين
أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل
وبلغ نهايته واجتمع طريقه . اللهم فأتخ له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله وتفترق
أمره ليظهر الحق في أحسن صوره وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض النواحي بجمع اليهود في عمله وسألم عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أدبتم ديتة ؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدوها .
فلم يبرحوا حتى أدوها .

(١) في النسخة الفتوغرافية : وهو مولى لبني تميم .

كان أبو العَاج على جَوَالِي البصرة فَأُتِيَ بِرَجُلٍ مِنَ النصارى : فقال ما أَسْمُكَ ؟
فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةٌ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثلاثَ حَزَى .

ولى أعرابي "تَبَالَه" فصعد المنبر فحمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير
أعزنا الله وإياه ولآنى بلادكم هذه ، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ،
ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم
ولا يرتفعون إليه . قال بعض الشعراء

بني عَمَّا لَا تذكروا الشعر بعد ما * دفنتم بصحراء التُمير القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلَّة * فتقبل ضيًّا أو نحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسأط * ففرضى إذا ما أصبح السيف راضيا
فان قاتم إنا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكننا أسانا التفاضيا
[وقال آخر^(٢)

تفرحُ أَن تغلبني ظالما * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]
وكانوا يتوقَّعون ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إني أعود
بالرحمن منك إن كنت تقيا . آخسثوا فيها ولا تكلمون . أخذتُ سمك وبصرك بسمع
الله وبصره . أخذت قوتك بقوة الله . بينى وبينك ستر النبوة الذى كانت الانبياء
تستتر به من سَطَوَات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد
أمامك والله مطلع عليك ويحجزك عنى ويمنعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوباً للشَّيْذَر الحارثى . والغدير موضع بين
ذات عرق والبستان وقبله بجليين قبر أبى رغال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لموضع آخر . وقد ورد
فى الفتوغرافية هكذا « العيط » محرفاً عن « الغيط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء الغيط
وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فألقى بصحراء الغيط بَعَاة * كَصَرع اليماني ذى العباب المحمل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدى الأمير إذا ظلمنا * فمن يُعدي إذا ظلم الأمير
[وقال آخر^(١)

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكثِر فقد غلب الأمير]
وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك ظالماً على غيرك فتحكم لي وقد
استعديتكَ عليك مظلوما فضاقتني عدلك ، وذكرني قول القائل
كنت من كُرتي أقر اليهم * فهم كُرتي فأين الفرار^(١)
[ونحوه

والخصم لا يُرتجى النجاح له * يوما إذا كان خصمه القاضي]
حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان يقال : ما أُعطي أحد قط النصف
فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النصفة قط على أحد
فقبلها إلا دخلتني له هيبَةً ولا ردّها إلا اختبأتها في عقله .

وقال البيهقي

وإني لأعطي النصف من لو ظلمتُهُ * أقر وطابت نفسه لي بالظلم

وقال الطائي

يرى العلقم المأدوم بالمز أريّة * يمانية والأرّي بالضم علقما
إذا فرشوه النصف نامت شدّاته * وإن رتّعوا في ظلمه كان أظلمما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبي قومنا أن يُنصفونا فنصفت * قواطع في أيّماننا تقطر الدما
تركّاهم لا يستحلّون بعدها * لذي رحم يوما من الدهر محرّما]

(١) زيادة في النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثاني في صحيفة ٧٠

بلغنا عن خَمْرَةَ عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عُمَّاله :
أما بعد فاذا دَعَتَكَ قَدْرَتُكَ على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤْتِي
اليهم وبقاء ما يُؤْتُونَ اليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه ، فقال : أَقْصِرْ يا هذا ، لا يَرْجَحَ عليك
ظالمك .

قولهم في الحبس

[في الحديث المرفوع : ^(١) «شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس
فاوحى الله اليه : مَنْ حَبَسَكَ يا يوسف ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قُلْتَ ﴿ رَبِّ
السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ولو قلت : العافية أَحَبُّ إِلَيَّ لعوفيت » .]

- ١٠ حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف
عليهم قلوب الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار » . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الصديق

- ١٥ وشماتة الأعداء » .

أنشدني الرياشي

ما يدخل السجن إنسان فتسأله * ما بال سجنك إلا قال مظلوم

وقال أعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أبو ليلى الغداة حزين

- ٢٠ وفي الباب مكتوب على صفحاته * بأنك تتزوّجهم سوف تلين

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

ويقال : إن قولهم « تترؤ وتلين » رُوى مكتوبا على باب حبس فضربه الناس
مثلا .

وقال بعض المسجونين

وبتُّ بأحصنها منزلا * ثقيلا على عنق السالكِ
ولستُ بضيف ولا في كِرا * ولا مُستعير ولا مالكِ
ولستُ بفصيص ولا كالرُّهون * ولا يشبه الوقف عن هالكِ
ولى مُسمِعات فأدناهما * يغنى ويسمع في الحالكِ
وأقصاهما ناظرٌ في السما * عمدا وأوسخ من عاركِ

المُسمع الأول قيده والثاني صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر
ولى مُسمِعات وزقارة * وظلٌّ مديد وحصن أُمق
الزقارة الغلُّ، وأصل الزقارة السَّاجور .

قال أبو عبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل الى بلال بن أبي بردة ، فقضى
للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* سحابة صيف عن قليل تَقشَع *

فقال بلال : أما إنها لا تَقشَع حتى يصيبك منها شؤبُوبُ برد . وأمر به الى
الحبس ، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة .
فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمّت وأقيادٌ تقال وقيم يُقال له حَفْص .
قال المجاج للفضبان بن القُبَعَثَى ورآه سمينا : ما أسمعك ؟ قال : القيدُ والرَّتعةُ ،
ومن كان في ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكيت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلوني بصلعاء صيِّلم * بإحدى زُبَي ذِي اللَّبْدَيْنِ أَبِي الشَّيْلِ
خرجتُ خَروجَ القِدْحِ قَدِجِ ابنِ مُقْبِل * على رِغْمِ آتَافِ النِّوَابِجِ وَالْمُشْلَى
على ثِيَابِ الغَانِيَاتِ وَتَحْتَهَا * عَزِيمَةُ مَرءٍ أَشْبَهَتْ سَلَّةَ النُّصْلِ

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأني لأرجو خالدا أن يَفْكَنِي * ويطلق عني مقفلات الحدائد
فإن يك قيدي ردَّ هَمِّي فربما * تناولتُ أطرافَ المَهمومِ الأَبَاعِدِ
وما من بلاءٍ غيرَ كُلِّ عَشِيَةٍ * وكلَّ صَبَاحٍ زَائِرٍ غيرِ عَائِدِ
يقول لي الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثلُ آنحَرِ قَاعِدِ

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسري حين حبس

لعمري لقد أعمرتُ السَّجْنَ خالدا * وأوطأتموه وطأةَ المتشاكل
فان تجبسوا القسري لا تجبسوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

(١)
وقال بعض المسجنين

أَسْجَنٌ وَقِيدٌ وَاعْتِرَابٌ وَعُسْرَةٌ * وَفَقْدٌ حَبِيبٌ! إِنَّ ذَا الْعَظِيمِ
وَإِنْ أَمْرًا تَبْقَى مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ * عَلَى كُلِّ هَذَا، إِنَّهُ لَكَرِيمِ

وقال آخر مثله

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتي

(١) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية وفي هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين»

نجد التضعيف لا في القاموس ولا في اللسان .

- إذا جاءنا السجّان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
وتعجبنا الرؤيا بجلّ حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تأت عجلي وأبطأت * وإن قبحت لم تحتيس وأتت عجلي
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا لهفني على طليبة بمائة ألف وفرج في جبهة
أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال
أصبح في قيدك الساحة والـجود وحمل لمضليع الأتقال
فقال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتك رخيصا فاشتريتك^(١) .
وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس أبيات منها
تفديك نفسى من كل ما كرهت * نفسك إن كنت مذنباً فاغفر
يا ليت قلبى مصور لك ما * فيه لتستيقن الذى أضمر
فوقع الرشيد فى رقعة : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت «ليس عليك بأس»
فأمر باطلاقه

الحجاب

- أبو حاتم عن العتي عن أبيه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلابي وقف على باب
معاوية فقال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو فى شملتين، فلما دخل على
معاوية قال : هزرت ذوائب الرجال اليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأمم المجاهل بالآثار . يقودنى نحوك رجاء وتسوقنى إليك بلوى، والنفس
مستبطئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقربه . فقال فى ذلك

(١) فى الأصل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) فى الفتوغرافية : الرجاء ..

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذ يُستُ من الدخول
وما نلتُ الدخول عليه حتى * حلتُ محلةَ الرجل الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قذاها * ولم أسمع الى قالٍ وقيل
فادركتُ الذي أملتُ فيه * بمكثٍ والخطأ زاد العجول

- وقال غير العتيبي: لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له : «إني رحلتُ اليك بالأمل واحتملتُ جفوتك بالصبر، ورأيتُ بياك أقواما قدمهم الخطأ، وآخرين باعدهم الحرمانُ . وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن ييأس . وأول المعرفة الاختبار فابُلِّ وأختبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر
من يأذن اليوم لعبد العزيز * يأذن له عبدُ عزيز غدا

- ١٠ قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فقي العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال
لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجبني . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء :
من يَفْشُ سُدَّ السلطان يَقم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد الى جانبه بابا
فُتِحا، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطي .

- ١٥ قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظرُ بها وجنة أستنم إليها ، وقد ولّيتك بابي ،
فما تراك صانعا برعيتي ؟ قال : أنظرُ اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك
وأضعهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث
وَضَعهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك . قال : قد وقّيت ما لك وما عليك
إن صدقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدمن مستغيثا ولا تضعن ذا شرف بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذا ضعة بسهولة . وضع الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدما له الشرف ممن أزدرعه ولم يهدمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدم فلم يصن ذلك إبلاغا به ولم يزدعه تميها له فالحق بابائه مهلة سبقهم في خواصهم ، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دبرا ولا تأذن له إلا سارا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عنى طرفه عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الى فيها ، وإن أتاك مدع لنصيحة فاستكتبها سرا ثم ادخله بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان منى بجيث أراه فادفع الى كتابه ، فإن أحمدت قبلت وإن كرهت رفضت ، ولا ترفعن الى طلبة طالب إن منعه بتخلى وإن أعطيته أزدراى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتنى وإن أتاك عالم يستأذن على لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجب سخطه ولا تأذن رضا ، اخصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك » .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : « لا تحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسى ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عى يكره أن يطالع عليه منه ، أوربية ، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال

إذا اعتصم الوالى بإغلاق بابيه * ورد ذوى الحاجات دون حجابيه
ظننت به إحدى ثلاث وربما * نزعت بظن واقع بصوابه
فقلت به مس من العى ظاهرا * ففى إذنه للناس إظهار ما به
فان لم يكن عى اللسان فعالب * من البخل يحى ما له عن طلابه
فان لم يكن هذا ولا ذا فريية * يصر عليها عند إغلاق بابيه

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عرض الملك حاجبه
فيه تبدو محاسنه * وبه تبدو معاييه

وقال آخر

كم من فتي تُحمد أخلاقه * وتسكن الأحرار في ذمته
قد كثّر الحاجب أعداءه * وسلّط الذم على نعمته

- ٥ حضر باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعة منهم سهيل بن عمرو وعيينة ابن حصن والأقرع بن حابس فخرج الأذن فقال : أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أين سلمان ؟ فتمعرت وجوه القوم . فقال واحد منهم : لم تتمعروا وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَّا أعد الله لهم في الجنة أكثر .
- ١٠

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنه * على ما أرى حتى يخفّ قليلا
إذا لم نجد للأذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

وقال آخر لحاجب

- ١٥ سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الحنان تركتها * وحولت رجلى مُسرعا نحو مالك

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

- لئن عدت بعد اليوم إلى لظالم * سأصرف وجهي حيث تُبنى المكارم
متى ينبجُ الغادى اليك بحاجة * ونصفك محبوب ونصفك نائم؟
- ٢٠

وقال آخر

ولست بمتخذ صاحباً * يُقيم على بابه حاجبا

إِذَا جِئْتُ قَالَ لَهُ حَاجَةٌ * وَإِنْ عَدْتُ أَلْفَيْتُهُ غَائِبًا
وَيُلْزَمُ إِخْوَانَهُ حَقَّهُ * وَلَيْسَ يَرَى حَقَّهُمْ وَاجِبًا
فَلَسْتُ بِلَا قِيَمَةٍ حَتَّى الْمَمَاتِ * إِذَا أَنَا لَمْ أَلْقَهُ رَاكِبًا

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الججاج وكان يحجبه دائما
أَلَا رَبُّ نَصَحَ يُغْلِقُ الْبَابُ دُونَهُ * وَغَشَّ إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرَّبُ
وقال آخر

مَاضَا قَتِ الْأَرْضُ عَلَى رَاغِبٍ * يَطْلُبُ الرِّزْقَ وَلَا هَارِبٍ
بَلْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى طَالِبٍ * أَصْبَحَ يَشْكُو جَفْوَةَ الْحَاجِبِ

ومحج رجل عن باب سلطان فكتب إليه: «نحن نفوذ بالله من المطامع الدنيئة
والهمم القصيرة وابتذال الحرزية، فان نفسى والحمد لله أبتة ما سقطت وراء هممة
ولا خذلها صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ولا طيعت على طبع وقد رأيتك ولتت
عروضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يشينه وجعلت ترجمان عقلك من يكثر من
اعدائك ويتقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الدم اليك] ويضغن
قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة، ويزيل
المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحط العلى الى مرتبة الوضع ويرفع الدنى الى مرتبة
الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذى البذاذة ويميل الى ذى اللباس
والزينة ويقدم على الهوى ويقبل الرشا» .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تَأْبَى خَلَاتِقُ خَالِدٍ وَفَعَالِهِ * إِلَّا تَجَنَّبَ كُلَّ أَمْرٍ عَائِبٍ
فَإِذَا أَتَيْتَ الْبَابَ وَقْتَ غَدَائِهِ * أَذْنُ الْغَدَاءِ بُرْغَمُ أَنْفِ الْحَاجِبِ

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وهذا ضد قول الآخر

إذا تغذى فتر بوابه * وأرتد من غير يد بابه
ومات من شهوة ما يُحتسى * عياله طرا وأصحابه

وقال آخر

يا أميرا على جريب من الأر * ض له تسعة من الحجاب
قاعدا في الخراب يُحجب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر

على أى باب أطلب الاذن بعد ما * مُجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقال الطائي

يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده لمراعى جوده كُتب
ليس المحجاب بمُقصر عنك لى أملا * إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا

ومحجّب حاولته فوجدته * نجما عن الركب العفاة شسوعا
أعدمته لما عدمت نواله * شكرى فرحنا معدمين جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالباب أمس القعودا * وجُفينا به جفاء شديدا
وذمنا العبيد حتى إذا نحن * بلونا المولى عذرنا العبيدا

ومُجب رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبلة قوما فانت لها نبل
فلا ترتفع عنا لشيء وليته * كما لم يصغر عندنا شأنك العزل

وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى الى صديق له : « إن كان ذهولك عنا لدنيا
 أَخْضَلَتْ عَلَيْكَ سَمَائُهَا وَأَرْتَبَتْ بِكَ دِيَمُهَا ^(١) إِنْ أَكْثَرَ مَا يَجْرِي فِي الظَّنِّ بِكَ بَلْ فِي الْيَقِينِ
 مِنْكَ أَنْكَ أَمْلَكَ مَا تَكُونُ لِعَنَانِكَ أَنْ يَجْمَحَ بِكَ وَلِنَفْسِكَ أَنْ تَسْتَعْلَى عَلَيْكَ إِذَا لَانَتْ لَكَ
 أَكْأَفُهَا] وَأَنْقَادُ ^(٢) فِي كَفِّكَ زَمَامُهَا لَأَنَّكَ لَمْ تَتَلَّ مَا نَلَتْ خَلْسًا وَلَا خَطْفًا، وَلَا عَنْ مَقْدَارِ
 جَرَفِ الْيَكِّ غَيْرَ حَقِّكَ وَأَمَّا نَحْوُكَ سَوَى نَصِيْبِكَ . فَإِنَّ ذَهَبْتَ إِلَى أَنْ حَقِّكَ
 قَدْ يَحْتَمِلُ فِي قُوَّتِهِ وَسَعَتِهِ أَنْ تَضُمَّ إِلَيْهِ الْجَفْوَةُ وَالنَّبْوَةُ فَيَتَضَاعَلُ فِي جَنْبِهِ وَيَصْغُرُ عَنْ
 كِبِيرِهِ فَغَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنْ ذَلِكَ . وَآيَمُ اللَّهِ لَوْلَا مَا بُلِيَتْ بِهِ النَّفْسُ مِنَ الظَّنِّ بِكَ وَأَنَّ مَكَانَكَ
 مِنْهَا لَا يَسِدُّهُ غَيْرُكَ نَسَخَتْ عَنْكَ وَذَهَلَتْ عَنْ إِقْبَالِكَ وَإِدْبَارِكَ وَلَكَانَ فِي جَفَائِكَ مَا يَرِدُ
 مِنْ غَيْرَتِهَا وَيُرَدُّ مِنْ غُلَّتِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمَّا تَكَامَلَتِ النِّعْمَةُ لَكَ تَكَامَلَتِ الرِّغْبَةُ فِيكَ .
 أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعَتَبِيِّ قَالَ : قَالَ مَعَاوِيَةُ لِحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ
 فِي أَخْرِيَاتِ النَّاسِ : يَا أَبَا سَاسَانَ كَأَنَّهُ لَا يُحْسَنُ إِذْنُكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ

كُلَّ خَفِيفِ الشَّأْنِ يَسْعَى مَشْمُرًا * إِذَا فَتَحَ الْبُؤَابَ بِابِكَ إِصْبَعًا
 وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ رِزَانَةً * وَحَلَمْنَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ أَجْمَعًا

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَشَرِ بْنِ مَرْوَانَ

بَعِيدُ مَرَدِّ الْعَيْنِ مَارِدٌ طَرْفَهُ * حَذَارُ الْغَوَاشِيِ بَابُ دَارِ وَلَا يَسْتُرُ
 وَلَوْ شَاءَ بَشَرُكَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ * طَلَّاطِمُ سُودٍ أَوْ صَقَالِبَةُ حَمَرُ
 وَلَكِنْ بَشَرًا يَسَّرَ الْبَابَ لِلَّتِي * يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ

وَقَالَ بَشَرُ

فَلَا تَجْلَا بِجَلِّ ابْنِ قَرْعَةَ إِنَّهُ * مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا وَلَعَلَّ الْفَاءَ سَقَطَتْ مِنْ قَلَمِ النَّاسِخِ .

(٢) كُلُّ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْسَيْنِ الْمَرْبَعِينَ غَيْرُ مُوجُودٍ بِالنَّسْخَةِ الْفَتْوَعَرَاغِيَّةِ وَقَدْ تَقْلَنَاهُ عَنِ النَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ .

إذا جئته في العُرف اغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين

فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا * وفي كل معروف عليك يمين

وقال ابن هرمة يمدح

هش إذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام

وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدرا أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخل

فكتب إليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعذر تعلل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عكراش

وإني لأرثي للكريم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبه

وأرثي له من مجلس عند بابه * كثر ثبتي للطرف والعُج راكمه

وكتب عبد الله بن أبي عينة إلى صديق له

أنتك زائر لقضاء حق * فخال السُّر دونك والحجاب

ولست بساقط في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذباب

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزيري قال: كتابا بـالفضل بن الربيع وهم يأذنون

لذوى الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طُرح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذنتنا يَعتَم زَرتنا * وليس للحسب الزاكي بعتَم

ولو دُعينا على الأحساب قدمنى * مجد تليد وجد راجح نامى

متى رأيت الصقور الجدل يقدّمها * خُططان من رَحيم قُرْع ومن هام

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية: من أنت؟ فقال له: يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه. مثلك ينكر مثلي من رعيته! فقال له معاوية: إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه، وأعرف اسمك في الأسماء إذا ذكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه، فاذكري اسمك تجتمع معرفتك. استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر فدخل عليه بفلس فوق صاحبه. فقال معاوية: إن الله قد ألزمتنا تأديبكم كما ألزمتنا رعايتكم، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك. فقم لا أقام الله لك وزنا.

دخل أبو مجلز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان، فلم يقبل عليه. فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس: هذا أبو مجلز. فردده واعتذر إليه وقال: إني لم أعرفك. قال: يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني.

قال أشجع السامي يذكر باب المنصور بن زياد^(١)

على باب ابن منصور * علامات من البذل
جماعات وحسب البا * بفضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح. وقال بعض الشعراء
مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابل نجم الأسواق
أرجوك أم خافوك أم شاموا الحيا * بحرآك فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرع العذب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية. وفي الفتوغرافية منصور. والصواب محمد بن منصور كما في الكامل للبريد وهو المطابق لقوله «ابن منصور» في البيتين. (٢) الحرا والحراة الناحية.

وقال آخر * إن الندى حيث ترى الضغاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يلد طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الحب^(١) وتغشى منازل الكرماء

دق رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا.

خرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا.

قال أبو العتاهية

إذا أشد دوني حجابُ امرئ * كفت المؤونة حجابَه

حجب أعرابي على باب السلطان فقال

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم * ولا يكرم النفس الذى لا يهينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوك وفودهم * تفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت الباب أيقنت أننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال أبو القمقام الأسدي^(٢)

أبلغ أبا مالك عنى مغفلة * وفى العتاب حياة بين أقوام^(٣)

(١) فى النسخة الفتاوغرافية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين ونسبه لهمام الرقاشى ونسبه المرتضى فى التاج لعصام بن عبيد الزتاتى .

(٣) كذا بالأصل ويوافقه لسان العرب وفى البيان للجاحظ والتاج للرتضى : أبا سمع

أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ * مِنْ قَبْلُ أَنْ يَلْجُوا الْآبَوَابَ قَدَامِي
لَوْ عُدَّ بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ * بَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَتَرِ الدَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ * بِيَابِ دَارِكَ أَدْلُسُهَا بِأَقْوَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

وإلقاء النصيحة إليه

العتبي قال قال عمرو بن عُتْبَةَ اللوليد حين تَكَرَّهَ النَّاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ تُنْطَقْنِي
بِالْأَنْسِ بَكَ وَأَنَا أَكْفَيْتُ ذَلِكَ بِالْهَيْبَةِ لَكَ . وَأَرَاكَ تَأْمِنُ أَشْيَاءَ أَخَافُهَا عَلَيْكَ ، أَفَأَسْكُتُ
مَطِيعًا ؟ أَمْ أَقُولُ مَشْفِقًا ؟ فَقَالَ : كُلُّ مَقْبُولٍ مِنْكَ ، وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ نَحْنُ صَائِرُونَ
إِلَيْهِ . وَنَعُودُ فَتَقُولُ : فَقَتِلْ بَعْدَ أَيَّامٍ .

وَفِي إِلقاءِ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ : قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى بَعْضِ
مُلُوكِهِمْ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ نَصِيحَتُكَ وَاجِبَةٌ فِي الْحَقِيرِ الصَّغِيرِ بَلِّغْهُ الْجَلِيلَ الْخَطِيرَ
وَلَوْلَا الثِّقَةُ بِفَضِيلَةِ رَأْيِكَ وَاحْتِمَالُكَ مَا يَسُوءُ مَوْقِعُهُ مِنَ الْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ فِي جَنْبِ
صِلَاحِ الْعَاقِبَةِ وَتَلَا فِي الْحَادِثِ قَبْلَ تَفَاقُّهِ لَكَ خَرَقًا مَنِي أَنْ أَقُولَ ، وَإِنْ كُنَّا إِذَا رَجَعْنَا
إِلَى أَنْ بَقَاءَنَا [مَوْصُولٌ ^(١)] بِبَقَائِكَ وَأَنْفُسَنَا مَعْلُوقَةً بِنَفْسِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَداءِ الْحَقِّ
إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي [أَوْ خَفْتُ ^(١) أَلَّا تَقْبَلَ مِنِّي] ، فَانْهَ يَقَالُ : مِنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ
نَصِيحَتَهُ وَالْأَطْبَاءَ مَرَضَهُ وَالْإِخْوَانَ بَيْتَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ .

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إني قد أعددت لك لأمر . قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنْ اللَّهُ قَدْ أَعَدَّ لَكَ مَنِي قَلْبًا مَعْقُودًا بِنَصِيحَتِكَ وَيَدًا مَبْسُوطَةً بِطَاعَتِكَ وَسَيْفًا مَشْخُودًا
عَلَى عَدُوِّكَ فَإِذَا شِئْتَ قَتَلْ .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفي مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى آغدْ عليَّ غداً لكذا .
 فقلت : أنا والصبح كفرسي رهان . وفي مثله : أمر بعض الأمراء رجلاً بأمر فقال
 له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
 وأذل لك من الحذاء .

التلطف في مدحه

قال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته،
 فانك قد زنتها، ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها، فانت كما قال القائل
 وإذا الدّر زان حسن وجوه * كان للدّر حسن وجهك زيناً
 فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولاً ولم يعط معقولاً .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
 فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
 رأيك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن
 مِلَّ بينك وبين الذين سَمَوْا لرتبتك وجَرَوْا إلى غايتك فأسقطهم مضمارك وخَفَوْا
 في ميزانك ولم يزدك رفعةً إلا أزددتَ لله تواضعاً ، ولا بسطاً وإيناساً إلا أزددتَ له
 هيبةً وإجلالاً ، ولا تسليطاً وتمكيناً إلا أزددتَ عن الدنيا عَزْ وِفاءً ، ولا تقرباً إلا أزددتَ
 من العامة قرباً . ولا يخرجك فرط النصيح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إثارة حقه
 عن الأخذ لها بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه ، ولا تشغلك
 جلائل الأمور عن التفقّد لصغارها ، ولا الجأل بصلاحها واستقامتها عن استشعار
 الحذر وإمعان النظر في عواقبها » .

- ٢٠ وفي مدحه : دخل العُمانيّ الراجل على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخُفّ
 سادج ، فقال له الرشيد : يا عمانيّ ، إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكُور

(١) وخَفَّان دَلْقَان فَبَكَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ تَرَيَا بَرِيَّ الْأَعْرَابِ ثُمَّ أَنْشَدَهُ وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ :
يا أمير المؤمنين قد والله أنشدتُ مروانَ ورأيتُ وجهه وقبَلتُ يده وأخذتُ جائزته
ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السَّقَّاحُ ثم المنصور ثم المهدي . كُلُّ هَؤُلَاءِ
رَأَيْتُ وجوههم وقبَلتُ أيديهم وأخذتُ جوائزهم ، إلى كثير من أشباه الخلفاء وِجَارِ
الأمراء والسادة والرؤساء ، والله ما رأيتُ فيهم أبهى مَنْظَرًا ولا أحسنَ وجهًا ولا أنعمَ
كفًّا ولا أُنْدَى راحةً منك يا أمير المؤمنين . فَأَعْظَمَ لَهُ الْجَائِزَةَ عَلَى شَعْرِهِ وَأَضْعَفَ لَهُ
عَلَى كَلَامِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَبَسَطَهُ حَتَّى تَمَنَّى جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ قَامَ ذَلِكَ الْمَقَامَ .

وفي المديح : كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال : « إن الله
قد جعل جَدَّكَ عاليًا وجعلك في كل خير مُقَدِّمًا وإلى غاية كل فضل سابقًا وصيرك ، وإن
نأت بك الدار ، من أمير المؤمنين وكرامته قريبًا ، وقد جدد لك من البر كيت وكيت .
وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله » .
وفي مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئًا ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعرُ فيك فوق قدرى ، ولكنني أستحسن
قول العتّابي

ما ذا يرى قائلٌ يثنى عليك وقد * ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير
فَتُ الْمِدَائِحُ إِلَّا أَنْ أَلْسُنًا * مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تُخْفِي الضَّمَائِرُ
[في عترة لم تقم إلا بطاعتهم * من الكتاب ولم تُفَضَّ المشاعير
هذي يمينك في قُرباك صائلة * وصارمٌ من سيوف الهند مأثور]

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والدَّقَمَ كما في القاموس دويبة كالسَّمُور . وفي العقد الفريد « دَلْقَان » .
وفي البيان والتبيين « دَمَالِقَان » والدمالق الحجر الأملس .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .
(٣) في الأصل « عبرة » بالباء الموحدة والتصحيح عن الأغاني .
(٤) في الأصل « جدواك مائلة » والتصحيح عن الأغاني .

وفي مدحه : كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على المُنْتَفِعِ عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه تقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها . ومن سعادة جَدِّكَ أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايعين ومساعدة النية على ظاهر القول » .

- ٥ وفي مثله كتب بعض الأدباء الى الوزير : « مما يُعين على شكرك كثرة المنصتين له ، ومما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .

- وفي مثل ذلك : لما عقَد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمر بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فان يزيد ابن معاوية أمل تأملونه وأجل تأمنونه ، إن استضيفتم إلى حِلْمِهِ وَسِعِكُمْ ، وإن أحتجتم الى رأيه أرشدكم ، وإن أفترقتم الى ذات يده أغناكم . جَدَّعُ قَارِحُ سُوقِ فسبق ومُوجِدُ فَجَدُ وقُورِعُ فخرج فهو خَلَفَ أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

- وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أسكتني عن وصفك نساوي أفعالك في السوود وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردت ذكر واحدة اعترضت أختها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فلست أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

- وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم ، والشئ يتغلغل في معدنه ويحج إلى عنصره ، فاذا صادف منيته ولز في مغرسه ضرب بعرقه وسمق بفرعه وتمكن تمكن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

٢٠ يتغلغل في معدنه ويحج إلى عنصره ، فاذا صادف منيته ولز في مغرسه ضرب بعرقه

وفي مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالخبر
عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أني حيث
انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصّر عن الغاية فانصرفت عن الشاء عليك الى
الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

وفي مثله كتب العتّابي الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية
أعلام أهل بيتك ، المسدود بك ثلّهم والمجدد بك قديم شرفهم والمنتبه بك أيام صيتهم
والمنبسط بك [آمألنا والصائبك أكألنا والمأخوذ بك ^(١)] حظوظنا ، فانه لم يمحّل من
كنت وارثه ، ولا درّست آثار من كنت سالك سبيله ولا آحّث معاهد من خلّفته
في مرتبته » .

وفي شكره : قرأت في التاج قال بعض الكتاب لللك : « الحمد لله الذي أعلقني سببا
من أسباب الملك ورفع خسيستي بمخاطبته وعزز ركني من الدلة به وأظهر بسطقي
في العامة وزين مقاومتي في المشاهدة وفقاً عنى عيون الحسدة وذلل لي رقاب الجبابرة
وأعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عقبا يوطأ وخطرا يعظم ومزية تحسن ، والذي
حقّق في رجاء من كان يأملني وظاهر به قوة من كان ينصرني وبسط به رغبة من
كان يسترفدني ، والذي أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني ، وجعلني من أكفاه
في كنف آتسع عليّ » .

وفي شكره وتعداد نعمه : قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره
جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفة والطاعة وحذرهم المعصية
وصنّف الناس أربعة أصناف ، فخر القوم شجداً وتكلّم متكلّمهم مجيها فقال : « لا زلت

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

أيها الملك محبوباً من الله بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت
نتابع لديك النعم وتُسبِّحُ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها
ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده والحظوة
لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور
والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق
• علينا من ضياء نورك ما عمّنا عموم ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك
ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، فجمعت الأيدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها
وألفت بين القلوب بعد تباعضها وأذهبت الإحْـ والحسائِكَ بعد استعمار نيرانها ،
وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحَدُّ بتعداد ، ثم لم ترضَ بما عَمَّمتنا به من هذه
النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحبت توطيدها والاستيثاق منها وعملت لنا
١٠ في دوامها كعملك في إقامتها وكفّلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخُلُوف والأعقاب ،
وبلغت هممتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الآباء للأولاد ، بخراك الله الذي رضاه تحزيت
وفي موافقته سعت أفضل ما التمسْت ونويت » .

وفي مثله : قال خالد بن صفوان لوإل دخل عليه : « قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من
نظرك ومجالسك وصلاتك وعدلك حتى كأني من كل أحد أو كأني لست من أحد » .
١٥ وفي شكره : كتب بعض الكتاب إلى الوزير يشكره : « من شكرك عن درجة
رفعتك إليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتها وحُشاشة تبقيتها
ورمقي أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدّ تنتهي إليه ومدى
توقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطُرف خلا هذه النعمة التي فاتت الوصف
٢٠ وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَّا جَمَّةٌ أَبْقَتْ لِلْمَاضِينَ مِنَّا وَلِلْبَاقِينَ نَخْرَ الْأَبْدِ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
 أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا نَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَخْلُقُهُ لِلْأَعْقَابِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رُءُوفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ
 الشَّاكِرُ مِنَّا وَأَيْنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادَ مُجْتَهِدِنَا وَمَتَى تُؤَدِّي مَا يُلْزِمُنَا وَتَقْضِي الْمَفْتَرَضَ عَلَيْنَا وَهَذَا
 كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَأْثُهُ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مِنَّا وَمَنْ غَيْرِنَا
 إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صَنُوفِ كِرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطَبَتِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ
 مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيُسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ .

التلطف في مسألة العفو

قال كسرى ليوشث المغني^(*) وقد قتل فهلوذ حين فاقه وكان تلميذه : « كنتُ
 أسترخ منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرتي حتى حسدك ونغل صدرك » ثم أمر
 أن يلقى تحت أرجل الفيلة فقال : أيها الملك إذا قتلتُ أنا شطرَ طربك وأبطلته
 وقتلتُ أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنايتك على طربك بكنائتي عليه ؟
 قال كسرى : دعوه، ما دله على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدة .

وفي العفو أيضا . قال رجل للنصور : « الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيدُ
 أمير المؤمنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس النصبيين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .
 وفي العفو : جلس المجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن ، فقام إليه رجل منهم فقال :
 أيها الأمير إن لي عليك حقا . قال : وما حقا علي ؟ قال : سبك عبد الرحمن يوما
 فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشد الله رجلا سمع ذاك
 إلا شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . فقال : خلوا

(*) في الأغاني ج ٥ ص ٥٨ : الفهليذ .

عنه . ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكروا ؟ قال : لقد يم بغضى إياك . قال :
ويحلى هذا لصدقه .

وفى العفو: أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه ، فلما
أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذى أمكن منك . قال : لا تقل ذاك فإنها مصيبة .
قال : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة
من أصحابي . اضربا عنقه . فقال : آلهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك
ترضى قتلى ، ولكن قتلتني فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو
أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببت فأوجعت
فى السب ودعوت فأبلغت فى الدعاء . خليا سبيله .

وفى مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .

يدى يا أمير المؤمنين أعيدها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمالي فارقها يمينها

فأبى إلا قطعه ، فدخلت عليه أمه فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدى وكاسي .
فقال : بئس الكاسب ! هذا حد من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب
التي تستغفر الله منها . فعفا عنه .

١٥

وفى مثله : أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما
رفع السيف ليضرب به شرط الشأمى فوق العمود بين يدي الغلام ونفرت دابة عبد الله
فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت إليه وقال : أصلح الله الأمير !
رأيت ضرورة قط أنجت من الموت غير هذه ؟ قال : لا ، [قال] هذا والله الإديبار . قال :
وكيف ذاك ؟ قال : ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأستتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا .

٢٠

وفي مثله : خرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فتر رجل من بني يشكر جالسا على غدير ماء، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال يشكرى : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمررت يدي على فرجها ، قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن ، إنك والله ما رأيت شيئا أكذب ولا أألم ولا أوضع ولا أعصّ يبظر أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دعوه ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظيمة * من الذنوب لفضلها
ولقد تُعاقب في اليسير * وليس ذاك لجهلها
إلا ليُعرف فضلها * ويُخاف شدة نكلها

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أن يكونا قد نصحا لك في عظم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا، ولكك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . وكان في اعتذاره إليه أن قال : إنه وإن بلغ جرmy استحلّال دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يُبلغاني عفوه ولى بعدهما شفعة الإقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حق^(*) الصفح عن جرmyك لبلغك ما أملت حسنُ تتصلك ولطف توصلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عنى المأمون صالة لرحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاء لحق عمومي، ولكن قامت له سوق في العفو فكره أن يُفسدها بي . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتّابي

رحل الرجاء إليك مُغتربا * حُشدت عليه نوائب الدهر

(*) هكذا بالفتوغرافية وفي العقد الفريد "نسبك" .

رَدْتُ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي * وَنِيَّ إِلَيْكَ عِصَانَهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَتَبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ * وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عِذْرِي

وقول علي بن الجهم للتوكل

عفا الله عنك ألا حرمة * ^(١) تعوذ بعفوك أن أبعدا
لئن جلّ ذنب ولم أعتمده * لآنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طوره * وموّلّي عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلاقيته * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقاني أقالك من لم يزل * ^(٢) يّيقك ويصرف عنك الردى

وفي مثله . وجد بعض الامراء على رجل بخفاه وأطرحه حيناً ثم دعا به ليسأله

عن شيء فراه ناحلا شاحبا . فقال له : متى اعتللت ؟ فقال

ما مسني سُقْمٌ ولعكني * جفوت نفسي إذ جفاني الأمير ^(٣)

فعاد له .

وقال آخر

ألا إن خير العفو عفوّ معجل * وشر العقاب ما يُجَارُ به القدر

وكان يقال : بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفي العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيت وإن عفوت أحسنت والعفو

أقرب للتقوى .

(١) في الأصلين الفتوغرافي والألماني «تجود» والتصويب عن الأغاني .

(٢) في نسخة : العدا .

(٣) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام في ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب العقد

ثرا وبعده «وآليت أن لأرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمرى نظراً برئى أحب إليه من سُقْمى وبراءتى أحب إليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة .
وفي مثله : أتى الأحنف ابن قيس مُصعب بن الزبير فكلّمه في قوم حبسهم ، فقال ، أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا في باطل فالحق يخرجهم ، وإن كانوا حُبسوا في حق فالعفو يسعهم ، فخلاهم .

وفي مثله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زُبَاع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيصة أنت رفعتها أو تنقض منى مرة أنت أبرمتها أو تُسَمِت بى عدوا أنت وقته ^(١) وإلا أتى جلمك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلياً عنه . ثم أنشد

* إذا الله سننى عقد أمرٍ تيسرا *

وفي مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به وليفعلن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفي مثله : قال ابن القريّة للحجاج في كلام له : أَقْلِنِي عَثْرِي وَأَسْغِنِي رَيْقِي فانه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة . فقال الحجاج : كلاً ، والله حتى أوردك جهنم . ألسن القائل برُسْتُقْبَاز : تَغْدُوا الجدى قبل أن يتعشاكم .
وفي مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله ، فاعفُ له فانك به تُعان وإليه تعود . نفلى سبيله .

(١) قهرته وأذله .

(٢) كذا بالأصل وفي الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه [بما عذبه به] : إن القدرة تذهب الحفيظة وقد جلّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرّون بالذنب ، فإن تعف فأهل العفو وإن تعاقب فما كان منا . فقال [أولى لك] ^(١) أما حتى تأتي الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب الحجاج أعناق أسارى أتى بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا أساءنا في الذنب فما أحسنت في المكافاة . فقال الحجاج : أف لهذه الحيف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكف عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول أى ربّ سلّ مصعباً فيم قتلنى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبت لى من حياتى فى خفّض . قال أعطوه ١٠
مائة ألف . قال : أبى أنت وأمى ، أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من الاله تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يحشى ولا كبرياء
يتقى الله فى الأمور وقد أفـلـح من كان همّه الاتقاء ١٥

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للصنيعة ، وأمره بلزومه وأحسن اليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفي مثله : قال عبد الملك بن الحجاج التغلبي لعبد الملك بن مروان : هربت إليك من العراق . قال : كذبت ، ليس إلينا هربت ، ولكك هربت من دم الحسين وخفّت على دمك فلجأت إلينا . ثم جاء يوماً آخر فقال ٢٠

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٢) فى النسخة الألمانية « عبد الله » .

أَدْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَرْثُقَ حَلَّتِي * وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعِ

وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْآخَرِ

كَنْتُ مِنْ كَرْبَى أَفْزَأَ إِلَيْهِمْ * فَهَمُّ كَرْبَى فَأَيْنَ الْفَرَارِ

وَفِي مِثْلِهِ : قَنَّعَ الْحِجَاجُ رَجُلًا فِي مَجْلِسِهِ ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ

وَلَيْسَ بِتَعْزِيرِ الْأَمِيرِ نَحْرَايَةً * عَلَى إِذَا مَا كُنْتُ غَيْرَ مُرِيدٍ

وَنَحْوَهُ

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ * لَكَالْدَهْرِ، لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وَفِي مِثْلِهِ : مَرَّ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِرَجُلٍ يُقَادُ مِنْهُ . فَقَالَ لِلْوَلِيِّ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّكَ

لَا تَدْرِي لَعَلَّ هَذَا قَتَلَ وَلِيَّكَ وَهُوَ لَا يَرِيدُ قَتْلَهُ ، وَأَنْتَ تَقْتُلُهُ مَتَعَمِدًا ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ .

قَالَ : قَدْ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ .

١٠

وَفِي مِثْلِهِ . حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عِيسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ : رُمِيَ الْحِجَاجُ

فَقَالَ : انْظُرُوا مِنْ هَذَا ؟ فَأَوْمَأَ رَجُلٌ بِيَدِهِ لِيَرْمِي . فَأُخِذَ فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ وَقَدْ ذَهَبَتْ

رُوحُهُ . قَالَ عِيسَى بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَتَحَكَّى الْحِجَاجَ : أَنْتَ الرَّامِيْنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؟ قَالَ :

نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْغِيُّ وَاللَّوْمُ ^(١) . قَالَ : خَلُّوا

عَنْهُ . وَكَانَ إِذَا صَدِيقٌ انْكَسَرَ

١٥

وَفِي مِثْلِهِ : حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَثْمَانَ الشَّحَّامِ قَالَ : أَتَى الْحِجَاجُ

بِالشَّعْبِيِّ فَقَالَ لَهُ : أَخْرَجْتَ عَلَيْنَا يَا شَعْبِي ؟ قَالَ : أَجْدَبَ بَنَا الْجَنَابِ وَأَحْزَنَ بَنَا الْمَنْزَلِ

وَاسْتَحْلَسْنَا الْخُوفَ وَاسْتَحْلَسْنَا السَّهْرَ وَأَصَابَتْنَا نَحْرِيَّةٌ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتْقِيَاءَ وَلَا بَخْرَةَ

أَقْوِيَاءَ . فَقَالَ الْحِجَاجُ : اللَّهُ أَبُولُكَ . ثُمَّ أَرْسَلَهُ .

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَلَعَلَهُ الْغِي .

٢٠

وفي مثله: أنى موسى بن المهدي رجل كان قد حبسه بفعل يُقرّعه بذنوبه . فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تقررني به ردّ عليك وإقرارى بما تعتدّه علىّ يلزمني ذنبا لم أجته، ولكنى أقول

فان كنت ترجو بالعقوبة راحة * فلا ترهّدن عند المعافاة في الأجر

وفي مثله: قال الحسن بن سهل أنعيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه :
٥ على رسلك أيها الرجل، تقدّمت لك طاعةً وتأنّرت لك توبة ، وليس لذنوب بينهما مكان ، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

وفي الدعاء له : قال رجل لبعض الأمراء : « إني لو كنت أعرف كلاما يجوز أن ألقّ به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس ، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظم من أمره ، غير أنى أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من
١٠ نيات القلوب أن يجعل ما يطالع عليه مما تبلغه نيتي في إرادته للأمير أدنى ما يؤتية إياه من عطاياه ومواهبه » .

وفي الدعاء له : قرأت في كتاب رجل من الكتاب « لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغه وأمل فيك تُحقّقه حتى تُتملى من الأعمار أطولها وترقى من الدرجات
١٥ أفضلها » .

وفي الدعاء : دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه فقال : السلام عليك أمير المؤمنين . محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وأبن دولتك وغصن من أغصان دوحتك ، أتأذن له في الكلام ؟ قال : نعم . فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه . فقال « نستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدياننا وأقاصنا ببقائك
٢٠ يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك

(١) في النسخة الفتوغرافية « لاجتبت » وهو تحريف .

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك » ثم تكلم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له : ما أقدمك عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت اليها وفاضت في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا ، وأما الرهبة فقد آمنّا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسن سيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكتاب الى وزير : « كلّ مدّي يبلغه القائل بفضلك والواصف لأيامك والشاكر للنعمة الشاملة بك قصد أم عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجب على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونماؤها ، فقد جمع الله بك الشّات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمنت سرب البريء وخفضت جأشه وأخفت سبل الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالعه ووقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة آمنوا بها من العثار والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل ، قال شبيب بن شيبه للمهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



تم كتاب السلطان، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَمْنَوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَعَسَى أَنْ تُبْتَلَوْا بِهِمْ وَلَكِنْ قُولُوا ۝ اللَّهُمَّ أَكْفِنَا وَكُفِّ عَنَا بِأَسْهَمٍ ، وَإِذَا جَاءَكُمْ يَعْزِفُونَ وَيَزْخَفُونَ وَيَصِيحُونَ فَعَلَيْكُمْ الْأَرْضُ جُلُوسًا ، ثُمَّ قُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ ، فَإِذَا غَشَوْكُمْ فَتُورُوا فِي وُجُوهِهِمْ » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن حدثه أن أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْغَزْوِ فَإِنَّمَا تَقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ . ١٠

حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أو صاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ وَأَمْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ وَبِلُزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْتَدُوا إِنْ لَمْ يَلَيْكُمُ الْمَعْتَدِينَ . لَا تَجْبُنُوا عِنْدَ الْلِقَاءِ وَلَا تَمْتَلُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَلَا تَسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ وَلَا تَقْتُلُوا هَرِمًا وَلَا أَمْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا . وَتَوَقَّوْا قَتْلَهُمْ إِذَا تَقَى الزَّحْفَانِ وَعِنْدَ ١٥

(١) في الألمانية "الحكم" .

مُحَمَّةُ النَّهَضَاتِ وَفِي شَنْنِ الْغَارَاتِ . وَلَا تَغْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ وَزَهْوِ الْجِهَادِ عَنْ عَرْضِ الدُّنْيَا وَأَبْشَرُوا بِالرَّبَّاحِ فِي الْبَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

استشار قوم أكرم بن صَيْفِيَّ في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال :
أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ ، وَعَلِمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصِّيَاحِ مِنَ الْفِشْلِ وَالْمَرءِ يَعْجِزُ
لَا مُحَالَةَ . تَثَبَّتُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنِ ، وَرُبَّتْ عَجَلَةٌ تُعَقِبُ رَيْثًا ، وَأَتَرَرُوا لِلْحَرْبِ
وَأَدْرَعُوا اللَّيْلَ فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
تَسَازَعُوا فَمَتَشَلُّوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي
قال ، قال عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَهُمْ — يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — جُثِيًّا عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ خُرْسٌ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْحَيَاتِ . قال :
وَسَمِعْتُهُمْ عَائِشَةَ يُكَبِّرُونَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَقَالَتْ : لَا تَكْثُرُوا الصِّيَاحَ فَإِنَّ كَثْرَةَ التَّكْبِيرِ
عِنْدَ الْلِقَاءِ مِنَ الْفِشْلِ .

وذكر أبو حاتم عن العُتْبِيِّ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ قَالَ : أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِيدَ بْنَ
أَبِي سَفْيَانَ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ : يَا يَزِيدُ سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَاذَا دَخَلْتَ
بِلَادَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْحَمَلَةِ فَإِنَّهُ لَا أَمَانَ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ . وَأَسْتَظْهِرُ بِالزَّادِ وَسِرْ
بِالْأَدْلَاءِ وَلَا تَقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ فَإِنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَأَحْتَرَسُ مِنَ الْبَيَّاتِ فَإِنَّ فِي الْعَرَبِ

غِرَّةً، وأقلل من الكلام فانما لك ما وُعي عنك. وإذا أتاكَ كتابي فأخذهُ فانما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قَدِمْتُ عليك وفودُ العجم فأنزلهم معظم عسكرِكَ وأسبغ عليهم النفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلحِّن في عقوبة ^(١) [فإن أدناها وجع] ولا تسرعن إليها وأنت تكتفى بغيرها. وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سرائرهم. ولا تجسَّس عسكرَكَ فتنفضحه ولا تهمله فتفسده. وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

[قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه إلى عُمان: يا عكرمة سر على بركة الله ولا تنزل على مستأمن ولا تؤمنن على حق مسلم وأهدر الكفر بعضه ببعض. وقدم النذر بين يديك. ومهما قلت إنى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا في عقوبة ولا عفو. ولا ترج إذا أمنت ولا تخاف إذا خُوفت ولكن أنظر متى تقول وما تقول. ولا تعدن معصية بأكثر من عقوبتنا فإن فعلت أثمت وإن تركت كذبت. ولا تؤمنن شريفا دون أن يكفل بأهله ولا تكفلن ضعيفا أكثر من نفسه. وأتق الله فإذا لقيت فاصبر.]

وأوصى عبد الملك بن صالح أمير سريّة إلى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالمُضارب الكيس الذي إن وجد ربحا تجر، وإلا احتفظ برأس المال. ولا تطلب الغنime حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك.

وحدثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة قال: أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمر بن العاص: «إذا بعثك في سرية فلا تنتقمهم وأقتطعهم فإن الله ينصر القوم بأضعفهم».

حدثني محمد بن عبيد ^(١) [عن ابن عيينة] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : « لا يغزوت معي رجل بنى بناء لم يكمله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يبين بها ، ولا رجل زرع زرعاً ثم لم يحصده » .

^(١) [وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يوزن به . لَرَأَيْتُهُ يَوْمَ صَفَيْنَ وَكَأَنَّ
عينه سراجاً ساطعاً وهو يحبس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنا في كَثِيفٍ ^(٢) فقال : معشر
المسلمين ، استشعروا الخشية وعتوا الأصوات ^(٣) وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ وَأَكْلَوْا اللَّؤْمَ وَأَخْفَوْا ^(٤)
انْحَنُوا وَقَلَقُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ السَّلَةِ وَالْخَطَا الشَّرَّ وَأَطَعُوا النَّسْرَ وَانْخَفَوْا ^(٥)
بِالْظُّبَا وَصَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخَطَا وَالرِّمَاحَ بِالنَّبْلِ وَأَمْشَوْا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سَجْجًا . وعلَّيكم
بهذا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ وَالرَّوَاقُ الْمُطَنَّبُ فَأَضْرِبُوا نَجْمَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رَاكِدٌ فِي كِسْرِهِ نَافِجٌ
خُصْيِيهِ مَفْتَرِشٌ ذِرَاعِيهِ قَدِ قَدَّمَ لِلْوَبَةِ يَدَا وَأَنَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلَا] .

ولما ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه
عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك .
وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ، فات الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، واذكر في يومك أحاديث غذك ترشد إن شاء الله .

قال الأصمعي قالت أم جيفويه ملك طخارستان لنصر بن سيار الليثي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشى إليه سره ، وحصن يلجأ إليه
إذا فزع فينجيه — يعني فرسا — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خونه ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل «كف» وهو تحريف والكف الحشد والجماعة .
(٣) من التعنية أي الحبس والأمير أي أحبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجد في نهج
البلاغة ولعله « أخفوا الخوذ » جمع خوذة أي اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم في الحرب . (٥) يقال طعن
نبر : مختلس كأنه ينبر الرمح عنه أي يرفعه بسرعة . وفي نهج البلاغة : والحظوا الخزروا طعنوا الشرر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

وبلغني عن عباد بن كثير عن عُقَيْل ^(١) [بن خالد] ^(٢) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» ^(٣) . [وقال رجل يوم حنين: لن تغلب اليوم عن قلة . وكانوا اثني عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ إِلَّا يُاهِلُهُ) . وقالوا كان يقال: ثلاث من كن فيه كن عليه : البني، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنكث، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وقرأت في كتاب للهند : لا ظفر مع بغي، ولا صحة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا اجتناب محرم مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سودد مع انتقام، ولا رياسة مع غمارة وتجب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك فقبل له : ما يهتك منهم؟ وجّه اليهم وكيع بن أبي سود فانه يكفيكمهم . فقال : لا ، إن وكيعا رجل به كبر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غرة .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي النسخة الألمانية : الزبيري والصواب الأول فان المعروف في كتب طبقات المحمدين أن عقيل بن خالد يروي عن الزهري والزهري يروي عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) في الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت في بعض كتب العجم أن ملكا من ملوكهم سئل : أى مكايد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغش ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسد ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن ورائق الحزم في القتال فقال : مخالطة العدو عن الرّيف وإعداد العيون على الرّصد وإعطاء المبلّغين على الصدق ومعاينة المتوصّلين بالكذب والألّحرج هاربا الى قتال ولا تُضيق أمانا على مستأمن ولا تُسبّ عن أصحابك للبغيّة ولا تُسدهنك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت في كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر المواثبة إن قُرب ، والغارة إن بُعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بُدّا لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاءه يسرا ورميه شزرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدما وترك ذلك على حال مُمايلة أو مُجانبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشرفا ويلتمس وضعه فيه فإن أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان فإن زالت المادّتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذا عى الجند فليتناوش أهل الميمنة والمادّتان فاما الميسرة] فلا يُشدّت منهم أحد إلا أن يبادر اليهم من العدو من يخاف باثقتة فيردّون عاديتهم مع أن أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرّون على لقاء من يناوشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرّون على مناوشة

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا "المادّيان" ولم نوفق الى تصويبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- الا مائلين ويعجزهم الرجوع عاطفين . ولا يألون صاحب الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، ولا يحاربون جندا الا على أشد الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بد ، فاذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يحلّي بين المهزمين وبين الذهاب ولا يُحبسوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يُحال بينهم وبينه لئلا يُخرجوا الى الجند في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند اليه ، فان أسلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولتسير الطلائع في قرار من الأرض ويقفوا على التلّاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن الكمين في الخمر والأماكن الخفية . وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها اليبات . وليحترس صاحب الجيش من انشار الخبر عنه فان في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجريين ذوى حنكة وبأس فيدار العدو الجند الى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فيدار الجند الى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف عدّة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلهم بعد أن يزيدوا على عدّة العدو مثل نصف عدتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن ينتخب للكمين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عطاس ويُختار لهم من الدواب ما لا يصهل ولا يغث^(١) ، ويُختار لكونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤثى ، قريبة من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية "يعت" . ولعل الصواب ينهت كضرب والنهات

النفى بأنين وهو الزحير .

الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المكن متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم توائ وتفریط وإذا أمرجوا دوابهم في الرعى، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف . وأن يرفضوا ويفرقوا إذا ثاروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت . وينبغي للبيتين أن يفترصوا البيات إذا هبت ريح أو أونس من نهر قريب منهم خريرقانه أجدر ألا يسمع لهم حس . وأن يتوحن بالوقعة نصف الليل أو أشد ما يكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبقيتهم حوله، ويبدا بالوقعة من يصير منهم في الوسط ليسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يشرّد قبل الوقعة الأفره فالأفره من دوابهم ويقطع أرسانها وتهمز بالرماح في أعجازها حتى تتحير وتغير ويسمع لها ضوضاء، وأن يهتف هاتف ويقول : يا معشر أهل العسكر النجاء النجاء فقد قتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . ويقول قائل : أيها الرجل استجني لله . ويقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوه أوه، ونحو هذا من الكلام . ولعلم أنه إنما يحتاج في البيات الى تحير العدو وإخافته وليجتنبوا التقاط الأمتعة وأستياق الدواب وأخذ الغنائم . قال : وينبغي في محاصرة الحصون أن يستمال من يقدر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بخصيلتين : إحداهما استنباط أسرارهم، والأخرى إخافتهم وإفزازهم بهم، وأن يدس منهم من يصغر شأنهم ويؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكيدتهم، وأن يفاض حول الحصن ويشار اليه بالأيدي كأن فيه مواضع حصينة وأخر ذليلة ومواقع ينصب المجانيق

(١) في النسخة الفتوغرافية بعد هذا زيادة : وأنشد

فأوه بذكرها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض دونها وسما .

عليها ومواضع ثَمَيَّ العَرَادَات لها ومواضع تُنْقَبُ نَقْباً ومواضع توضع السِّلَاحُ عليها ومواضع يُتَسَوَّرُ منها ومواضع يُضْرَمُ النار فيها لِيَمْلَأَهم ذلك رعباً، ويكتب على نُشَابَةٍ: إِيَّاكُمْ أَهْلَ الْحَصْنِ وَالْإِعْتِرَارِ وَإِغْفَالِ الْحِرَاسَةِ، عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ الزَّمَانَ خَبِيثٌ وَأَهْلُهُ أَهْلٌ غَدَرٌ فَقَدْ خُدِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَصْنِ وَأَسْتَمِيلُوا، وَيُرْمَى بِتِلْكَ النُّشَابَةِ فِي الْحَصْنِ ثُمَّ يُدَسُّ لِمَخَاطِبَتِهِمُ الْمُنْطِيقُ الْمُصِيبُ الدَّهْيُ الْمَوَارِبِ الْمُخَاتِلِ غَيْرِ الْمِهْذَارِ وَلَا الْمَغْفَلِ. وَتَوَثَّرَ الْحَرْبُ مَا أَمَكْنَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي الْمَحَارِبَةِ جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَى مَنْ حَارِبَهُمْ وَدَلِيلًا عَلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْمَحَارِبَةِ فَلْيَحَارِبُوا بِأَخْفِ الْعُدَّةِ وَأَيْسَرِ الْأَلَةِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الْعَدُوُّ عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ الْخَمَرِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ لِلْعَسْكَرِ وَمَصَافِّ الْجُنُودِ وَيُخَلَّى بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ بَسَاطَةِ الْأَرْضِ وَدَكَاذِكِهَا.

١٠ وفي بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سئل عن أشدِّ الأمور تدريباً للجنود وَتَحْذِئاً لَهَا، فَقَالَ: اسْتِعَادَةُ الْقِتَالِ وَكَثْرَةُ الظَّفَرِ، وَأَنْ تَكُونَ لَهَا مَوَادٌّ مِنْ وَرَائِهَا وَغَنِيمَةٌ فِيمَا أَمَامَهَا، ثُمَّ الْإِكْرَامُ لِلْجَيْشِ بَعْدَ الظَّفَرِ وَالْإِبْلَاحُ بِالْمُجْتَهِدِينَ بَعْدَ الْمُنَاصِبَةِ، وَالتَّشْرِيفُ لِلشَّجَاعِ عَلَى رِعْوسِ النَّاسِ.

قال المدائني [قال نصر بن سيار] ^(١): كَانَ عِظَاءُ التَّرْكِ يَقُولُونَ: الْقَائِدُ الْعَظِيمُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ: شَجَاعَةُ الدِّيكِ، وَتَحَنُّنُ الدَّجَاجَةِ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ، وَحَمَلَةُ الْخَنْزِيرِ، [وَرَوْغَانُ الثَّلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ. وَكَانَ يُقَالُ فِي صِفَةِ الرَّجُلِ الْجَامِعِ: لَهُ وَثْبَةُ الْأَسَدِ، وَرَوْغَانُ الثَّلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ] ^(١) وَجَمْعُ الذَّرَّةِ، وَبُكُورُ الْغَرَابِ.

وَكَانَ يُقَالُ: أَصْلَحَ الرَّجُلُ لِلْحَرْبِ الْمُجَرَّبُ الشَّجَاعُ النَّاصِحُ.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمر بن معاوية العُقيلي
 وكان صاحب صَوَائِف : بم ضبطت الصوائف ؟ أي الثغور قال : بِسَانَةِ الظَّهَرِ وكثرة
 الكعك والقديد . وفي كتاب الآيين : ليكن أول ما تحمله معك خبزاً ثم خبزاً ثم خبزاً .
 وإياك والمقارش والثياب . أبو اليَقْظَان قال قال شبيب الخارجي : الليل يكفيك
 الجبانَ ونصف الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أنا كم المَدَد ، يعني الليل .
 وقيل لبعض الملوك : يَبْتَ عَدُوْكَ . قال : أكره أن أجعل غَلْبَتِي سرقة .

المدائني قال : لما اشتغل عبد الملك بحاربة مُصْعَب بن الزبير اجتمع وجوه
 الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكستك الفرصة من العرب بتشغل بعضهم ببعض ،
 فالرأى أن تغزوهم في بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، ودعا بكليين فأرشد
 بينهما فاقْتَتَلَا قتالا شديداً ، ثم دعا بشعلب نخله بينهما ، فلما رأى الكلبان الشعلب تركا
 ما كانا فيه وأقبلوا على الشعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم .
 فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يَكُنْ العدو الذي قد كشف لك عن
 عداوته بأخوف عندك من الظَّئِن الذي يستتر لك بمخاتلته ، فانه ربما تخوف الرجل
 السُّمَّ الذي هو أقتل الأشياء وقتله المَاء الذي يحيي الأشياء ، وربما تخوف أن يقتله
 الملوك التي تملكه ثم قتلته العبيد التي يملكها . فلا تكن للعدو الذي تُنَاصِب بأحذر
 منك للطعام الذي تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نَذِيرَكَ وإن عظم آمن مني
 من كل أمر عرَّيتَه من نَذِيرِكَ وإن صغرُ . واعلم أن مدينتك حرز من عدوك ،
 ولا مدينة تَحْزُرُ فيها من طعامك وشراك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع
 واحدة إلا وقد تُقْتَلُ بها الملوك .

- وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع قُطْبَةَ من خراسان، يَبْنَا هو على سطح بيت في قرية قد نزلها وهم يتغذون نظر إلى الصحراء فرأى أَقَاطِيعَ ظَبَاءٍ قد أَقْبَلَت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقُطْبَةَ : أيها الأمير نادِ في الناس : يا خيل الله اركبي، فإن العدو قد نَهَدَ إليك وَحْشًا، وغاية أَصْحَابِكَ أَنْ يُسْرِجُوا وَيُلْجِمُوا قبل أن يروا سُرعَانَ الخيل، فقام قُطْبَةُ مذعورا فلم ير شيئًا يروعه ولم يعين غبارًا، فقال لخالد : ما هذا الرأي؟ فقال خالد : أيها الأمير لا تُتَشَاغِلْ بي ونادِ في الناس . أما ترى أَقَاطِيعَ الوحش قد أَقْبَلَت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس ! إن وراءها جَمْعًا كثيفًا . قال : فوالله ما أَسْرَجُوا ولا أَجْمُوا حتى رأوا ساطع الغبار فساموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أَصْطَلَمَ .
- ١٠ وقال بعض الحكماء لبعض الملوك : آمرك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك في غد كما تُعَدُّ السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عَتَادَ البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تُعَدُّ الطعام لَعَدَدِ الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله . وكان يقال : كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته .
- ١٥ [وقرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك ساريجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهَيَاطِلَةِ بَلَّخَ، فلما انتهى إلى بلاده اشتدَّ رُعب اخشنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزرائه في أمره، فقال له رجل منهم : أعطني موثقا وعهدا تطمئن إليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن إليهم وتحلفني فيهم، ثم أَقْطَعْ يدي ورجلي وأَلْقِني على طريق فيروز حتى يتربى هو وأصحابه فأكفيك مؤوتهم [وشوكتهم] وأورطهم مورطا تكون فيه هلكتهم . فقال له اخشنوار : وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت
- ٢٠

ولم تَشْرِكنا في ذلك؟ قال : إني قد بَلَغْتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قلائل، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُنَحَّم به الأعمار من النصيحة لآخواني والنكاية في عدوى فيشرف بذلك عقبي وأصيب سعادة وحُظوة فيما أُمِى، ففعل به ذلك وأمر به فألقى حيث وصف له .

فلما مرَّ به فيروز سألَه عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُمِلَ الى ذلك الموضع ليدلَّه على عورته وِغْرَتِه وقال : إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذى تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجموا عليه فينتقم الله لى منه بكم، وليس فى هذا الطريق من المكروه الا تَفْوِيزُ يومين ثم تُقْضَوْنَ الى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزرأؤه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المفازة لا صَدَرَ عنه ثم بين لهم أمره فتفرقوا فى المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلا عِدَّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدون لهم فواقعهم على تلك الحالَّة وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يَمُنَّ عليه وعلى من بقى من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يَحُدُّ فيما بينه وبين مملكته حدًا لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشنوار بذلك يَخْلَى سبيله وانصرف الى مملكته، فمكث فيروز بُرْهة من دهره كئيبا ثم حملة الأنف على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه الى ذلك فردَّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نخوف عليك عاقبة البنى والغدر مع ما فى ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إني إنما شَرَطْتُ له ألاَّ أجوز الحجر الذى جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالحجر

(١) فى الأصل : فواقعهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

- ليحمل على عَجَلَة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك ، إن العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على مائسِر المعطى لها ولكن على ما يُعلن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عَرَفَه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى في غَزَااته حتى انتهى الى الهياطلة وتصافى الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار الى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم ليكلمه ، فخرج اليه فقال له اخشنوار ٥
- قد ظننت أنه لم يدعك الى غزونا إلا الأتف مما أصابك . ولعمري لئن كُنا احتلنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمسَ منا أعظم منه ، وما ابتدأناك ببغى ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جديرا أن تكون ، من سوء مكافأتنا بمننا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكَّدت على نفسك ، أعظم أُنفا ١٠
- وأشدَّ امتعاضا مما نالك منا ، فإننا أطلقناكم وأنتم أسرى ومننا عليكم وأنتم مُشرفون على الهلكة وحقنا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإننا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب اليها فيه والمريد لنا عليه فقكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدَّ عارا وأقبح سماعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغيته وأستمكن منه عدوه على حال جهْد وضيعة منه ومن معه ، فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطالحوا عليه فاضطر لمكروه ١٥
- القضاء وأستحيا من النكث والقدر أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق . مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدَّتهم وطاعتهم لك ، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخْوصك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم الى ما يُسخط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونيأتهم في مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قدر غنائ من ٢٠
- يقاتل على مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر رفع عار وإن قُتل فالى النار، فأنا أذكرك الله الذى جعلته على نفسك كفيلا
 ونعمتى عليك وعلى من معك بعد ياسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك
 الى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقضاء بأبائك الذين مضوا على ذلك
 فى كل ما أحبوه أو كرهوه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك
 لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لنهمتك فينا وإنما تلتمس منا أمرا تلتمس منك
 مثله وتتأوى عدوا لعله يُمنح النصر عليك فقد بالغت فى الاحتجاج عليك وتقدمت
 فى الإعذار اليك ونحن نستظهر بالله الذى أعترزنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده
 إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله
 ما كان أحد من نصحاءك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحرمك منفعتها
 مخرجها منى فإنه لا يُزرى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قبل الأعداء كما
 لا يُجبب المضار اليهم أن تكون على أيدى الأولياء. واعلم أنه ليس يدعونى الى
 ما تسمع من مقاتلى ضعف أحسه من نفسى ولا قلة من جنودى، ولكنى أحببت
 أن أزداد بذلك حجة وأستظهرأرا، وأزداد به من الله للنصر والمعونة أستنجابا ولا أوتر
 على العافية والسلامة شيئا ما وجدت اليهما سبيلا، فأبى فيروز إلا تعلقا بحجته
 فى الحجر الذى جعله حدا بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر بهم به وعيد
 ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غدرا منى ما كان أحد أنظر
 ولا أشد اتقاء منى على نفسى فلا يفرتك منّا الحال التى صادفتنا عليها فى المرة الأولى
 من القلة والجهد والضعف]. قال اخشنوار: لا يفرتك ما تخدع به نفسك من حملك
 الحجر أمامك، فإن الناس لو كانوا يعطون اليهود على ما تصف من إسرار أمير وإعلان
 آخر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يفتربا مائلا ولا يثق بعهد، وإذا لما قبل الناس شيئا

مما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُعقد العهود والشروط له .
فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ،
وما رأيت للفرس الذي كان تحته نظيرا في الدواب فانه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا . وقال
اخشنوار لأصحابه : لقد وافقت فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه
ولم ينزع رجله من ركابه ولا حنا ظهره ولا ألفت يميناً ولا شمالاً ، ولقد توركت
أنا مرارا وتمطيت على فرسي وتلفت الى من خلفي ومددت بصرى في أمامى وهو
متصب ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنما
أرادا بما وصفا من ذلك أن يتشر هذان الحديثان فى أهل عسكريهما فيشغلوا
بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان فى اليوم الثانى أخرج اخشنوار
الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
غدره وبغيه ويخرجوا من متابعتة ، فانتفض عسكر فيروز وأختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً
حتى أنهزموا وقتل منهم خلق كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى
قال : لا راد لما قُدر ، ولا أشد إحالة لمنافع الرأى من الأهوى والتَّلاج ، ولا اضيع
من نصيحة يُمنحها من لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروهاها ، ولا أسرع
عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البغى والغدر ، ولا أجلب لعظيم العار والفُضوح من إفراط
الفخر والأنفة .

وقال أبو اليقظان : لما خرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى بالموصل بعث اليه
المجّاج قائدا فقتله ثم قائدا فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
وكان أحد القواد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد
الكوفة وخرج المجّاج من البصرة يريد الكوفة فطعم شبيب أن يلقى المجّاج قبل

أن يصل الى الكوفة فَأَلْقَمَ الحجاجُ خيلَه فدخل الكوفة قبله ، ومَرَّ شبيبُ بَعْتَابِ بن وَرْقَاءَ فقتله ومَرَّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه ، وقدم شبيبُ الكوفة وآلَى أَلَا يَبْرَحَ عنها أَوْ يَلْقَى الحجاجَ فيقتله أَوْ يُقْتَلَ دونه ، فخرج الحجاجُ إليه في خيله ، فلما قُرِبَ منه عَمَدَ الى سلاحه فألبسه أبا الوَرْدَ مولاه وحمله على الدابة التي كان عليها ، فلما تواقفا قال شبيب : أروني الحجاج ، فأومأوا له الى أبي الورد فعمل عليه فقتله ، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق في دُجَيْل وهو يقول (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال : كان أحب الأيام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعقد فيه رايته يوم الخميس ، وكان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أخر الحرب ما أستطعت فإن لم تجد بدا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه : إني لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحب ما يلقى فيه إذا لم يلق في أول النهار إذا زالت الشمس وحلت الصلاة وهبت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره المجامعة والابتداء بعمل في محاق القمر وفي حلوله في برج العقرب . [وقال بعضهم : كنت مع عمر ابن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فاذا القمر بالدبران فقلت : أنظر الى القمر ما أحسن استواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزله فضحك ، وقال : إنما أردت أن ننظر الى منزله ، وإنا

لا تقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وابتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حرب وديم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الخوارج ، ويوم الجمعة يوم خطب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا اشتدت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيّق تفرّجى » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنجيلاً فما يخفّض يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج الى الحروية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا نتمنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية ، فاذا قيمتموهم فاثبتوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النضر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم » .

حدثني محمد بن عبيد قال : لما صافق قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه

(١) كذا بالنسخين وهو عمرو بن عبيد الله كافي تقرب التهذيب . (٢) سية القوس ما أعطف من طرفها .

يُنْضَبِضُ بِإصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ . فَقَالَ قَتَيْبَةُ : تِلْكَ الإِصْبَعُ الْفَارِدَةُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَسَنَانٍ طَرِيرٍ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ مُحَمَّدٌ : مَا كُنْتُ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَخْذُكَ بِجَمَاعِ الطَّرِيقِ .

الصَّبْرُ وَحُضُّ النَّاسِ يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَيْهِ

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ كَانَ عَاصِمُ بْنُ الْحَدَّاثَانِ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ عَالِمًا قَدِيمًا وَكَانَ رَأْسَ الْخَوَارِجِ بِالْبَصْرَةِ وَرَبَّمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ مِنْهُمْ مِنَ الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأُمْرِ يَخْتَصِمُونَ فِيهِ فَمَرَّبَهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ لِأَبْنِهِ : أَنْشُدْ أَبَا فِرَاسٍ فَأَنْشُدْهُ

وَهُمْ إِذَا كَسَرُوا الْحَقُونَ أَكَارِمُ * صَبْرٌ وَحِينَ تُحْلَلُ الْأَزْرَارُ
يَغْشَوْنَ حَوَامِيتِ الْمَتُونِ وَإِنَّمَا * فِي اللَّهِ عِنْدَ نَفْسِهِمْ لِصَغَارِ
يَمْشُونَ فِي الْخَطَى لَا يَنْتَبِهُونَ * وَالْقَوْمُ إِذْ رَكِبُوا الرِّمَاحَ تَجَارِ

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَيْحَكَ ! أَكْتُمُ هَذَا لَا يَسْمَعُهُ النَّسَاجُونَ فَيَخْرِجُوا عَلَيْنَا ^(١) بِخُفُوفِهِمْ . فَقَالَ عَاصِمٌ : يَا فَرَزْدَقُ ، هَذَا شَاعِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ شَاعِرُ الْكَافِرِينَ .

حَدَّثَنَا سَهْلٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ قَالَ سَلِيطُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ لِإِسْطَاطِ بْنِ قَيْسٍ لَقَوْمِهِ : تَرِدُونَ عَلَى قَوْمٍ آثَارُهُمْ آثَارُ نِسَاءٍ وَأَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتُ صِرْدَانٍ وَلَكِنَّهُمْ صَبْرٌ عَلَى الشَّرِّ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ . وَفِي هَؤُلَاءِ يَقُولُ مَعَاوِيَةُ : لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَنَاقَرَتْ لَسَقَطَتْ قَرَاهَا فِي حُجُورِ بَنِي يَرْبُوعَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قُلْتُ لِسَلِيطَ : أَكُنْ عَتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ ضَخْمًا ؟ قَالَ : لَا وَلَا مِنْ قَوْمِ ضَخَامٍ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ .

(١) الْحَفُّ الْمَنْسُجُ وَجَمْعُ خُفٍ . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «عَيْنَةٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

[^(١) وقال عمر بن الخطاب لبني عبس: كم كنتم يوم الهبأة؟ فقال: كنا مائة كالذهب،
لم نكثر فتتوا كل ولم يقل فنذل. قال: فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر
منهم عدداً ولا مالا؟ قال: كنا نصبر بعد اللقاء هنيئة. قال: فلذلك إذا. قيل
لعترة العبسي: كم كنتم يوم الفروق؟ قال: كنا مائة لم نكثر فنفسل ولم يقل فنذل].
وكان يقال: النصر مع الصبر. ومن أحسن ما قيل في الصبر، قول نهشل بن حري
ابن ضمرة

ويوم كأن المصطليين بحتره * وإن لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يبوخ وإنما * تفرج أيام الكرية بالصبر

ومثله قول الآخر

١٠ بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مطلاً كإطلال السحاب إذا أكنهثر
فقلت له لا تبك عينك إنما * يكون غدا حسن الشاء لمن صبر
فما أتر الإجمام يوماً معجلاً * ولا عجّل الإقدام ما أتر القدر
فآسى على حال يقل بها الأسى * وقاتل حتى آستهم الورد والصدور
وكرّ حفاظا خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضا على منهج المكر

١٥ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه: احرص على الموت
فوهب لك الحياة. وتقول العرب: الشجاع موفى. وقالت الخنساء
نهين النفوس وهون النفوس * س يوم الكرية أوفى لها

وقال يزيد بن المهلب

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أقتدما

- (١) زيادة في النسخة الألمانية. (٢) أرض لطفان ويومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس
على ذبيان. (٣) موضع بديار بني سعد ويومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا.
(٤) في الألمانية مطلا كإطلال الخ بالفاء المعجمة.

وقال قَطْرِيَّ بن الفَجَّاء

وقَوْلِي كُلِّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ * مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحِيكَ لَا تُرَاعِي
فَأَنْتِ لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ * سَوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي

[وقال معاوية بن أبي سفيان شجعتني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطنابة .^(١)

أَبْتُ لِي عِغْفَتِي وَأَبِي بِلَائِي * وَأَخَذَنِي الْحَمْدُ بِالثَّنِّ الرَّيِّيحِ
وَأَقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرَبَنِي هَامَةُ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ
وقَوْلِي كُلِّمَا جَشَأْتُ لِنَفْسِي * مَكَانِكَ تُنْجِدُنِي أَوْ تَسْتَرْجِي
لَأُدْفِعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ * وَأُحْيِي بَعْدُ عَنْ عِمْرَضٍ صَحِيحِ
أَبْتُ لِي أَنْ أَقْضِيَ فِي فَعَالِي * وَأَنْ أَعْضِيَ عَلَى أَمْرِ قَبِيحِ

وقال ربيعة بن مقروم

وَدَعَا نَزَالَ فَكَنتُ أَوَّلَ نَازِلٍ * وَعَلَّامَ أَرْكَبِهِ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يذمر^(٢) الناس ويقول: يا أهل الإسلام، إنَّ
الصبر عزَّ وإنَّ الفشل عجز وإنَّ النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .
إِنَّ الشِّوَاءَ وَالنَّشِيلَ^(٣) وَالرُّغْفَ * وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَثْفَ

لِلضَّارِبِينَ الْحَيْلَ وَالْحَيْلَ قُطِفَ

وقال أعرابي: الله يُخْلِفُ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ، والدهر يَتْلَفُ مَا جَمَعُوا، وكم من مَيِّتَةٍ
عَلَّتْهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةٌ سَبَبُهَا التَّعَرُّضُ لِلوْتِ . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد:
أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ تُوهِبُ لَكَ الْحَيَاةَ .

[قَدِمْتُ مِنْهُزِمَةَ الرُّومِ عَلَى هِرَاقِلَ وَهُوَ بَانْطَاقِيَّةٌ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عِظَمَائِهِمْ فَقَالَ:
وَيَحْكُمُ! أَخْبَرُونِي مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَاتِلُونَهُمْ؟ أَلَيْسُوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى . يَعْنِي

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .

(٣) ما طيخ من اللحم بغير تابل .

- العرب . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن .
- قال : ويلكم ! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
- أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤْتُونَ . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
- وإذا حملوا علينا صدقوا ، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم
- فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت
- من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأن القوم يصومون بالنهار ويقومون
- بالليل ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحداً
- ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام ونتقض العهد
- ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخط الله وننهى عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
- قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأنتم هكذا .
- قالوا : نُشهدك الله أيها الملك . تدع سُورِيَّة وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
- الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤت عليهم] .

ذكر الحرب

- قالت العرب : الحرب غُشُوم ، لأنها تنال غير الجاني . وقال الكهيت
- الناس في الحرب شتى وهي مقبلة * ويستون اذا ما أدبر القُبل
- كُلُّ بِأَمْسِيَّهَا طَبٌّ مَوَلِيَّةٌ * والعالمون بذى غُدُوِّهَا قُلُل
- وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن مَعْدِيكَرِب : أخبرني عن الحرب .
- قال : مُرَّة المَذَاق إذا قَلَصَتْ عن ساق ، مَنْ صَبَر فيها عُرِفَ ومن ضعف عنها
- تَلَف . وهي كما قال الشاعر
- الحرب أوَّل ما تكون فِتْنَةٌ * تسمى بزيتها لكل جهول

- (١) حتى إذا استعرت وشب ضرامها * عادت عجوزاً غير ذات خليل
شطاء جزت رأسها وتكرت * مكروهة^(١) للثم والتقييل
- كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يمتدّه بالرجال ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال
- أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وإن الحرب أولها الكلام
فان لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام
- ونحو قوله: «الحرب أولها الكلام» قول حذيفة: إن الفتنة تُلَقَّح بالنجوى وتنتج بالشكوى . ١٠
- العنبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبنة الحسن : يا بني لا تدعون أحداً إلى البراءة، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته فانه بغى .

في العدة والسلاح

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصيفة^(٢) عن السائب
- أبن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان ١٥
يوم أحد . قيل لعباد بن الحصين وكان أشد رجال أهل البصرة : في أيّ عدة
تحب أن تلقى عدوك؟ قال : في أجل مُستأنح .

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند
عن عكرمة قال : لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجنوب للشمال : أنطلقى بنا نمدد

- (١) في العقد الفريد «حليل» بالحاء المهملة وفيه أيضاً كما في الفتوغرافية «الشم» بدل اللثم . ٢٠
(٢) في الأصل «حصىة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحزوة لا تسرى بالليل ، فكانت الرياح التي أرسلت عليهم الصَّبا .

حدَّثني سهل بن محمد قال حدَّثنا الأصمعيّ قال حدَّثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه الى القربوس فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب ، يريد أن العمل ايده لا لسيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحرى يصف سيفا

ماض وإن لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وإن لم يصقل
متوقد يفصرى بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها في يذبل

وقال آخر

وما السيف إلا بزغاد لزينة * إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

رؤى الجراح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، ف قيل له فى ذلك . فقال : إني لست أقي بدنى وإنما أقي صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أدراعا وقال : إني لم أشترا أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلا فى الحرب مُستلثا إلا كان عندى

رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إن للسلّاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصريح : السلّاح^(٢) السلّاح ولا ينادون : الرجال الرجال . [قال المهلب لبنيه : يا بني لا يقعدن أحد منكم فى السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فالى زراد أو سراج أو وراق . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرنى عن السلّاح . قال : سل عما شئت منه .

قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خاتك . قال النبيل ؟ قال : منايا تحطى وتصيب .

(١) فى النسخة الألمانية « الكوفة » . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

قال : التُّرس؟ قال : ذاك الحِجَنّ وعليه تدور الدوائر . قال : الدرّع ؟ قال :
مُتَقِلَّةٌ^(١) للراجل مُتَعَبَةٌ للفارس ، وإِنّهما لَحِصْن حَصِين . قال : السيف ؟ قال : ثُمَّ ،
قَارَعَتْكَ أُمُّكَ عَنِ الشَّكْلِ . قال عمر : بَلْ أُمُّكَ . قال " الْحُمَّى أَضْرَعَتْكَ لَكَ " .^(٢)

وقال الطائي يصف الرماح،

مُتَقَفَّاتٌ سَلَبْنَ الرُّومَ زَرْقَهَا * والعُربُ سُمِرَتْهَا والعاشقُ الْقَضْفَا^(٣)

وقال دِغْبَلٌ يصف الرُّمَحَ

وَأَسْمِرُ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقُ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ * فَاْلَمُوتُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَظْلَهُ مِنْكَ حَتَفٌ قَدْ تَجَلَّلَهُ * حَتَّى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ^(٤)

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إِلَّا عِنْدَ قُدْرَتِهِ * وَلَيْسَ لِلْسَّيْفِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

وقال آخر

مَتَى تَلَقَّنِي يَعْذُو بِبِرْزَى مَقْلَصٍ^(٥) * كَيْتٌ بِهَيْمٍ أَوْ أَغْرٌ مَحْجَلٌ

تَلَاقٍ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَبَسِيفِهِ * تُعَلِّمُكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال عليّ رضي الله عنه : السيف أنمي عددا وأكثر ولدا . وفي الحديث « بَقِيَّةُ

السيف مباركة » يعني أنّ من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال

المهلب : ليس شيء أنمي من سيف . ويقال : لا مجد أسرع من مجد سيف .

(١) في الأصلية « مشغلة » والنصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد في جميع الأمثال وفي النسخة
الألمانية : « إيلك » . (٣) النخافة . (٤) في الفتوغرافية « ربّه » . (٥) قال في اللسان : البرز
والبرزة السلاح ويدخل فيه الدرع والمُفْعَرُ والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية
« السيف أنمي عددا وأكثر ولدا » ، وفي نهج البلاغة بقية السيف أنمي عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع على رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها فليل له فى ذلك فقال : إذا
استمكن عدوى من ظهري فلا يُبقِ . وقال أبو الشَّيص

ختلته المنون بعد اختيال * بين صَفَّين من قنأ ونصال
فى رداء من الصفيح صليل * وقيص من الحديد مُدَال

• بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فبعث ابنه الأغر وقال :
يا بُنى كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف فانه ظل الموت ، وأتق
الرح فانه رِشاء المنية ، ولا تقرب السهام فانها رُسل لا تُؤامر مُرسِلها . قال : فجاذا
أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يَمْلَأَنَّ الْأَكُفَّ كَأَنَّهَا * رءوس رجال حُلِّقَتْ فى المَوَاسِمِ

وقال الخزيمى فى بغداد أيام الفتنة

يا بؤس بغداد دار مملكة * دارت على أهلها دوائرها
أهلها الله ثم عاقبها * لما أحاطت بها بكائرها
رق بها الذين وأستخف بذى الفضل وعز الرجال فاجرها
وصار رب الحيران فاسقهم * وأبتر أمن الدروب شاطرها
يحرق هذا وذا يهدمها * ويشغى بالنهاب داعرها
والكخر أسواقها معطلة * يَسْتَرْ شَدًّا^(١) بها وعائرها
أخرجت الحرب من أساقطهم * آساد غيل غلبا تُساورها
من البوارى ترأسها ومن^(٢) الشخص إذا استلأمت مغافرها
لا الرزق تبغى ولا العطاء ولا * يحشرها بالعناء حاشرها^(٣)

٢٠ (١) فى الطبرى « عيارها » . (٢) جمع بارى بتشديد الياء وهو الحصر المنسوج .

(٣) فى الطبرى « قنأ » .

ونحوه قول علي بن أمية

دهتنا أمور تُشيب الوليد * ويَنخُلُ فيها الصديق الصديق
فناء مُيِّد ودُعر عَتِيد * وجوع شديد وخوف وضيق
وداعى الصّباح يطول الصّباح السّلاح * فاستنق
فبالله نبُلُغ ما نرتجى * وبالله ندفع ما لا نُطبق

جنى قوم من أهل الإمامة جناية فأرسل اليهم السلطان جندا من بُخاريّة^(١) ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يَدْمُرُ قومه : يا معشر العرب ويا بني المحصّات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعُوهَا بِالْأَرْضِ وَلَا عِترَاكم من نُسَاب معهم في جِعَاب كأنها أُبور الفيلة يترعون في قِيسٍ كأنها العتلُ فَتَنُطُّ أَحداهنَّ أَطِيط الزُرْنُوق يَمَغُطُ أَحدهم فيها حتى يَتَفَرَّقَ شَعْرُ إِبْطِيهِ ثم يرسل نُسابة كأنها رِشَاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تَتَفَضَّح عينه أو ينصدع قلبه منزلة، نخلع قلوب القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضى الله عنه : ائترروا وارثدوا وانتعلوا وألقوا الحفّاف وارموا الأغراض وألقوا الرُكْبَ وَأَنْزُوا نَزْوا على الخيل وعليكم بالمعدية، أو قال العربية . ودعوا التنعم وزي العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تحور قوى ما كان صاحبها يترع ويترؤ . يعنى يترع فى القوس ويترؤ على الخيل من غير استعانة بالرُكْب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهى سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدي الرى بالنشاب .

العمري . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه ^(١) [اليمنى وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرامِيزَه وَيَتَبُّ فكَأَنَّمَا خُلِقَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صَفَيْنَ : عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ فَانَه أَنْبَى لِلسَّيُوفِ عَنْ الْهَامِ . وَأَقَامُوا رَجُلًا بَيْنَ الْعُقَايِينِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ :

- طَدَّ رَجْلُكَ وَأَصْرًا إِبْرَارَ الْفَرَسِ وَادْكُرْ أَحَادِيثَ غَدٍ وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَانَه مِنَ الْقُشَلِ . [وَقَالَ غَيْرُهُ طَدَّ رَجْلُكَ إِذَا أَعْتَصِمْتَ بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا وَأَنْتَ مُخَيَّرٌ ^(٢) فِي رَفْعِهِ سَاعَةَ الْمَسَالْمَةِ وَالْمَوَادَعَةِ] ^(٣) .

وَقَرَأَتْ فِي الْآيِينَ أَنَّ مِنْ إِجَادَةِ الرَّمْيِ بِالنَّشَابِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ إِمْسَاكَ الْمُتَعَلِّمِ الْقَوْسَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بِقُوَّةِ عَضْدِهِ الْأَيْسَرِ وَالنَّشَابَةَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَقُوَّةِ عَضْدِهِ الْيُمْنَى وَكَفَّهُ أَصْدْرِيهِ ^(٤)

- ١٠ • وَالْقَاوُ بِبَصَرِهِ إِلَى مَعْلَمِ الرَّمْيِ وَإِجَادَتِهِ نَصَبَ الْقَوْسِ بَعْدَ أَنْ يَطَاطِي مِنْ سِتْرِيهَا بَعْضُ الطَّاطَاةِ وَضَبْطُهُ إِيَّاهَا بِثَلَاثِ أَصَابِعَ وَإِحْنَاؤُهُ السَّبَابَةَ عَلَى الْوَتَرِ ، وَإِمْسَاكَهُ بِثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ كَأَنَّمَا ثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ وَضَمُّهُ الثَّلَاثَةَ ضَمًّا وَتَحْوِيلُهُ ذَقْنَهُ إِلَى مَنْكِبِهِ [الْأَيْسَرِ] وَإِشْرَافُهُ رَأْسَهُ وَإِرْخَاؤُهُ عُنْقَهُ وَمِيلُهُ مَعَ الْقَوْسِ وَإِقَامَتُهُ ظَهْرَهُ وَإِدَارَتُهُ عَضْدَهُ وَمَغْطَةُ الْقَوْسِ مَتَرًا وَمَنْزَعُهُ الْوَتَرَ إِلَى أُذُنِهِ وَرَفْعُهُ بِيَاضَ عَيْنِيهِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيفٍ لِأَسْنَانِهِ وَتَحْوِيلِ لَعِينِهِ وَارْتِعَاشٍ مِنْ جِسْدِهِ وَاسْتِبَانَتِهِ مَوْضِعَ زَجْجَةِ النَّشَابِ .

وَقَرَأَتْ فِي الْآيِينَ : مِنْ إِجَادَةِ الضَّرْبِ بِالصُّوْبِلِحَانِ أَنْ يَضْرِبَ الْكُرَّةَ قُدُّمَا ضَرْبَ خُلْسِيَةٍ يُدِيرُ فِيهِ يَدَهُ إِلَى أُذُنِهِ وَيُمِيلُ صَوْبِلِحَانَهُ إِلَى أَسْفَلِ مَنْ صَدْرُهُ وَيَكُونُ ضَرْبُهُ مَتَشَارِزًا مَتَرَفِّقًا مَتَرَسَّلًا وَلَا يُغْفَلُ الضَّرْبُ وَيُرْسَلُ السَّنَانُ خَاصَّةً وَهُوَ الْحَامِيَةُ لِمَجَازِ الْكُرَّةِ إِلَى غَايَةِ الْغَرَضِ ثُمَّ الْجَرُّ لِلْكُرَّةِ مِنْ مَوْقِعِهَا ، وَالتَّوَحُّيُّ لِلضَّرْبِ لَهَا تَحْتَ مَحْزَمِ

- ٢٠ • (١) زيادة في النسخة الألمانية وفي البيان والتبيين « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله « رضعها » . (٤) في الألمانية : « وكفه إلى صدره » . (٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا البيان ؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قبل لَبَّتْها في رفق، وشدة المزاولة والمجاحشة على تلك الحال والترك للاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسِر له جهلا باستعماله أو عقير قوائم الدابة، والاحتراش من إيذاء من جرى معه في ميدانه، وحسن الكف للذابة في شدة جريه، والتوقى من الصرعة والصدمة على تلك الحال، والمجانبة للغضب والسب، والاحتشال والملاهاة، والتحفُّظ من إلقاء كُرَّة على ظهر بيت وإن كان ستُّ كُرَيْن بدرهم، وترك طرد النظارة والجلوس على حيطان الميدان فإن عرض الميدان إنما جعل ستين ذراعا لئلا يُحَالَ ولا يُصَارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله : أشعروا قلوبكم الجرأة عليهم فانها سبب الظفر، واذكروا الضغائن فانها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فانها حصن المحارب .

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عيَّاش عن معدان بن حدير الحضرمي عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نَفِير عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يغزون من أمتي يأخذون الخُفْلَ يَتَقَوُّونَ به على عدوهم كمثل أم موسى تُرضع ولدها وتأخذ أجرها» . حدثني محمد بن عبيد عن ابن عُيينة عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيَّب قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المُعْرَس أمر مناديا فنادى : لا تطرُقوا النساء . فتعجل رجلان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم . وتأمر بالمحلات وهي الدلو والفأس والسفرة والقدر والقداحة ، وإنما قيل لها مُحَلَّات لأن المسافر بها يحل حيث شاء ولا يبالى ألا يكون بقربه أحد .

(١) في الميداني «السفر ميزان السفر» أي أنه يُسفر عن أخلاق المسافرين ، وفي الفتوغرافية السفر مجلدة القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال ، قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تنم على دابتك فان كثرة النوم سريع في دبرها ، فاذا نزلت أرضاً مُكَلَّئَةً فأعطها حظها من الكلاء وأبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك وإذا بعدت عليك المنازل ^(١) فعليك بالدَّجَّ فان الأرض تُطَوَّى بالليل . وإذا أردت النزول]
- ٥ فلا تنزل على قارصة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها أوأنا وألينها تربة وأكثرها كلاءً فانزلها ، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالسترة . وإذا ارتحلت من منزل فصل ركعتين وودع الأرض التي ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلاً من الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان
- ١٠ الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضاً : هل مرَّ بكَّنَّ اليوم ذا كر لله ؟ وإن أستطعت ألا تطعم طعاماً حتى تصدق منه فأفعل . وعليك بذكر الله جل وعز مادمت راجياً وبالتسبيح مادمت صائماً والدعاء مادمت خالياً . وإياك والسير في أول الليل وعليك بالتعريس والدُّبْجَة من نصف الليل الى آخره . وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله ، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخُفَّك وعمامتك وإبرتك وخيوطك وتزوّد .
- ١٥ معك الأدوية تنتفع بها وتنفع من صعبك من المرضي والزمني . وكن لأصحابك موافقاً في كل شيء يُقَرَّبُكَ إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التَّسْمُّ في وجوههم وكن كريماً على زَادِكَ بينهم وإذا دعوك فأجبهم ، وإذا استعانوك فأعנם وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم وأجهد رأيك . وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم ^(١) . [وإن تصدقوا أو أعطوا فأعط] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تخيرتم
- ٢٠ في طريق فانزلوا ، وإن شككتم في القصد فتنبؤوا وآمروا ، وإن رأيتم خيالا واحداً

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

فلا تسألوه عن طريقكم فان الشخص الواحد في القلاة هو الذى حيركم واحذروا
الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العاقل اذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

عَلَّمَ أَعْرَابِي بَنِيهِ إِيْتِيَانَ الْغَائِطِ فِي السَّفَرِ فَقَالَ لَهُمْ : اتَّبِعُوا الْخَلَاءَ وَجَانِبُوا الْكَلَاءَ
وَأَعْلُوا الضَّرَاءَ ^(١) وَأَخْجُوا إِخْفَاجَ النِّعَامَةِ وَامْسَحُوا بِأَشْمُوكُمْ .

[وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ
تَتَّبَعْتَ الْخِرَاءَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، تُبْعِدُ الْمَشْيَ فِي الْأَرْضِ الضَّحْضَحَ حَتَّى تُتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ،
وَلَا تَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرْهَا وَلَا تَسْتَنْجِ بِالرُّوْثَةِ وَلَا الْعِظْمَ وَلَا تَبُلْ فِي الْمَاءِ الرَّاكدَ] .

أَرَادَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ الْحَجَّ ، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ : بَلَّغْنِي أَنْكَ تَرِيدُ الْحَجَّ فَأَحْبَبْتَ
أَنْ نَصْطَلِحَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! دَعْنَا نَتَعَايَشَ بِسِرِّ اللَّهِ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ نَصْطَلِحَ
فَيَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ مَا نَتَّاقَتُ عَلَيْهِ . وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ بَقِيَّةٍ عَنِ الْوَضِيِّ بْنِ
عَطَاءٍ عَنْ مَحْفُوظِ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
« أَمَا إِنَّكَ إِنْ تَرَأَفْتَ غَيْرَ قَوْمِكَ يَكُنْ أَحْسَنَ لَخَلْقِكَ وَأَحَقُّ أَنْ يُقْتَنَى بِكَ » .

أَتَى رَجُلٌ هِشَامًا أَخَا ذِي الرُّمَّةِ الشَّاعِرَ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ السَّفَرَ فَأَوْصِنِي . قَالَ : صَلِّ
الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَتْكَ فَانَكَ مَصْلِيهَا لَا مَحَالَةَ فَصَلِّهَا وَهِيَ تَنْفَعُكَ ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَكُونَ كَلْبَ رُقُفَتِكَ
فَإِنْ لِكُلِّ رُقْفَةٍ كَلْبٌ يَنْبِجُ دُونَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا شَرَّكَوْهُ فِيهِ وَإِنْ كَانَ عَارًا تَقَلَّدْهُ دُونَهُمْ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ عَنِيبَةَ عَنْ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : إِذَا ضَلَّتْ لِأَحَدِكُمْ ضَالَّةٌ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ رَبِّ الضَّالَّاتِ تَهْدِي الضَّالَّاتِ وَتَرُدُّ الضَّالَّاتِ
ارُدِّدْ عَلَيَّ ضَالَّتِي ، اللَّهُمَّ لَا تَبْلُغْنَا بِهَلَاكِهَا وَلَا تَتَّبِعْنَا بِطَلَبِهَا ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ . يَعْبَادُ اللَّهُ الصَّالِحِينَ رَدُّوا عَلَيْنَا ضَالَّتَنَا . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْمِلَ الْحِمْلَ الثَّقِيلَ
فَقُلْ : يَا عِبَادَ اللَّهِ أَعِينُونَا ^(٢) . [وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : إِذَا ضَلَّتْ لِأَحَدِكُمْ ضَالَّةٌ فَلْيَتَوَضَّأْ

(١) الضراء ما واراك من خمر . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلّي ركعتين ثم يشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادي الضال وراة الضالّ اردد على ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

- حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وعلة عن رجل من مُراد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا عليّ ، أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يُشركون . بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم » .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجلان عن عمرو ابن شعيب قال : أراد عمر أن يغزو البحر جيشاً ، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دودٌ على عُود بين غرق و برق ^(١) قال عمر : لا يسألني الله عن أحد حملته فيه . وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول في السفر إذا أُنشِر : سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَحَسَنَ بِلَاثِهِ عَلَيْنَا . ويقول : اللهم صاحبنا فأفضل علينا ثلاثاً ، اللهم عاِذُكَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

- ١٥ وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سفره حين هاجر : « الحمد لله الذي خلقني ولم أَلِكْ شيئاً مذكوراً ، اللهم أعِنِّي عَلَى أَهْوِيلِ الدُّنْيَا وَبَوَائِقِ الدَّهْرِ وَمَصِيبَاتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَأَكْفِنِي شَرَّ مَا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ فِي الْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ فِي سَفَرِي فَاصْحَبْنِي ، وَفِي أَهْلِي فَاخْلُقْنِي ، وَفِيَا رِزْقِي فَبَارِكْ لِي ، وَلَكَ فِي نَفْسِي فَذَلِّلْنِي ، وَفِي أَعْيُنِ الصَّالِحِينَ فَعِظَّمْنِي ، وَفِي خُلُقِي فَقَوِّمْنِي ، وَإِلَيْكَ رَبِّ حَقِّبْنِي ، إِلَى مَنْ تَكَلَّفِي رَبِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي » .

٢٠

(١) البرق الحيرة والدهش . وفي النسخة الألمانية « برق » وهو تحريف .

وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي اسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : «اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل» وزاد غيره «اللهم أطولنا الأرض وهون علينا السفر» .

وقال مطرف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيئتين وخير الأمور أوساها وشتر السير الحقة . وفي الحديث « لا تُحَقِّقْ فَتَنْقُطَ وَلَا تَبَاطُأْ فَتُسَبِّقَ وَلَكِنْ أَقْصِدْ تَبْلُغْ » والحقيقة أشد السير . وفي حديث آخر « إن المُنْبَتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أُنْبِئَ » وقال المَرَار

تُقَطِّعُ بِالزَّوَالِ الْأَرْضَ عَنَّا * وَبُعْدَ الْأَرْضِ يَقْطَعُهُ الزَّوَالُ

الأصمعي قال، قيل لرجل أسرع في سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل الوجبة وأعرس إذا استعرت وأرتحل إذا أسفرت وأسير الوضع وأجتنب الملع بفتنكم لمسي سنع . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذكوان مولى آل عمر بن الخطاب ، سار من مكة الى المدينة في يوم وليلة ، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلَّى العَتَمَةَ ، فقال له أبو هريرة : حاجٌ غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال :

لأنك نفرت قبل الزوال . فأنرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

ألم تَرِنِي كَلَّفْتُهُمْ سَيْرَ لَيْلَةٍ * مِنْ آلِ مَنْ نَصَّ إِلَى آلِ يَثْرِبِ
فَاقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ مَا عَشْتُ سَيْرَتِي * حَدِيثًا لِمَنْ وَافَى بَجَمْعِ الْمُحَصَّبِ

ومن السير المذكور حذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمان ، فقال قيس بن الخطيم

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ ثُمَّ سَرْنَا * كَسِيرِ حَذِيفَةَ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

- قال الشَّرْقِيُّ بن القَطَامِي: خرجت من الموصل أريد الرِّقَّة فصحبني فتي من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِرْزُودٌ وَرَكُوةٌ وعصا، ورأيتُه لا يفارقها مُشاةً كما أُرُكَبَانَا وهو يقول: إن الله جعل جَمَاعَ أمر موسى وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه، ويكثر من هذا وأنا أضحك متهاوِناً بما يقول، فتخلف المَكَارِي فكان حمار الفتي إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حماري ولا شيء في يدي فيسبِقُنِي ٥ إلى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البرَّاح حتى يوافيني المَكَارِي، فقلت: هذه واحدة. ثم خرجنا من غَد مُشاةً فكان إذا أعيَا تَوَكَّأ على العصا وربما أَحْضَرَ ووضع طرفاً على الأرض فاعتمد عليها ومَرَّ كأنه سهم زَالَجٌ حتى انتهينا وقد تَفَسَّخَتْ من الكَلَال وإذا فيه فضل كثير، فقلت: وهذه أخرى. فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حَيَّةٍ مَنَكْرَةٍ فسارت إلينا فأسلمته إليها وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها، فقلت: هذه ثالثة. [وهي أعظمهن] وخرجنا في اليوم الرابع وبنّا قَرَمٌ إلى اللحم فاعترضتنا أَرْبٌ فخذفها بالعصا وأدركنا ذَكَاتَهَا فقلت: هذه رابعة. فأقبلتُ عليه فقلت: لو أن عندنا ناراً ما أخرت أكلها إلى المنزل. فأخرج عُويدا من مِرْزُوده ثم حَكَّ بالعصا فَأَوْرَثَ إِبْرَاءَ المَرْخ والعَفَّار، ثم جمع ما قدر عليه من الغَنَاء والحشيش وأوقد ناراً وألقى الأَرْب في جوفها فأخرجناها وقد لَزِقَ بها من الرماد والتراب ما بَعْضُهَا إلى فَعَلَقَها بيده اليسرى ثم ضرب جُنُوبَهَا بالعصا وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس، فقلت: هذه خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت مَلَانَةٌ رَوْنَا وتراباً فلم نجد موضعاً نَظْلُ فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نِصَاباً لها ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت: ١٥ وهذه سادسة. ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها في الحائط وعلق عليها ثيابه وثيابي
- ٢٠

فقلت : هذه سابعة . فلما صرنا الى مَفْرِقِ الطريقين وأردت مفارقتة قال لى :
 لو عدلت معى فبتّ عندى ! فعدلت معه فأدخلنى منزلا يتصل بببيعة فما زال يتحدثنى
 ويُطِرْفنى الليل كله فلما كان السحر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى ففرع بها
 العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له : ويحك !
 أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبى نصرانى
 وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدت بررتك بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس
 وأكثرهم أديبا فخبرته بالذى أحصيت من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن
 مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « إذا كنتم فى الحُصْب فامْكِنُوا الرِّكَّابَ اسْتَمْتًا ^(١) ولا تَعْدُوا المنازل وإذا كنتم
 فى الجُنْد فاستَنْجُوا ^(٢) وعليكم بالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطَوَّى بالليل وإذا تقولت لكم
 الغِيلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوَادِّ الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها مأوى السباع
 والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها للملأين » .
 وأراد أعرابى سفرا فقال لامرأته

عُدِّى السنين لغيبتي وتصبرى * وذرى الشهور فإنهن قصار

فأجابته

اذكر صبا بتنا اليك وشوقنا * وأرحم بناتك إنهن صغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الركب استمتا » وقال ناقلنا عن أبى عبيد ان كانت اللفظة
 محفوظة فكانها جمع الأسنان ، يقال لما تأكله الابل وترعاه من العشب سِنَّ وجمعه أسنان ثم أسته . وقال
 الزنجشرى ان الأسته هنا الرماح وقال فى معناه : أعطوها ما تمنع به من التحرلأن صاحبها اذا أحسن رعيها
 سمحت وحسنت فى عينه فيبخل بها عن أن تحرقشبه ذلك بالأسته فى وقوع الامتناع بها ، وهو كما ترى متكلف
 لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي
طَرِبَتْ إِلَى الْأَصْيِيَةِ الصَّغَارِ * وَهَاجَكَ مِنْهُمْ قَرْبُ الْمَزَارِ
وَكَلَّ مَسَافِرَ يَزْدَادُ شَوْقًا * إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ فَكَانَ عَلَى
وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلِي^(١) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ إِذَا دَارَتْ عُنُقُهُمَا قَالَا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْكَبْ وَنَمِشْ عَنْكَ . فيقول « مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ
الْأَجْرِ مِنْكُمَا » .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته : إِذَا غَزَوْتُمْ فَأَطِيلُوا
الْأَطْفَارَ وَقَصِّرُوا الْأَشْعَارَ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « لَا سَهْرَ إِلَّا لثَلَاثَةٍ : مُصَلٍّ أَوْ عَرُوسٍ أَوْ مَسَافِرٍ .
وقال بعض الشعراء

سُرِرْتُ بِجَعْفَرٍ وَالْقَرِيبِ مِنْهُ * كَمَا سَرَّ الْمَسَافِرَ بِالْإِيَابِ
وَكُنْتُ بِقَرْبِهِ إِذْ حَلَّ أَرْضِي * أَمِيرًا بِالسَّكِينَةِ وَالصَّوَابِ
كَمَطُورٍ بِبِلَدَتِهِ فَأَضْحَى * غَنِيًّا عَنْ مَطَالِبَةِ السَّحَابِ

وقال آخر في معناه
وَكُنْتُ فِيهِمْ كَمَطُورٍ بِبِلَدَتِهِ * فَسُرَّ أَنْ يَجْمَعَ الْأَوْطَانُ وَالْمَطَرُ

وقال آخر
إِذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ سَالِمِينَ بِأَنْفُسِ * كَرَامَ رَجَتْ أُمْرَانِخَابَ رَجَاؤُهَا
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا . * تَتُوبُ وَفِيهَا مَأْوَاهُ وَحَيَاؤُهَا

(١) كذا بضم أوله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعه بن عبد المنذر وهو صحابي معروف .

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غيمة سالمينا
[وما تدرين أى الأمر خير * أما تهوين أم ما تَكْرِهينا^(١)

وقال بعض المحدثين

قبح الله آل برمك إني * صرت من أجلهم أبا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأر * ض فإني موكَّل بالِعَار^(٢)

التفويض^(٢)

حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب أبو بكر رضى الله عنه
إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام واليا مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ
على السماوة حتى انتهى إلى قُراقِر، وبين قراقِر وسوى خمس ليال في مفازة، فلم يعرف
الطريق، فدلَّ على رافع بن عَمِيرة الطائي وكان دليلاً خريّياً فقال لخالد : خلف
الأنقال وأسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال : لا بد
من أن نكون جميعاً . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه
وما يسلكها إلا مفرغ مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال
الطائي لخالد : ابغني عشرين جزوراً مساناً عظاماً ففعل فظمأهن ثم سقاهن حتى
روين ثم قطع مشافرهن وكعمهن لئلا تجترن، ثم قال لخالد : سر بالخينول والأنقال
فكلما نزلت منزلاً نحررت من تلك الجزر أربعة ثم أخذت ما في بطونها من الماء
فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزودوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوز الرجل ببيله إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفي النسخة الفتوغرافية أبي عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبي عبيدة عامر
ابن عبد الله بن الجراح القهري فله من سهو النساخ .

وَجَهَدِ النَّاسُ وَعَطِشَتْ دَوَابُّهُمْ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : وَيْحَكَ، مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ : أَدْرَكْتُ
الرِّىَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، انظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ شَجَرَةَ عَوْسَجٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ؟ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوهَا
فَقَالَ : اخْفِرُوا فِي أَصْلِهَا فَخَفَرُوا فَوَجَدُوا عَيْنًا فَشَرَبُوا مِنْهَا وَتَزَوَّدُوا، فَقَالَ رَافِعٌ : وَاللَّهِ
مَا وَرَدْتُ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ رَاجِزُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ

• اللَّهُ دُرُّ رَافِعٍ أَنَّى أَهْتَدَى * فَفُوزٌ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوَى
أَرْضِهَا إِذَا سَارَ بِهَا الْجَيْشُ بَنَى * مَاسَارَهَا قَبْلَكَ مِنْ إِنْسٍ أَرَى^(١)

قال ولما مرَّ خالد بموضع يقال له الْبِشْرُ طلع على قوم يشربون ويبن أيديهم
جَفْنَةً وَأَحَدَهُمْ يَتَغَنَّى

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ * لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكُرَّرَا * عَلَى تَكْمِيتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أُظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدَا * سَيَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ * وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخَدَرِ

فأ هو إلا أن فرغ من قوله شدَّ عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب
عنقه فإذا رأسه في الجفنة، ثم أقبل على أهل الْبِشْرِ فقتل منهم وأصاب من أموالهم.
١٥ ابن الكلبي قال : أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فأضلُّوا
الطريق ووقعوا على غير ماء فكشوا ثلاثاً لا يقدرُونَ على الماء فجعل الرجل منهم
يَسْتَنْدِرِي بَنِي السَّمُرِ وَالطَّلَحِ يَأْسًا مِنَ الْحَيَاةِ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ
فَأَنشَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَبْتِينَ مِنْ شَعْرَامِرَى الْقَيْسِ

لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيفَةَ هُمُّهَا * وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَائِمِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ * يَفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلَّ عَرْمَضُهَا طَائِمِي

(١) هذا بالألمانية، وفي الفتوغرافية «أدى» بالبدال ولعله «أوى» بمعنى عاد ورجع.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب ، هذا ضارج عندهم ، وأشار إليه ، فحَثُوا على الرُّكْب فإذا ماءً غَدَقَ وإذا عليه العَرْمَضُ والظِّلُّ يَفِيءُ عليه فشرَبوا منه رِيَّهم وسَقَوْا وحملوا حتى بلغوا الماء ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس قال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها مَنْسَى في الآخرة خامل فيها ، ينجى يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُقَّة ماتت من العطش بالشَّجَى ، فقال المجاج : إني أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجَهْد فأَحْفَرُوا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

ترأت له بين اللوى وعُنَيَّة * وبين الشَّجَى مما أحال على الوادى

والله ما ترأت له إلا وهى على ماء . فأمر المجاج عَصِيْدَةَ السَّامِى أن يحفر بالشَّجَى بئرا فحفر فأنَبَطَ ، ويقال : إنه لم يمت قوم قط عطشا إلا وهم على ماء . قالت العرب « أن تَرَدَ الماء بماء أكْبَسُ » . ويقال في مثل : « برْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عبدا من ظمأ » .

في الطيرة والقال

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هَرَبَ بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفَوَانَ فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول
لن يُسْبِقَ اللهُ على حمار * ولا على ذى مِيعَةٍ مَطَّار
أو يَأْتِيَ الحَنْفَ على مقدار * قد يصبح الله أُمَامَ السَّارَى

(١) في الألمانية عيد الله وهو تعريف .

(٢) هكذا في النسختين الألمانية والفتوغرافية ، وفي معجم البلدان : « عيدة السامى » .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدّثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدق بالطيرة ويعيبها أشد العيب وقال : فرقت لنا ناقةً وأنا بالطف فركبت في إثرها فلقيني هاني بن عتبة^(١) من بني وائل يركض وهو يقول
* والشرُّ يلقي مطالع الأكم *

ثم لقيني رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد
ولئن بعثت لهم بقاً * ما البغاة بواجدين

ثم دفعت إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقته فقبُح وجهه وفسد، فقلت له : هل ذكرت من ناقة فارق؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد تُجبت ومعها ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطلق ، وسحابة فارق :
قد دنا هراقه مائها . قال المرقش^(٢)

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على وإي وحاتم^(٣)
فإذا الأنشائم كالآيا * من والأيمان كالأنشائم
وكذاك لا خير ولا * شر على أحد بدائم

[وقال آخر^(٤)

وليس بهيباب إذا شدة رحلة * يقول عداني اليوم وإي وحاتم^(٥)
ولكنه يمضي على ذاك مُقيماً * إذا صدعن تلك الهنات الخنارم^(٥)

(١) في النسخة الفتوغرافية : « عيد » . (٢) في النسخة الفتوغرافية « المرقم » وهو تحريف وقد أورد في اللسان هذه الأبيات ونسبها للمرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواو : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تشاءم بهما . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) في الأصل « الخشارم » وهو تحريف والخنارم كملابط : الرجل المنطير . وقد أورد في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى خثيم بن عدى وقيل للرقاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن بري . أنظر اللسان مادة « وقى » .

وقال آنر

تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا * عَلَى مَتَطِيرٍ وَهُوَ الثَّبُورُ
بَلَى، شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ * أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عَوْن^(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغياً فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطَّيْرِ الْفَال» . وفيه «الطَّيْرُ تَجْرَى بِقَدَرٍ»

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعلّ كانت به فسمع منادياً ينادى: يامتوكل، فحطّ رحله وأقام.

وقال عكرمة كما جلوسا عند ابن عمرو ابن عباس رضى الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطيرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعنى التوراة].

حدثني محمد بن يحيى القطعي^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضى الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفي الألمانية «عون بن عبد الله» ولم نعر في كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذامات بين سنة عشر ومائة الى عشرين ومائة هـ فلا تصح رواية الأصمعي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ فلعل ما في الفتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أربطبان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أى والأصمعي في السن التي يتلق فيها عن مشايخه. (٢) في النسخة الألمانية «أبو العناحية». (٣) في الألمانية «لقينة كانت بها» وهو غير متناسب مع السياق. (٤) زيادة في النسخة الألمانية. (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط. وفي الفتوغرافية «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه بعدها ياء مثناة والصواب أنه «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه في تقريب التهذيب ولعله نسبة الى قطيعة - بكهينة - بن عبس ابن بغيض وهو أبو يحيى كما في القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو هنا يروى عنه. (٦) في الألمانية «ابن حسان» وهو تحريف.

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت شفقاً ثم قالت : كذب، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) .

كان عبد الله بن زياد صوّر في دهليزه كلباً وأسداً وكبشاً وقال : كلب ناجح وكبش ناطح وأسد كالج . وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ

يا أيها المضمرهما لا تُهمَّ * إنك إن تُقدّر لك الحمي تُحمّ

ولو علوت شاهقا من العلم * كيف توقّيك وقد جفّ القلم

- ولما أمر معاوية بقتل عُجْر بن عَدِي الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال عُجْر : دعوني أصلّ ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطول ف قيل له : أجزعت؟ فقال : ما توضأت قطّ إلا صليت، ولا صليت قطّ صلاة أخفّ منها . وإن أجزع فقد رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً . ف قيل له : مُدّ عنقك، فقال : إن ذلك لدمّ ما كنت لأعين عليه . فقدم فضربت عنقه . وكان معاوية بعث رجلاً يقال له هُذبة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خثعم فقال : إن صدقت الطيرة قُتل نصفنا، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

خرج كثير عزة الى مصر يريد عزة، فلقبه أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً؟ قال : لا،

(١) كذا بالألمانية، وفي الفتوغرافية «عيد الله» وهما من أولاد زياد بن أبيه كما في المعارف لابن

قتيبة، ولا تدري أيهما صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانه يتنف ريشه . فقال له : تُوافي مصر وقد ماتت
عزة . فاتهره كثير ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة ، فقال
فما أعيف النهدى لا دَرْدَرُهُ * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانه * يتنف أعلى ريشه ويطايره
فأما غراب فاغتراب ووحشة * وبأن فين من حبيب تعاشره

وهوى بعد عزة امرأة من قومه يقال لها : أم الحويرث . فخطبها فأبت وقالت :
لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإنى حابسة نفسى عليك . فخرج يريد بعض بنى
مخزوم ، فبينما هو يسير عن له ظبي فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب
على وجهه فكرهه وتطير منه ، فاتتهى الى بطن من الأزدي قال لهم بنو لُهب ، فقال :
أفيكم زاجر؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقص عليه القصة ، فقال :
قد ماتت أو خلف عليها رجل من بنى عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال

تيممت لُهباً أطلب العلم عندهم * وقد رد علم العائفين الى لُهب
فقال جرى الطير السنيح بينها ^(١) * فدونك فاهيل جد منهير سكب
فألا تكن ماتت فقدد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعب

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثني خالد بن يزيد الصنفار قال حدثنا همام بن
يحيى عن قتادة عن حضرمي بن لاحق أو عن أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى أمراءه : « اذا أبردتم الى بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .
[خرج عمر الى حرة وأقيم فلقى رجلا من جهينة فقال له : ما أسمك ؟ قال :
شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن جمرة . قال : ومن أنت ؟ قال : من الحرقفة .

(١) كنا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان يتصل بهما المعنى وهما .

فيمت شيخا منهم ذا أمانة * بصيرا بزجر الطير منحني الصلب
فقلت له ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضرام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك تدرّكهم إلا وقد احترقوا ، فأناهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو في طريقه بنعامات خمس ، فقال لأصحابه : قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول : فتنة خمس سنين .

قرأت في كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطبقوا قال وهرز لغلّام له : أخرج الى من الجعبة نُسابة وكان الأسوار يكتب على كل نُسابة في جعبته ، فمنها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه ، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبيده فأخرج له نُسابة عليها اسم امرأته فتطير وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . ردّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النُسابة بعينها ففكر وهرز في طائره ثم آتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فاذا ترجمتها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال : صفوا لي ملكهم ، فوصفوه بياقوته بين عينيهِ . ثم إنه مَغَط في قوسه حتى اذا ملأها سَرَحها فأقبلت كأنها رِشاء منقطع حتى فَصَّت الياقوتة فطار فُضاضاً ثم فلقَتْ هامته وهُزِم القوم . وقال المعلوط

تَنَادَى الطَائِرَانِ بَيْنَ سَلْمَى * عَلَى غَصْنَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَانِ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتِ سَلِيمَى * وَفِي الْغَرْبِ اغْتَرَابٌ غَيْرُ دَانِي

أخذ معناها أبو الشَّيْص فقال

أَشَاقُكَ وَاللَّيْلُ مُلِقَى الْجَرَانِ * غَرَابُ يَنْوُحَ عَلَى غَصْنِ بَانِ

أَحْصُ الْجَنَاحَ شَدِيدَ الصِّيَاحِ * يَبْكِي بَعِينِينَ مَا تَذَرِفَانِ

وَفِي نَعَبَاتِ الْغَرَابِ اغْتَرَابٌ * وَفِي الْبَانِ بَيْنُ بَعِيدِ التَّدَانِي

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) في الفتوغرافية « أبيه » .

(٣) في الفتوغرافية : « حتى صَلَّت الياقوتة فطارت فُضاضاً » .

وقال الطائيّ

أَتَضَعُضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعْتُ * وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُضُ الْإِظْلَامَ
لَا تَنْشِجْنَ لَهَا فَإِنْ بَكَاءَهَا * ضَحْكُ وَإِنْ بَكَاءُكَ اسْتِغْرَامَ
هَنْ الْحَمَامِ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً * مِنْ حَائِنٍ فَانْهِنِ حِمَامَ

٥ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَزَلْنَا دَارًا فَكَثُرَ فِيهَا عِدَدُنَا وَكَثُرَتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا ثُمَّ
تَحَوَّلْنَا مِنْهَا إِلَى أُخْرَى فَقُلْتُ فِيهَا أَمْوَالُنَا وَقَلَّ فِيهَا عِدَدُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ذَرُوهَا وَهِيَ ذَمِيمَةٌ » .

١٠ بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ كُنَّاسَةَ عَنْ مِبَارَكِ بْنِ سَعِيدٍ أَخِي سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ قَالَ : بَلَغَنَا أَنَّ
أَعْرَابِيًّا أَضَاعَ ذَوْدَ الْفَجْرِ فِي الْبَلَدِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، فَرَبَّاهُ عَرَابِيٌّ يَحْتَلِبُ نَاقَةً
فَنَشَدَهُ ضَالَّتْ فَقَالَ لَهُ : مَتَى خَرَجْتَ فِي الْبَلَدِ ؟ ادْنِ مِنِّي حَتَّى أُسْقِيكَ لَبَنًا وَأُرْسِدَكَ .
قَالَ : قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . قَالَ : فَمَا سَمِعْتَ ؟ قَالَ : عَوَاطِيسٌ حَوْلِي : ثَغَاءُ الشَّاءِ
وَرُغَاءُ الْبَعِيرِ وَنُبَّاحُ الْكَلْبِ وَصِيَاحُ الصَّبِيِّ . قَالَ : عَوَاطِيسٌ نَهَاكَ عَنِ الْغَدْوِ . قَالَ :
١٥ فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ عَرَّضَ لِي ذَنْبٌ . قَالَ : كَسُوبٌ ذُو ظَفَرٍ . قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَتِ
الشَّمْسُ لَقِيتُ نَعَامَةً . قَالَ : ذَاتُ رَيْشٍ وَاسْمُهَا حَسَنٌ ، هَلْ تَرَكْتَ فِي أَهْلِكَ
مَرِيضًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : ارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ ضَالَّتَكَ فِي مَتْرَكَكَ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ الْخَبَطِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ يَحْيَى بْنُ أَبِي
عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ عَنْ يُونُسَ عَنْ كَعْبٍ قَالَ : كَانَتِ الشَّجَرَةُ تَنْبِتُ فِي مُحَرَابِ سُلَيْمَانَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلِّمُهُ بِلِسَانٍ ذَلِقَ فَقَوْلُ : أَنَا شَجَرَةٌ كَذَا وَفِي دَوَاءِ كَذَا .
٢٠ فَيَأْمُرُ بِهَا سُلَيْمَانٌ فَيُكْتَبُ اسْمُهَا وَمَنْفَعَتُهَا وَصُورَتُهَا وَتَقْطَعُ وَتَرْفَعُ فِي الْخَزَائِنِ حَتَّى كَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ « الشَّيْبَانِيُّ » بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَهُوَ تَحْرِيفُ وَالتَّصْوِيبُ وَالضَّبْطُ عَنْ تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ .

آحرما جاء منها الخروبة فقالت : أنا الخروبة . فقال سليمان : الآن نُعِيتُ الى نفسى
وأُذِنَ فى خراب بيت المقدس . قال الطائيّ يصف عموريةً
بكرُفٍ اقترَعَتْها كُفٌ حادثة * ولا تَرَقَّتْ اليها هِمةُ النُّوبِ
جرى لها الفأل برّحا يوم أنْقَرَة * اذْغُودِرَتْ وَحْشَةَ السّاحاتِ والرَّحَبِ
لَمّا رأت أختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أَعْدَى من الحربِ ٥

مذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها

قرأت فى الآيين : كانت العجم تقول : اذا تحوّلت السّباع والطير الجبلية عن
أماكنها ومواضعها دلّت بذلك على أن المَشْتَى سَيَسْتَدُ ويتفاقم . واذا نقلت الجرذان
براً وشعيراً أو طعاماً الى رب بيت رُزِقَ الزيادة فى ماله وولده ، وإن هى قرَضَتْ ثيابَه
دلّت بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغى أن يُقَطَعَ ذلك القَرْضُ ويُصْلَحَ . وإذا
١٠ شَبَّتِ النارُ شَبُوباً كالصَّخَبِ دلت على فرح شديد ، واذا شَبَّتْ شَبُوباً كاللبكاء دلت
على حزن ، وأما النار التى تشتعل فى أسفل القُدُورِ فانها تدل على أمطار تكثر أو ضيف
يَحْضُرُ ، وإذا فشا الموت فى البقر وقع المَوْتانُ فى البشر ، وإذا فشا الموت فى الخنازير
عم الناس السلامة والعافية ، وإذا فشا الموت فى السباع والوحوش أصاب الناس
ضَيْقَةً ، وإذا فشا الموت فى الجرذان أَخْصَبَ الناسُ . وإذا أَكْثَرَتْ الضفادع
النَّقِيقَ دلت على موتان يكون . واذا أُنْ دِيكَ فى دار فشا فيها مرض الرجال ، واذا
أُنْتُ دجاجة فشا فيها مرض النساء ، واذا صرخت ديوكُ صُراخاً كاللبكاء فشا الموت
فى النساء ، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت فى الرجال . واذا نَعَبَ
غراب أسود فغاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يُعْمَرُ . واذا قَوَّتْ دجاجة وجاوبها
غراب دل على عُمران يَخْرُبُ . وإذا غَطَّ الرجل الحسيب فى نومه بِلُغٍ سَنًا ورفعة ،
٢٠ ومن نفخ فى نومه أفسد ماله ، ومن صرّت أسنانه فى نومه دل ذلك منه على نيمَةٍ ،

وينبغي أن يضرب على فيه بخف متخرق . ومن سقطت قدأمه حية من مجرأ صابته
 معزة ومضرة . وإذا رئي في الهواء دُخنة وظلمة من غير علة تخوف على الناس الوباء
 والمريض . وإذا رئي في آفاق السماء في ليلة مصحبة باختلاف النيران غشي البلاد
 التي رئي ذلك فيها عدو ، فان رئي ذلك وفي البلاد عدو انكشف عنها . وإذا نبج
 ٥ كلب بعد هداة نجمة بغتة دل على أن السراق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في
 تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صفق ديك بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير
 محتبس عن صاحبه . وإذا أكثر اليوم الصراخ في دار برئ مريض إن كان فيها .
 وإذا سُمع لبيت تنقُض شخص من فيه عنه ، وإذا عوت ذئب من جبال وجاوبتها
 كلاب من قرى تفاقم الأمر في التحارب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب
 ١٠ وجاوبتها ذئب كان وباء وموتان جارف ، وإذا أكثر الكلاب في البغئات المهرير
 دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، وإذا صرخ ديك في دار قبل وقت
 صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بلية قد شارفت تلك الدار ، وإذا صرخت دجاجة
 في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . وإذا أكثر
 ديك التزوان على تكة رب الدار نال شرفا ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نحول
 ١٥ وضعة . وإذا ذرق ديك على فراشه نال مالا رغبيا وخيرا كثيرا وذلك اذا كان
 من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فان ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته
 منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب
 وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغي مباعده . وينبغي أن يُعرف
 كُنه من كان منطيقا لعلّه لا يجيد العمل ، وحال من كان سَكِينًا مترمنا لعله
 بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق
 ٢٠ فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزّمن والكريه الاسم والجارية

- البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون النيران المقرونة بِقِرَانِ والحيوان الموثق والدابة المقودة وحاملة الشراب والخطب والكلب ، ويستحبون الصحيح البدن الرضى الاسم والمرأة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حُمولة من طعام أو تبين أو زبل . وكانوا لا يُتَحَوَّنُ عن سماع الملك ألحان المغنيات وتَقِيضِ الصواري وصهيل الخيل والبراذين ويتخذون في مبيته ديكا ودجاجة . وإذا أهديت له خيل سُنيح بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُرَحُّ بها من يمينه الى يساره .

باب في الخيل

- (١)
حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عُيينة عن شبيب بن غَرَقَدَةَ [عن
عُرْوَةَ] البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود في نواصيها
١٠ الخير الى يوم القيامة » .
- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني أشهل بن حاتم قال حدثني موسى بن علي بن
رَبَاحِ التَّمَمي عن أبيه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد
أن أُعِدَّ فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاشتره إذا أدهم أو كُتِبَتْ أقرح أرثم
أو محجلا مُطلق اليمين » وفي حديث آخر « فانها ميامين الخيل ثم أغرُ تسلم وتغنم إن
١٥ شاء الله » .

- حدثني سهل بن محمد قال أخبرني أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« عليكم بآفات الخيل فان ظهورها حرز وبطونها كثر » قال : وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يستحب من الدواب الشُّقْر ويقول : « لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد
(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق - وهو كما قال السمعاني جبل ينزل الأزد
٢٠ فيما أظن ببلاد اليمن - عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي الصحابي .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومُهْرَة مأبورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّال في الخيل . [قال أبو ذر : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخّرني لأبن آدم وجعلت رزقي بيده فاجعلني أحب إليه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقني على يديه] . سأل المهدي مطرب دزاج : أى الخيل أفضل ؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر ، واذا استعرضته قلت زافر ، واذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البراذين شر ؟ قال : الغليظ الرقبة الكثير الحلبّة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرساني . قال : فأى البراذين خير ؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عنانه .

[وصف رجل بذونا فقال : ان تركته نَعَس وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى اذا استقبلته أفعى واذا استدبرته جبي^(٥) واذا استعرضته استوى واذا مشى ردى واذا عدا دحا .

محمد بن سلام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابن عم له الى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألسنت صاحب قنص ؟ قال : بلى . قال :

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزفرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفارجنيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسخين وفى العقد الفريد « زاجر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيته عظيم الكفل مثله وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جبي : انكب على وجهه وقد أوردته فى الأمالى « جَنَّا » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يربح الأرض رجما بين المثني الشديد والعدو . والدحو أن يرى يديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظر، كلُّ شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس . فقدم بخيل لم يك في العرب مثلها . وقالوا : سُميت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابي فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جارى بشيطان في أَشْطَان^(١) فلما أُرْسِلت لَمَعَ لمعة سحاب فكان أقربها اليه الذي تقع عينه عليه .

وسئل رجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المير من المبطي^(٢) المقرِف . أما الجواد المير فالذي هُزْهَزَ العير وأنْفَ تأنيف السير، الذي إذا عدا أسلهب^(٣) وإذا قُبِدَ أجْلَعَبَ وإذا انتصب آتَلَّابَ . وأما المبطي المقرِف فالمدلوك الحجة الضخم^(٤) الأرنبة الغليظ الرقبة [الكثير الجلبة] الذي إن أُرْسِئته قال : أمسكني وإن أمسكته قال : أُرْسِئني وأنشد الرياشي

كَمْهُرٍ سَوَّءٍ إِذَا سَكَنْتَ شِرَّتَهُ * رَامَ الْجَمَّاحَ فَإِنْ رَفَعَتْهُ سَكَا

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك في العتاق والمُحْجَن، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فأخبره، فأمر سلمان بطسست فيه ماء فوضع في الأرض ثم قُذِمت الخيل اليه فرسا فرسا فما نَحَى منها سُنْبُكُهُ فشرب هَجْنَه ، وما شرب ولم يثْن سُنْبُكُهُ عَرَبَه . وذلك لأن

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا (جاو الشيطان) الخ وفي لسان العرب : ووصف أعرابي فرسا لا يحصى فقال كأنه شيطان في أَشْطَان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جاء كأنه شيطان في أَشْطَان» غرورها الناسخ كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفي القاموس : الملهوز المضبر الخلق والتضير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشي ويوافقه ما في اللسان ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفي الألمانية والعقد الفريد ”هَزَّهَزَ العير“ . وفي اللسان نهزت الدابة إذا نهضت بصدرها للسير ، ولعل معناه أنه يندفع في السير كاندفاع العير الوحشي .

(٣) في اللسان : وإذا أنْفَ يَأْتِف السير وهو تحريف دفع اليه توهم أن السير هنا بمعنى المشي لأن المؤنَّف هو المحدد من كل شيء ومنه سير (جلد) مؤنَّف أي محدود على قدر واستواء والمراد أنه قدَّ حتى استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) أسلهب : مضى . وأجلعَبَ : امتد على الأرض . واتلَّابَ : استوى . (٥) حجة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه ، ومدلوكها الذي ليس لحجته اشراف فهي ملساء مستوية . (٦) الأرنبة الأنف . (٧) في الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

في أعناق الهُجَن قصراً فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تنثني سنانكها وأعناق العناق طوال .

وحدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : ذكروا أن كسرى كان إذا أمّاه سائسه فقال : الفرس يشتكى حافره ، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكى ظهره ، قال : البيطار .

وأشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجلي وهو النضر بن سامة في شعر طويل له يصف الفرس ، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعي

الخيل مني أهل ما أن يدنين * وأن يقربن وأن لا يقصين
وأن يبابن وأن يفدين * وأن يكون المحض مما يسقين
وأهل أن يعلن أو يغالين * بالطرف والتلد وأن لا يحفين
وأهل ما صحبننا أن يقفين * وأهل ما أعقبنا أن يحزين
أليس عز الناس فيما أبلين * والحسب الزاكي إذا ما يقين
والأجر والزين إذا ريم الزين * كم من كريم جدّه قد أعلين
وكم طريد خائف قد أنجحين * ومن فقير عائل قد أغنين
وكم برأس في لبان أجرين * وجسد للعافيات أعرين
وأهل حصن ذي امتناع أرذين * وكم لها في الغنم من ذى سهمين
يكون فيما اقتسموا كالرجلين * وكم وأنكحن من ذى طمرين
بغير مهر عاجل ولا دين * والخيل والخيرات في قرينين
لا تستكين عملاً ما أنقبن * ما دام مخ في سلامي أو عين
* ما بلل الصوفة ماء البحرين^(٣)

١٠

١٥

٢٠

(١) يقال لها بأبي أنت ، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يؤثرن . (٣) في اللسان : وصوف البحر شي . على شكل هذا الصوف الحيواني واحدة صوفة وفي الأبديات : لا آتيك ما بل بحر صوفة .

وأنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لي أبو عبيدة لا أعرف قائل
 هذا الشعر وعروضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخزاعي
 (١)
 ذاك وقد أذعر الوحوشا * بصلت الخذر حبيباً له مجفراً
 (٢) (٣) (٤) (٥)
 طويل خمس قصير أربعة * عريض ست مقلص حشور
 (٦) (٧)
 حدث له تسعة وقد عريت * تسع ففيه لمن رأى منظر
 (٨)
 ثم له تسعة كسين وقد * أرحب منه اللبان والمنخر
 (٩)
 بعيد عشر وقد قربن له * عشر وخمس طالت ولم تقصر

- (١) اللبان الصدر ومجفرو بفتح الفاء واسع الجفرة وهي من الفرس وسطه .
 (٢) تعرض أبو صفوان الأسدي في قصيدة له الى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفسرها
 ١٠ ابن الاعرابي بالعتق ووظيني الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو علي القالي : وتفسيره غير
 موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل عن أبي العباس أن هذا غلط من
 الشاعر ثم ذكر أن الذي يستحب طوله في القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثفن وهي الشعر الذي
 في مؤخر الرسغ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها العتق جاز وحق قوله .
 (٣) عددها صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابي في تفسيرها هي أربعة : أرساغه
 ١٥ ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . (٤) عدت في القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابي في تفسيرها
 هي الفخذان والوركين والأوظفة . (٥) حشور : متفخ الجنين .
 (٦) ذكرت في تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابي : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه .
 كذا في أمالي أبي علي القالي ولم يذكر الثامن .
 (٧) عدت في تلك القصيدة سبعة . قال ابن الاعرابي السبعة العارية : خذاه وجبهته والوجه كله وقوائمه
 ٢٠ فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .
 (٨) عدت في تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابي السبع المكسوة : الفخذان وحاميتاه . ووركاه
 وحصيراجنيه ونهدتاه وهما في الصدر . وغير ابن الاعرابي يقول فهدتاه بالفاء . قال أبو علي القالي والصحيح
 فهدتاه وهما اللحمان اللتان في الزور كالقهدين .
 (٩) عد في تلك القصيدة ما قرب منه سبعة وما بعد سبعة وقال ابن الاعرابي السبع التي قربت يريد بها سبع
 ٢٥ خصال صالحة قربن منه وسبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .
 (راجع قصيدة أبي صفوان الأسدي وشرحها في الأمالي من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣) .

تَقْفِيهِ بِالْمَحْضِ دُونَ وَلَدْتَنَا * وَعُضُّهُ فِي آرِيهِ ^(١) يُنْثَرُ
نَصْبُحُهُ تَارَةً وَنَعْبُقُهُ * أَلْبَانَ كُومٍ رَوَائِمٍ أَظْوَرُ
حَتَّى شَتَا بَادِنًا يُقَالُ إِلَّا * يَطْوُونَ مِنْ بُذْنِهِ وَقَدْ أُضْمِرَ ^(٢)
مُوتَقُ الْخَلْقِ جَرْشَعٌ عَتِدَ * مُنْضِرَجُ الْخَضِرِ حِينَ يُسْتَحْضَرُ
حَاطِي الْحَمَاتَيْنِ لِحْمِهِ زَيْمٌ * نَهْدٌ شَدِيدُ الصَّفَاقِ وَالْأَبْهَرُ ^(٣)
رَقِيقٌ خَمْسٌ غَلِظٌ أَرْبَعَةٌ * نَائِي الْمَعْدِنِ لَيْنٌ الْأَشْعَرُ ^(٤)

وقد فسرت هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المهاني في خلق الفرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضبيين في وصف فرس

مَتَقَاذِفُ عِبِلِ الشَّوَى شَنِجَ النَّسَا * سَبَّاقٌ أُنْدِيَةُ الْجِيَادِ عَمِثَلُ ^(٥)
وَإِذَا تَعَلَّلَ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهَا * أَعْطَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلْ ^(٦)

قيل لما وضعت حرب صفين أوزارها قال عمرو بن العاص

شَبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا * مُفَرَّعَ الْحَارِكِ مَرْوِي النَّبِجِ ^(٧)

- (١) الْمُضَى : المعين تعلقه الإبل ، والقت ، والشعر والخنطة لا يشركهما شيء . (٢) الْآرَى : الآخِيَّة وهي محبس الدابة . (٣) يقال ضمير الخليل تضييرا : علقها القوت بعد السمن كأضمرها . قاموس .
(٤) الجرشع كقنفذ : العظيم الصدر المنتفخ الجنين . ومنضرج الحضر : شديد العدو . (٥) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية وذكر في أسفل النسخة الألمانية أن في بعض النسخ خاطي . وكلاهما غير مناسب للعنى ولعله خاطي بالحاء والطاء المعجمتين فان الحماتين من الفرس الحماتان المجتمعتان في ظاهر الساقين من أعاليهما والباطني كما في لسان العرب المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب . ولحمه زيم : مكتنز .
والصفاق فسرهُ الأصمعي في كتاب الفرس كما في لسان العرب الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر والأبهر : عرق في الظهر . (٦) الممدان : موضع دقي السرج . والأشعر : ما استدار بالخافر من منتهى الجلد .
(٧) متقاذف : سريع . وعبل الشوى : غليظ القوائم . والنسا : عرق من الورك الى الكعب . وشنج النسا متقبضه وهو ممدح للفرس لأنه اذا شنج نسا لم تسترخ رجلاه . والعميتل النشيط . (٨) في الفتوغرافية وما يتعلل وهذا إنما يصح اذا كانت القافية مرفوعة . على انه في العقد الفريد أورد هذا الشعر على نحو ما في الصلب . (٩) الحارك أعلى الكاهل والنبيج ما بين الكاهل الى الظهر .

جُرْشَعًا أعظمه جُفْرَتُهُ * فاذا ابتل من الماء حَرَجُ
يصل الشد بشد فاذا * ونت الخيل من الشد معج^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة فراهة المهر الحولى صغر رأسه
وشدة سواد عينيه وأن يكون مُحَدَّد الأذنين أجرد باطنها كثيف العُرف، في عمره ميل
من قبل يمين راحته عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكتنز الجنبين
طويل الذنب عريض الكفَل مستدير الخوافر صحيح باطنها، ومن علامة فراهة المهر
ألا يكون نَفُورًا [ولا يقف عند دابة إلا مع أمه] وإذا دفع الى عين أو نهر ماء لم يقف
لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يسم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُجعل في أعناقها خرزة
من قرون الأيائل^(٢) .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سفيان عن حصين بن عبد الرحمن
عن هلال بن إساف وعن سُحَيْم بن نَوْفَل قال : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود
ونحن نعرض المصاحف ، فجاءت جارية الى سيدها فقالت : ما يُجْلِسُك؟ قم فابتغ لنا
راقيا فإن فلانا لقع مهرك بعينه فتركته يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبغ راقيا
ولكن اذهب فَأَنْفِثْ في منخره الأيمن أربعا وفي الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا باس
لا باس أذهب الباس رب الناس وأشف أنت الشافي لا يكشف الضراء إلا أنت .
قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذى أمرتني به فبال وراث وأكل .
حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة أنه قال : اذا كان الفرس صَلُودا لا يعرق سقيته
ماء قد دُفَّت فيه نَحْمِرة أو علفته ضِغْنا من هِنْدِباء فان ذلك يُكثِر عرقه ، فان حِرَّ أَدخلته^(٣)

(١) في الفتوغرافية « فاذا ونت الخيل من الثَّج » . والثد : العدو . ومعج كنع : أصرع . (٢) الأيائل
جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفرح : سقى (نخم)
من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اه قاموس .

الحمام وأشيمه عذرة . فقلت لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرني به جل الهندي وكان بصيرا . قال : فان أصابته مغلّة وهي وجع البطن من أكل التراب أخذله شيء من بوريّ فديق ونحل فجعل في ريع دورق من نحر فحقن به وبّل تراب طيب ببول أتان حتى يصير طينا ثم لطخ به بطن الدابة . قال : ومما يذهب العرن دماغ الأرنب .

وقف الهيثم بن مطهر على باب الخيزران على ظهر دابته، فبعث إليه الكاتب في دارها: أنزل عن ظهر دابتك فقد جاء في الأثر: لا تجملوا ظهور دوابكم مجالس . فبعث إليه : إني رجل أعرج وإن نرج صاحب خفت ألا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حيس إن أنزلتني عنه إن أقضمت شهرها فانظر أيما خير له، راحة ساعة أو جوع شهر؟ فقال : هذا شيطان، أتركوه .

باب البغال والحمير

قال مسلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان . وكتب رجل الى وكيله : أبغني بغلة حصاء الذنب طويلة العنق سوطها عنانها وهوها أمامها . عاتب الفضل بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة، فقال له : هذا مركب تطأطأ عن خيلاء الخيل وأرتفع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سيارة بأهل المزدلفة أربعين سنة على حمار لا يعتلّ، فقالت العرب : «أصح من غير أبي سيارة» قال رجل للفضل الرقاشي وهو جدّ معتمر لأمه : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مرفقا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صربها وأسهل تصرفها وأخفص مهوى وأقل جماحا وأشهر فارها وأقل نظيرا ويذهي راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكدّاد ^(١) أضحى السربال ^(٢) مُجَلَجَ القوائم يحمل الرجلّة ويبلغ العقبة ويمعنى أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخاس : اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحتقر ولا يُقدّم تقحّا ولا يحجم تبلاّ ^(٣) يتجنب بي الزحام والرّجّام والإكام خنيف اللجام اذا ركبته هام واذا ركه غيرى قام، إن علقته شكر، وإن أجمعه صبر. فقال له النخاس : إن مسح الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله . وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانَه للسّفاد .

جرير بن عبد الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجلك .

باب فى الإبل

١٥ الهيثم قال قال ابن عياش : لا تشتري خمسة من خمسة : لا تشتري فرسا من أسدى ولا جملا من نهدي ولا عيرا من تميمي ولا عبدا من بجلي . ونسب الهيثم الخامس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الحدود فى هذه الأشياء . قيل لبنى عباس : أى الإبل

(١) غلّ تشب إلى الجر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما

فى الفتوغرافية «يتجنب» . (٣) فى النسخة الفتوغرافية «عبدالحيد» وهما واردان معا فى كتب التراجم .

٢٠ (٤) كذا بالفتوغرافية وفى الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم تقف فى ترجمة ابن عباس على أن الهيثم روى عنه ، ولعل ههنا هذا هو الهيثم بن خارجة الخراسانى فقد روى عن إسما عيل بن عياش كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى .

أصبر عليكم في محاربتكم ؟ قال الرُّمك الجَعَاد . قيل : فأى الخيل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكُتَّ الحَوَّ . قيل : فأى النساء وجدتم أصبر ؟ قالوا : بنات العم .

المدائني قال قال شَبَّة بن عَقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني الحج ، ومعى ثلاثة أجمال فررت برجل من أهل اليمن على ناقه له فطويته فلما جُرَّته قام بى بعير لى ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتنى فتر بى اليماني فقال : ٥
مررت بنا ولم تَسَلِّمْ ولم تعرِّض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أنطيب نفسا عما أرى ؟ قلت : نعم . فنزل فأرخى أَسَاع رَحْله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدّه وقال لى : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك . ثم قال لى : خذ حُرَّ متاعك إن لم تطب نفسا به ففعلت ، ثم ارتدفتُ فجعلتُ تعوم عوما ثم انسلتُ كأنها ثعبان يسيل سيلا كالماء فما شعرت حتى أرانى الأعلام وقال : أسمع ؟ فسمعت أصوات الناس ١٠
فاذا نحن بجمع ، ففضيت حِجَّتِي ، وكان قال لى : حاجتى إليك ألا تذكر هذا فان هذه عندى أثر من ولاية العَرُوض يعنى مكة والمدينة ، أدرك عليها النار وهى ثَمَال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صنعاء فى أقل من غِبِّ الحمار فسألته : من أين هى ؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَامِي نتاج [بدو] بِجِيلَةِ الأولى وهى من المَهَارَى التى يذكر الناس . ١٥

[وكتب سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصب لى نَجَائِب كِرَامَا . فقدم رجل على جمل سُبَاعِي عظيم الهامة له خَلَق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيعهُ . قالوا : لا ندعُكَ ولا نعصِبُكَ ولكننا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نَجَائِب كِرَام وخيل سابقة ، فدعوني أركب ٢٠

(١) فى الفتوغرافية "قد كان ذاك رحمك الله" . (٢) هى المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) زيادة فى النسخة الألمانية .

جلى وأبعثه وأتبعوني فإن لحقتموني فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح في أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فبكا ثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان .

أخبار الجبناء

- ٥ حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا في ألفين الى مرداس بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فعتقه آبن زياد وأغلظ له فقال : يشتمني الأمير وأنا حي أحب الي من أن يدعولي وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

- ألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بأسك أربعونا
١٠ كذبتهم ليس ذلكم كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصروننا

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما آلتقت فئتان قط إلا وكف الله بينهما فاذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفه عليها » . [ورفع معاوية شُدُوته بيده وقال : لقد علم الناس أن الخليل لا تجرى بمثل ، فكيف قال النجاشي]
١٥

ونجى آبن حرب سابق ذو علالة * أجش هزيم والرماح دواني [ابن دأب قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعياني أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال

شجاع اذا ما أمكنتني فرصة * وإلا تكن لي فرصة بغبان

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

شهد أبو دلامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : تقدم فقاتل . فقال

إني أعوذ بروح أبّ يقدمني * إلى القتال فتخزى بي بنو أسد

إن المهلب حبّ الموت ورثكم * ولم أورث حبّ الموت عن أحد^(١)

أبو المنذر قال ، حدثنا زيد بن وهب قال ، قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عجبا لابن النابغة ! يزعم أنني تلعبه أعافس وأمارس ! أما وشر القول أكذبه ، إنه يسأل فيلحف ويسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فإنه أمرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهم أن يرفط ويمنح الناس آسته . قبحه الله وترحه . وقال الفرار السلمي

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبتت نفضت بها يدي

وتركتهم تقص الرماح ظهورهم * من بين منجلد وآجر مسند

ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت دون رجالهم : لا تبعد

وقال آخر

أضحت تشجعتني هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب

ولا والذي حجت الأنصار كعبته * ما يشتهي الموت عندي من له أرب^(٢)

للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعيتهم إلى حوابعها وثبوا^(٣)

ولست منهم ولا أبغى فعالهم * لا القتل يعجني منها ولا السلب

وقال أيمن بن جُرَيْم

إن للفتنة ميّطا بينا^(٤) * فرويد الميّط منها يعتدل

(١) كذا بالنسخين ، وفي الأغاني : « وما ورثت اختيار الموت عن أحد » .

(٢) رواه في العقد الفريد « لا والذي منع الأبصار رؤيته » . (٣) في النسخة الألمانية « نيرانها » .

(٤) هكذا في النسخين الألمانية والفتوغرافية ، وفي العقد الفريد « عاجلا » .

فاذا كان عطاء فأتهم * واذا كان قتال فاعتزل
إنما يُسعرها جهالها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كلقي الأئنة من كفه * وقاد الجياد بأذناها

وقال جرّان العود في الدهش

يوم ارتحلت برحلى قبل تودعتي * والقلب مستوهل بالبين مشغول
ثم اعتضضت على نضوى لأدفعه * إثر الحمول الغواذى وهو معقول^(١)

كان خالد بن عبد الله من الجبناء نخرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من
الرافضة] وهو من بجيلة^(٢) فقال من الدهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به * واستطعم الماء لما جدّ في الحرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجن أودهشة : افتحوا سيوفكم .

وقال ابن مفرغ الحميري

ويوم فتحت سيفك من بعيد * أضعت وكل أمرك للضياع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أكان الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي^(٣) ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي الفتوغرافية « اغتررت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« اغترزت » بالزاي المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل في الفرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مول لبجيلة » . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت العير » وفي العقد الفريد « ثم ها أنذا أموت حتف نفسي كما يموت العير » .

(١) [قيل لأعرابي : ألا تنزوفان الله قد أندرك . قال : والله إني لأبغض الموت
على فراشي فكيف أمضي إليه ركضا !] وقال قِرَوَاشُ بن حَوْط وذَكَرَ رجلين
صَبْعًا مُجَاهِرَةً وَلَيْثًا هُدْنَةً * وَثُعَيْلِيًّا نَحْمَرُ إِذَا مَا أَظْلَمَا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد
إِذَا صَوْتُ الْعُصْفُورِ طَارَ فَوَادَهُ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ (٢)

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عُيَيْدًا وَأَزْنَمًا
وقال الله جل وعز (يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَّارِ فِي الْجَبَانِ

رَأَى فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا (٣) * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْمَرَ

قال ابن المقفع : الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر (فيما رأيت وسمعت) : من قُتِلَ
فِي الْحَرْبِ مَقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مِنْ قُتِلَ مَدْبِرًا ؟ وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّكْرِمِ أَحَقُّ
أَنْ تَسْخُو نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مِنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالشَّرِّ وَالْحَرْصِ ؟ وَقَالَ حَنْشُ (٤)
ابن عمرو

وَأَتَمَّ سَمَاءَ يَعْجِبُ النَّاسَ رِزْهًا * لَهَا زَجَلٌ بَاقٍ شَدِيدٌ وَثِيدُهَا
تَقْطَعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِمَحَاصِبٍ * وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقُهَا وَرَعُودُهَا
فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلًا تَهَاوَى شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) هو العوام بن شوذب الشيباني . (٣) هكذا في النسختين
الفتوغرافية والألمانية وفي المقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات في الحماسة لقراد بن حنش الصاردي وروى البيت الأول

وَأَتَمَّ سَمَاءَ يَعْجِبُ النَّاسَ رِزْهًا * بَابِدَةٍ تَحْيَى شَدِيدٌ وَثِيدُهَا

والثالث فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلًا تَهَاوَى وَشَارَةً * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

وقال الفرزدق أو البعيث

سائل سَلِيْطًا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْزَعَهَا * مَا بَالُ خَيْلِكُمْ قُفْسًا هَوَّادِيَهَا
لا يرفعون إلى دأج أعتتها * وفي جَوَاشِنِهَا دَاءٌ يُجَافِيهَا

- كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الأغر يتزل
ببني أخت له في سكة بني مازن، وبنو أخته من قریش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم
في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلا الإماء فدخل
كلب يعتس فرأى بيتا فدخله وأنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا
دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغي اللص؟ ثم
أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملأمان، أما والله إنك بي لعارف
فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح
في رأسك منتك نفسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بني عمرو والرجال خلوف والنساء
يصالين في مسجدهم فأسرقهم . سوء لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله
لتخرجن أولاهن هتفة مشؤومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحفظلة وتجيء سعد بعدد
الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشام مولود .
فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال : اخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني
والله ما أراك تعرفني ولو عرفني لقنعت بقولي واطمأنت إلى . أنا - فديتك -
أبو الأغر النهشل، وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضار الليلة
فأخرج فأتى ذمتي وعندي قوصرتان أهدهما إلى ابن أختي الباز الوصول فخذ
إحدهما فاتبذها حلالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا
سكت وثب يُريغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغر ثم تضاحك وقال : يا ألام الناس
وأوضعهم ، لا أرى إلا أنى لك الليلة في واد وأنت لى في واد ، أقلب السوداء

والبيضاء فُصِيعَ وتَطَرَّقَ ، وإذا سَكَتْ عَنْكَ وَثَبْتَ تُرِيغَ المَخْرَجَ ، والله لتُخْرِجَنَّ
أَوَّلَ لَحْنٍ عَلَيْكَ الْبَيْتَ . فلما طَالَ وَقُوفُهُ جَاءَتْ إِحْدَى الْإِمَاءِ فَقَالَتْ : أَعْرَابِي
مَجْنُونٌ ، والله ما أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئًا ، فدَفَعَتْ الْبَابَ نَفْرَجَ الْكَلْبِ شَدًّا وَحَادَ عَنْهُ
أَبُو الْأَغَرِ سَاقَطًا عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا اللَّهَ مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ ! والله ما أَرَاهُ إِلَّا كَلْبًا ،
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ بِحَالِهِ لَوَلَّجْتُ عَلَيْهِ .

وشبه بهذا حديث لأبي حية الثميري ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،
وكان يسميه لُعَابَ الْمَنِيَةِ . قال جَارِلُهُ : أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَقَدْ آتَتْهُ شَمْرٌ وَهُوَ
يَقُولُ : أَيُّهَا الْمُغْتَرَّبُ بَنَّا وَالْمُجْتَرِئُ عَلَيْنَا ، بئسَ والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف
صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهور ضربته لاختاف نبوته . أخرج بالعفو
عَنْكَ وَإِلَّا دَخَلْتُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْكَ ، إني والله إِنِّ أَدْعُ قَيْسًا تَمْلَأُ الْأَرْضَ خِيَلًا
وَرَجُلًا . يا سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا أَكْثَرَهَا وَأَطْيَبَهَا ! ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ فَإِذَا كَلْبٌ قَدْ خَرَجَ ،
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْبًا وَكَفَانِي حَرْبًا .

وقرأت في كتاب كليلية ودمنة : يخاف غير المخوف طائر يرفع رجله خشية السماء
أَنْ تَسْقُطَ ، وطائر يقوم على إحدى رجله حذار الخسف إن قام عليهما ، ودودة تأكل
التراب فلا تشبع خوفًا أَنْ يَفْنَى إِنْ شَبِعَتْ فَتَجُوعُ ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار
أَنْ تُصْطَادَ لِحُسْنِهَا .

بينما عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد الله بن زياد إذ دُخِلَ عَلَيْهِ يُجَرِّدُ أَبْيَضَ
فَعَجِبَ مِنْهُ وَقَالَ : يَا أَبَا صَالِحٍ ، هَلْ رَأَيْتَ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا ؟ وَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ تَضَاعَلَ
حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ فَرْخٌ وَأَصْفَرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ جَرَادَةٌ كَرٌ . فقال عبيد الله : أَبُو صَالِحٍ يَعْصِي
الرَّحْمَنَ وَيَتَهَاونُ بِالشَّيْطَانِ وَيَقْبِضُ عَلَى الثَّعْبَانِ وَيَمْشِي إِلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ وَيَلْقَى الرِّمَاحَ
بِوَجْهِهِ قَدْ اعْتَرَاهُ مِنْ هَذَا الْجُرْدِ مَا تَرُونَ ! إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ !

(١) كَذَا بِالنَّسَخَتَيْنِ ، وَفِي الْعَدَدِ الْفَرِيدِ : « وَيَتَهَاونُ بِالسُّلْطَانِ » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرًا مع المشركين وانهزم، فقال فيه حسان

إن كنت كاذبة الذي حدثتني * فتجوت منحي الحارث بن هشام

ترك الأحبة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طميرة ولحام

فاعتذر الحارث من فراره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسي بأشقر مُزبد

وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي

فصدت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله ، فأتبعه أهل مكة ليكون ، فرق وبكى ثم قال : أما إننا لو كنا نستبدل دارا بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها الثقلة الى الله ، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات .

المدائني قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك ؟ قال : أضحك من حضور ذهرك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب ، أما والله لقد وافقته منانا كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك . قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إنني لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وربا تتحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أو دَعُ .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة ، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا الأعرابي المستلثم في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث اليها أنه الحجاج ، فأعادت

(١) هكذا في النسخين الألمانية والفرنغرافية ، والذي في المعارف للصف " يوم سرمد " .

الرسول اليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلوبك ملك الموت أحياناً أحبّ الىّ من أن يخلوبك المجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال : يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست قهرمانةً فلا تُطلعها على شرك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة المجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مستلماً، ففعل ذلك وأتاها المجاج فحجبتة فلم يزل قائماً، ثم قالت : إيه يا مجاج، أنت المتهنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الاسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فان كنّ ينفرجنّ عن مثله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفّض نساء أمير المؤمنين الطيّب من غدائهن فيبعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن^(١) قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأبجلك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر اليك وسنان غزاة بين كتفيك

أسد على وفي الحروب نعامه * فتخاء تنفر من صغير الصافر

هلا كررت على غزاة في الوغى * بل كان قلبك في جوانح طائر

وغزاة امرأة شبيب الخارجي . ثم قالت : أخرج ، فخرج .

وكان في بني ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك نلسا من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مفترأ، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم ثل كئنته وأخذ قوسه وقال

(١) في النسخة الفوتوغرافية "القوت" . (٢) هو عاصم بن ثابت كما في اللسان مادة (عبل) ورواه

ماطى وأنا طب خاتل * والقوس فيها وتر عاتل

* نزل عن صفحته المعابل *

ما علّتي وأنا جلد نابل * والقوس من نبع لها بلابل
يرز فيها وترعابل * ان لم أقاتلكم فأقمت هابل
أكل يوم أنا عنكم ناكل * لا أطعم القوم ولا أقاتل

* الموت حق والحياة باطل *

- ثم جعل يرميهم حتى ردهم، وجاءهم الصريح وقد منع الحى، فصار بعد ذلك شجاعا سمحا معروفا .

- ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجه معه روح بن زنباع الجذامي كالوزير، وكان روح رجلا عالم داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تحوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جنبه فاحتالوا في إخراجهم عنهم فكتبوا ليلا على بابهم ١٠
- إق ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباع

- فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه فى الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت أخاك مقتولا أو مغلوعا . قال : كيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر فضحك ١٥
- عبد الملك حتى فحص برجليه ، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .
- كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجه إلى أبى قديك فانهزم وأتى المجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أنفاذها "عدة" فأمر المجاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

- [وقال عمر رضى الله عنه : إن الشجاعة والجن غرائز فى الرجال ، تجد الرجل ٢٠
- يقاتل عن لايالى ألا يؤوب إلى أهله ، وتجد الرجل يفتر عن أبيه وأمه ، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

وقال الشاعر

يفتر الجبان عن أبيه وأمه * ويمحي شجاعُ القوم من لاياسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال سمعت الحرسي يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجا . استترنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يُدريان حنطة، أحدهما أصيفر أحمس،^(١) والآخر مثل الجمل عظمًا، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنو منه دابة إلا نخس أنفها وضربها حتى شق علينا قُتْلًا ، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه ، فما دخله أحد . فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي ، فعزمتُ عليه إلا جاء . فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألا تسودوا اسمه في صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه من هو . قال : فذاك له . أنا هو . فكان مسلمة لا يصلح بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية "أخيس" ولعله "أحمش" مصغر أحش وهو دقيق الساقين .

(٢) في الألمانية "عنان" ولم نعر عليه في كتب التراجم ، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصَّفَّار كما في كتب التراجم . (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوشروان إلى مرازبته : عليكم بأهل
الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوما تجاربوا
فقال : أقبلت الفحول تمشي مشى الوُعول ، فلما تصالحوا بالسيوف فغرت المنايا
أفواهاها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : آحتثوا كلَّ جُحَالِيَّةٍ عَيْرَانِيَّةٍ
فما زالوا يَحْصِفُونَ أَخْفَافَ الْمَطِيِّ بِحَوَافِرِ الْخَيْلِ حَتَّى أَدْرَكُوهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ يَوْمٍ فَجَعَلُوا الْمُرَّانَ
أَرْضِيَّةَ الْمَوْتِ وَأَسْتَقَوْا بِهَا أَرْوَاحَهُمْ .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمنا من قَطْرَى
وأصحابه فادركني رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفي ، فالتفت فإذا أنا بقَطْرَى
فيئست من الحياة فلما عرفني قال : أَشَدُّ عَنَانَهَا وَأَوْجَعُ خَاصِرَتَهَا قَطَعَ اللَّهُ يَدَيْكَ .
قال : ففعلت فنجوت منه .

حدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب ^(١) [قالت امرأة : الفرق
يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ] أخرج فشق بطنه وأُخرج فؤاده
فاذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فيَنزَو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء
قال : لما كان يومُ الكلاب خرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سَعْدِيُّ ، فقال :
لو طلبت رجلا له فداء ! قال : فخرجت أطلبه ، فاذا رجل عليه مُقَطَّعة يمانية على
فرس ذئوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أَقْصَدُ لِي . قلت : أَيُّهَا
منك النين . قال : العراق مني أبعد . قلت : وتالله لا ترى أهلك العام . قال
لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : فتركته ولما كان بعد أيام ونعت نعت بعد ذلك ،
فقبل لي : هو وعلّة الجرمي .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان فبيّتهم العدو ليلاً وفزقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففرع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلّده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إن على كل رئيس حقاً * أن يحضب الصّعدة أو تندقاً

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حمل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مرو الروذ .

سأل ابن هبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وكيع ابن الدؤريّة كيف قتلته ؟ قال : غلبته بفضل فتاء كان لى عليه فصرعته وجلست على صدره وقلت له : يا لئارات دؤيلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تحتى : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوى كف نوى ! ثم تنخّم فلأ وجهى ثخامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدّل عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك دُعر قطّ لحرب [أو عدو] قال : ما سلّمت فى ذلك من دُعر ينبّه على حيلة ولم يَفْشَنِي فيها دُعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه البسالة .

خرج رُهم بن حزم الهلاليّ ومعه أهله وماله يريد النُقلة من بلد الى بلد فلقيه ثلاثون رجلاً من بنى تغلب فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شأنكم بالمال وخلوا

(١) الكردوس : الكتبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى النسخة الألمانية «زهير» ولم نعر على ما يرجح احدى الرايتين .

الطعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحى لمعى . وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُداً على آخرها الأتالياً * إن لها بالمشرقي حادياً
* ذكرني الطعن وكنتُ ناسياً *

قال الزبيرى : ما أستحيا شجاع أن يفتر من عبد الله بن خازم السلمى وقطري
ابن الفجاءة .

أبو اليقظان قال : كان حبيب بن عوف العبدي فاتكاً، فلقى رجلاً من أهل الشام
قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجر بها فسايره، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوماً وهو يشرب ^(١) [على لذته] .

يا صاحبي أقلاً اللوم والعذلاً * ولا تقولاً لشيء فات ما فعلاً
رُداً على كُبت اللون صافية * إني لقيت بأرض خاليا رجلاً
ضخم الفرائص لو أبصرت قمته * وسط الرجال إذن شبهته بجملاً
ضاحكته ساعة طوراً وقلت له * أنفقتَ ببيعك إن ريتنا وإن عَجلاً ^(٢)
سايرته ساعة ما بي مخافته * الا التلفتَ حولي هل أرى دغلاً
غادرته بين آجامٍ ومسبحة * لم يدر غيري بعدى بعد ما فعلاً
يدعو زياداً وقد حانت منيته * ولا زياداً لمن قد وافق الأَجلاً

المفضل الضبي : كان سُلَيْك بن سُلَكة التميمي من أشد فرسان العرب وأذكهم
وأدَل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئت لما شئت اذا شئت ، اللهم إني لو كنت
ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الفتوغرافية : «إن زيتا وإن عسلاً» .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأملق حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب
غرة من بعض من يتر عليه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة
واشتمل الصماء ونام إذا هو برجل قد جثم على صدره وقال : استأسر . فرفع سليك رأسه
وقال : « إن الليل طويل وأنت مُقِمِر » فجرى مثلاً ، وجعل الرجل يلتهزه ويقول :
استأسر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه إليه ضمةً ضرط منها وهو فوقه ، فقال له سليك :
« أضرطاً وأنت الأعلى » فجرى مثلاً ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ،
فقلت : لأخرجن ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلق معي ، ففضيا فوجدا رجلاً
قصته مثل قصتهما ، فأتوا جوف مُراد وهو واد باليمن فاذا فيه نَمَ كثيرة ، فقال لها
سليك : كونا قريباً حتى آتى الرءاء وأعلم لكما علم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن
كانوا قريباً رجعت اليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أُحى^(١) به لكما فأغيرا .
فانطلق حتى آتى الرءاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ،
فقال لهم سليك : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى . فتغنى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :
يا صاحبيّ ألا لا حى بالوادي * إلا عييدٌ وأم بين أذواد
أتظُران قليلاً ريثَ غفلتهم * أم تعدوان فان الربح للعادي
فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطردوا الإبل وذهبوا بها .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان سليك يُحضر فتقع السهام من كئانته
فترتن في الأرض من شدة إحضاره . وقال له بنو كئانة حين كبر : أرايت أن تريننا
بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شاباً وأبنوني درعا ثقيلة .
فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلا تَ العدو
لَوْنًا واهتبصوا^(٢) في جنبتيه فلم يصحبوه إلا قليلاً فجاء يُحضر مُبتيراً من حيث لا يروونه
وجاءت الدرع تحفِقُ في عنقه كأنها خرقة .

(١) من وحى يحي إذا أوما . (٢) عدوا .

- (١) قال سهل وحدثني العُتبي قال حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه قال : كنت عند المهاجرين عبد الله والى اليمامة فأتى بأعرابي قد كان معروفا بالسرق فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبق وكانت لي خيل لا تُلحق^(٢) ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما فاحترشت ضبا فعلقته على قتي ثم مررت بخباء سرى ليس فيه إلا عجوز ، فقلت : أخلق بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثدن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رأني رحب بي ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولني العُلبَة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أُنق فشرب ألبانهم ثم نحر حُوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحثا كُومَة من بطحاء وتوسدها وغط غطيظ البكر ، فقلت : هذه والله الغنيمة . ثم قت
- ١٠ الى خلل إبله فخطمته ثم قرنته الى بعيري وصحّت به فأتبعني الفحل وأتبعته الإبل إربابا به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرّة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع الفجر ، فأبصرت الثنية فاذا عليها سواد فلما دنوت اذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه في حجره فقال : أضيفنا؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا .
- ١٥ فأخرج سهمما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصريين أذني الضب ، ثم رماه فصعد عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول؟ قلت : أنا على رأي الأول . قال : انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا
- ٢٠ السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت :

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « عن بعض أهله » وفي المقد الفريد « وحدث العتبي عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين » . (٢) في الأصل « تحلف » والتصويب عن المقد الفريد .

أَنْزِلْ آمَنَّا؟ قَالَ : نَعَمْ . فَتَزَلْتُ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خِطَامَ خِفْلِهِ وَقُلْتُ : هَذِهِ إِبْلُكَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا وَبَرَةٌ وَأَنَا أَنْتَظِرُ مَتَى يَرْمِينِي بِسَهْمٍ يَنْتَظِمُ بِهِ قَلْبِي ، فَلَمَّا تَحَيَّيْتُ قَالَ لِي : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلْتُ وَاللَّهِ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ لَا طَمَعًا فِي خَيْرِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ هَذَا ، مَا أَحْسَبُكَ جَشِمْتَ اللَّيْلَةَ مَا جَشِمْتَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ . قُلْتُ : أَجَلْ . قَالَ : فَاقْرَأْ مِنْ هَذِهِ الْإِبْلِ بِعَيْرِينَ وَأَمِضْ لِعَيْتِكَ ، قُلْتُ : أَمَّا وَاللَّهِ حَتَّى أَخْبِرَكَ عَنْ نَفْسِكَ قَبْلًا . ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْرَابِيَا قَطُّ أَشَدَّ ضَرَسًا وَلَا أَعْدَى رَجُلًا وَلَا أَرْمَى يَدًا وَلَا أَكْرَمَ عَفْوًا وَلَا أَصْنَى نَفْسًا مِنْكَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ سِيرِ الْعَجَمِ أَنَّ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ فَعَرَضَتْ لَهُ ظُبَاءٌ ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ تَرِيدِينَ أَنْ أَضَعَ السَّهْمَ مِنَ الْوَحْشِ؟ فَقَالَتْ أُرِيدُ أَنْ تُشَبِّهَ ذُكْرَانَهَا بِالْإِنَاثِ وَإِنَاثَهَا بِالذُّكْرَانِ ، فَرَمَى تَيْسًا مِنَ الظُّبَاءِ بِنُشَابَةٍ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنِيهِ وَرَمَى عِزًّا مِنْهَا بِنُشَابَتَيْنِ فَأَثْبَتَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْقَرْنَيْنِ . ثُمَّ سَأَلَتْهُ أَنْ يَجْمَعَ أُذُنَ الظُّبِيِّ وَظُلْفَهُ بِنُشَابَةٍ وَاحِدَةٍ فَرَمَى أَصْلَ أُذُنِ الظُّبِيِّ بِبُنْدُوقَةٍ فَلَمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِهِ لِيَحْتَكَّ رِمَاهُ بِنُشَابَةٍ فَوَصَلَ ظُلْفُهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقَيْنَةِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَقَالَ : شَدَّ مَا اسْتَشْطَطَتْ عَلَيَّ وَأَرَدْتُ إِظْهَارَ عَجْزِي !

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ كَسْرَى اسْتَعْمَلَ قِرَابَةً لَهُ عَلَى الْيَمَنِ يَقَالُ لَهُ الْمَرْوَزَانُ ، فَأَقَامَ بِهَا حِينًا ثُمَّ خَالَفَهُ أَهْلُ الْمَصَانِعِ — وَالْمَصَانِعُ جِبَلٌ بِالْيَمَنِ مَمْتَنِعٌ طَوِيلٌ وَوَرَاءَهُ جِبَلٌ آخَرٌ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ إِلَّا أَنَّهُ مُتَقَارِبٌ مَا بَيْنَهُمَا — فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمَرْوَزَانُ فَنَظَرَ إِلَى جِبَلٍ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ إِلَّا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ يَمْنَعُ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمْ صَعَدَ الْجِبَلَ الَّذِي هُوَ وَرَاءَ الْمَصَانِعِ مِنْ حَيْثُ يُحَازِي حَصْنَهُمْ فَنَظَرَ

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ «أَشَدَّ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

- الى أضيق مكان فيه وتحت هواء لا يُقدر قدره، فلم ير شيئاً أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفين ثم يصيحوا به صيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضراً رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه خيروا : هذا أيم. والأيم بالحميرية شيطان، فاتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضاً ففعلوا واستترهم من حصنهم فقتل طائفة وسبي طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم اليه وأراد أن يسأى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزانته فكان يُخرج في كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

- وروى أبو سؤفة التيمي عن أبيه عن جدّه عن أبي الأغرّ التيمي قال : بينا أنا واقف بصفين مرّ بي العباس بن ربيعة مكفراً بالسلاح وعيناه تبصّان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صعب يمنعه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له غرار بن أدهم : يا عباس هلم الى البراز . قال العباس : فالتزول اذا فانه إياس من القُفُول . فترل الشامى وهو يقول
- ١٥ إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تزلون فانا معشر نزل
- وثنى العباس وركه فترل وهو يقول

- وتصدّ عنك حيلة الرجل المبرّض موصحة عن العظم
بُحسام سيفك أو لسانك والكلّم الأصيل كأرغب الكلّم
- ٢٠

(١) عبارة الفتوغرافية « وبيده صفيحة له يمانية يقلها وهو على فرس له صعب فينها هو يقلها (وليقة) »

ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ » .

ثم غَضَّنَ فَضَلَاتِ درعه في مُحْجَزَتِهِ ودفع قوسه الى غلام له أسود يقال له : أسلم
كأنى أنظر الى فَلَائِلِ شعره ثم دَلَفَ كُلَّ واحد منهما الى صاحبه فذكرت بهما قول
أبى ذؤيب

فتنازلا وتواقفت خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُحْدَع

- وكف الناس أَعَنَّةَ خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكالحا بينهما ملياً من
نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكِمالِ لَأَمَتِهِ الى أن لحظ العباس وهياً في درع
الشامى فأهوى اليه بيده فهتكه الى تُنْدُوتِهِ ثم عاد لمجاولته وقد أَمْحَرَلَهُ مفتق الدرع
فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره ونحر الشامى لوجهه وكبر الناس تكبيرة
ارتجّت لها الأرض من تحتهم وَأَنْشَمَ العباس في الناس [وَأَنسَاعَ أمره] وإذا قائل
يقول من ورائى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيَذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فالتفت
واذا أمير المؤمنين رضى الله عنه على بن أبى طالب، فقال: يا أبا الأغر، من المُنَازِلِ
لعدونا؟ فقلت: هذا ابن أخيك، هذا العباس بن ربيعة. فقال: إنه لهو، يا عباس
ألم أنك وابن عباس أن تَخْلَا بِمَرْكَزِكَ أو تَبَاشِرَا حَرْبًا؟ قال: إن ذلك . يعنى نعم .
قال: فما عَدَاَ مِمَّا بَدَأَ؟ قال: فادّعى الى البراز فلا أجيب؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولى
بك من إجابة عدوك . ثم تغيّظ وأستشاط حتى قلت: الساعة الساعة، ثم تطأمن
وسكن ورفع يديه مبتهلاً فقال: اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهم
إنى قد غفرت له فاغفر له . قال: وتأسّف معاوية على عرار وقال متى يَنْطِفُ فُحْلٌ
بمثله! أَيُطَلِّ دمه! لاه الله ذاك! ألا لله رجل يَشْرِى نَفْسَهُ يطلب بدم عرار؟ فانتدب له
رجلان من نلح . فقال: اذهبا فأيتكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعواه الى
البراز فقال: إن لى سيدا أريد أن أُؤامره . فأتى علياً فأخبره الخبر، فقال على: والله

- (١) لود معاوية أنه ما بقي من هاشم نافع ضربة إلا طعن في نبطه إطفاء لنور الله ويأبى الله إلا أن يُيمَّ نوره ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنهم منا رجال، ورجال يسومونهم الخسف حتى يحفروا الآبار ويتكفّفوا الناس . ثم قال : يا عباس ناقلني سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصد الخمين . فلم يشكّا أنه العباس فقال له : أذن لك صاحبك ؟ فخرج أن يقول نعم ، فقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يَكُونُوا عَالَمِينَ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنما أخطاه ، ثم برز له الآخر فالحقه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلْ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فعُدْ الىّ ، ونمى الخبر الى معاوية فقال : قبح الله الجلاج إنه ليعود ما ركبته قط إلا خُذْتُ . فقال عمرو ابن العاص : المخدول والله الخمين لا أنت . قال معاوية : اسكت أيها الرجل فليس هذه من ساعتك . قال : وإن لم تكن ، رحم الله الخمين وما أراه يفعل . قال : ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق بمحرك . قال : قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها . قال : هى أعمتك ولولا هى لألفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية
- معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
- (٢) فإن تعطى مصرا فأرنج بصفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع
- (٣) نخرج الأخنس الجهنى فلقى الحصين العمري ، وكانا جميعا فاتكين ، فسارا حتى لقا رجلا من كندة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فترل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هذه الجملة فى مادة "نبط" معناه : إلّا مات . ثم قال : وقيل النبط نياط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به .

(٢) فى النسخة الألمانية : "شيئا" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب فى لسان العرب وفى الألمانية «العمري» بالياء وفى اللسان وجمع الأمثال برويه الحصين الكلابي .

يا كل ، فلما اتبها اليه سألما . قال الكندي : ألا تضحيان ؟ فترلا . فبينما هم يأكلون
مرّ ظليم فنظر اليه الكندي^(٢) وأيده بصره فبدت له لبتة ، فاغتره الحصين فضرب بطنه
بالسيف فقتله ، واقتسمأ ماله وربما ، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعَلَةٌ وصَعْلٌ ؟
قال : يوم شرب وأكل . قال : فأنعت لي هذه العقاب . فرفع رأسه لينظر إليها
فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا الحصين يقال لها صخرة
لما أبطا عليها خرجت تسأل عنه في جيران لها من مراح وجرم . فلما بلغ ذلك
الأخينس قال

وكم من فارس لا تزدريه * إذا شخّصت لموقفه العيونُ
يذلّ له العزيز وكل ليث * شديد المضر مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب * ينوء لوقعه الهام السكون^(٣)
فأمست عرسه ولها عليه * هدوء بعد ليلته أنين^(٤)
كصخرة أذ تسائل في مراح * وفي جرم ، وعلمهما طنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهيئة الخبر اليقين

فذهبت مثلاً

[خرج المهديّ وعليّ بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دلامة الشاعر . فسنحت
لهم ظباء فرمى المهديّ ظيباً فأصابه ، ورمى عليّ بن سليمان كلباً فعقره ، فضحك
المهدي وقال لأبي دلامة : قل في هذا ، فقال

ورمى المهديّ ظيباً * شكّ بالسهم فؤاده

(١) في النسخة الفتوغرافية : "تصطبجان" . (٢) كذا في الأصل والصواب أبده بالباء . الموحدة
يقال أبده النظر أى أعطاه بدته من النظر أى حظّه . (٣) في الفتوغرافية «تق» وهو من تق يتق
بمعنى صوت . (٤) كذا بالأصل وفي أمثال الميداني :

وأضحت عرسه ولها عليه * بعيد هدوء ليلتها رنين

(٥) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل امرئ يأكل زاده]

- قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شبيب الخارجي، فلما التقى
الزحفان خرج منهم فارس ينادي: من يبارز؟ بفعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجله
ولم ينهه، فغاض ذلك مروان، بفعل يندب الناس على نحسائة، فقتل أصحاب خمس
المائة، وزاد مروان على نذبه فبلغ بها ألفا، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالنذبة
خمسة آلاف درهم، وتحبى فرس لا أخاف خونه، فلما سمعت بخمسة الآلاف نزقته
واقترحت الصف. فلما نظر إلى [الخارجي] علم أني خرجت للطمع، فأقبل يتبها إلى
وإذا عليه قوله قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فاقفعل وعيناه تدران
كأنهما في وقين، فدنا مني وقال:

وخارج أخرج به حب الطمع * فتر من الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

- فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هاربا، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟
آتوني به. ودخلت في غمار الناس فنجوت
- ١٥ كان خالد بن جعفر نديما للنعمان، فبينما هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر
وزبد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: آدن يا حارث
فكل، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيت اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لي عنده يدا. قال الحارث: وما تلك اليد؟
قال: قتلت سيد قومك فتركك سيدهم بعده. يعني زهير بن جزيمة، قال الحارث

٢٠ (١) في الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمس آلاف، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما في شرح المراتي
على التسهيل. (٢) ابتل. (٣) تقبض. (٤) كتب في الفتوغرافية تحبها كالتفسير لها
«تلوحان». (٥) الوقب تفر في الصخرة يجتمع فيه الماء.

أما إني سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزمعة وأرعدت يده ، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد : أيتن تريد فأنا ولكها ؟ قال الحارث : أيتن تهتك فادعها ؟ ثم نهض مغضبا ، فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت فتك وسفاهه ؟ فقال : أبيت اللعن ، وما نتخوف على منه ؟ فوالله لو كنت نائما ما أيقظني . فانصرف خالد فدخل قبة له من آدم بعد هذأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخرها فشققها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطابة

عَلَّانِي وَعَلَّا صَاحِبِيَا * وَأَسْقِيَانِي مِنَ الْمُرُوقِ رِيَا

إِنَّ فِيْنَا الْقِيَانَ يَعْزِفْنَ بِالضَّرْ * بَ لَقْتِيَانَا وَعِيشَا رَحِيَا

يَتَنَاهَيْنَ فِي النِّعَمِ وَيَضْرِبُنَّ^(١) خِلَالَ الْقُرُونِ مَسْكَ ذِكَا

أَبْلَغَا الْحَارْثَ بِنَ ظَالِمِ الرَّعْدِ^(١) وَالنَّاذِرِ النَّذِيرِ عَلِيَا

إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَّامَ وَلَا تَقْتُلُ يَقْظَانَ ذَا سِلَاحٍ كِيَا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بليلى إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأتاه الحارث ليلا فتهتف به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أعني على أبل لبني فلان وهي منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرسه وأراد أن يركب حاسرا . فقال له : البس عليك سلاحك فإني لا آمن امتناع القوم ، فاستلأم ونرج معه ، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى نخذ حذرَكَ يا عمرو ، فقال له : آمنن على . فجز ناصيته . وقال الحارث

عَلَّانِي بِلَذِّي قَيْتَيَا * قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ عَلِيَا

قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَ الْعَوَازِلَ أَنِي * كُنْتُ قَدَمَا لَأَمْرَهْنَ عَصِيَا

مَا أَبَالِي إِذَا أَصْطَبَحْتَ ثَلَاثَا^(٢) * أَرَشِيدَا دَعَوَتِي أَمَ غَوِيَا

(١) في الفوتوغرافية « الموعود » ولعله محرف عن « الموعِد » كما نقل في هامش النسخة الألمانية من نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أصبت .

غَيْرَ آلَا أُسِرَّ لَهٗ إِثْمًا * فِي حَيَاتِي وَلَا أَخُونَ صَفِيًّا
 بَلِّغْتَنِي مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرُو * بَلِّغْتَنِي وَكَانَ ذَاكَ بَدِيًّا
 نَخْرَجْنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقَيْنَا * فَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَيْبًا
 غَيْرَ مَا نَأْتَمُّ يَرْوَعُ بِاللَّيْلِ مُعِدًّا بِكُفِّهِ مَشْرِفًا^(١)
 فَرَجَعْنَا بِالْمَنْ مَنَا عَلَيْهِ * بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَنَا بَدِيًّا^(٢)

ووفد تميم بن مرّ وبكر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه فخرى بينهما تفاجر
 فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فُحِتا وموَّها بالفضة
 وأعطاهما إياهما، فجعلا يضطربان بهما ملياً من نهارهما، فقال بكر
 * لو كان سيفانا حديداً قطعاً *

وقال تميم

* أَوْ نَحْتَا مِنْ جَنْدَلٍ تَصَدَّعَا *

ففترق الملك بينهما، فقال بكر لميم

* أَسَاجِلُكَ الْعِدَاوَةَ مَا بَقِينَا *

وقال تميم

* وَإِنْ مَنَا نَوْرُثُهَا بَيْنَنَا *

فأورثاها بينهما الى اليوم .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال: كان أبو عمرو السباع يصيح
 بالسبع وقد احتمل الشاة فيسقط فيموت فيُشَقُّ بطنه فيوجد فؤاده قد آنخلع . وهو
 مثل في شدة الصوت . قال الشاعر في ذلك^(٣)

٢٠ (١) في النسخة الفتوغرافية "بالقتل" . (٢) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية :

«بعد من قد كان منا بدياً» ولعل كلمة «منا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابغة الجعدي كما في اللسان مادة (عرا) .

زَجَرَ ابْنُ عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِذَا * أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسَنَّ بِالْغَنَمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصريّ نادى في الحرب التي كانت بين تقيف وبين بني نصر لما رأى الخيل بعقوته ^(١) : يا سوء صباحاه، أيتيم يا بني يربوع ! فألقت الحبالى أولادها، فقبل في ذلك

وأسقط أحبال النساء بصوته * عفيفٌ لدُنْ نادى بنصرٍ فطرّبا

في أخبار وهب بن منبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفنّ أولأصيحنّ صبيحة لاتبقى حامل بمصر الا ألقت ما في بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع فينادى غلمانَه وهم بالغابة فيُسمِعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال ، وطلع جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيعة يتنحج في داره فيسمع تنحجه بالكُثاسة ، ويصبح براعيه فيسمع نداؤه على فرسخ وكان هذا مؤذن سجاج التي تَبَّتْ [ذكر هذا خالد بن صفوان ، وسمعه أبو الحبيب النهديّ فقال : ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعني سجاج] .

ذم رجل الأشر فقال له قائد ^(٢) : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق .

المدائني قال : أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل يستحم له ، فقال له : خذ بعيرا من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير صعب بخذبه فاقتلعه ، فعجب عمر وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، خرجت بامرأة من أهل أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في القوتوغرافية : « الحسين بن علي عليهما السلام » وفيها بدل « قائد » « يزيد » .

زوجها فترلنا منزلا أهله خُلُوفَ فَقَرَّبْتُ من الحوض فيينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه دَوْدُ والمرأة ناحيةً فسَرَّبَ دوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتني، فما انتهيت اليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسى فوضعه بين عضده وجنبه فما استطعت أن أتحرّك حتى قضى ما أراد ثم استلقى . فقالت المرأة : أىّ فحل هذا! لو كانت لنا منه سَخْلَةٌ ! وأمهلته حتى امتلأ نوما فقممت اليه بالسيف
 ٥ فضربت ساقه فأبنتها، فأنذبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطأني وأصاب عنق بعيرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة؟ قال : هذا حديث الرجل . فكرر عليه مرارا لا يزيده على هذا، فظنّ أنه قد قتلها .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا أشهل بن حاتم قال حدّثنا ابن عَوْن عن عُمَيْرِ ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين
 ١٠ ويفعلون . وأبو محجّن في الوثاق عند أم ولد لسعد فأنشأ يقول
 كفى حَزْناً أن تلتقى الخليلُ بالقنا * وأترك مشدوداً على وثاقياً
 إذا شئتُ غنائى الحديد وغلقت * مغاليق من دونى نُصْمِ المناديا

فقالت له أم ولد سعد : أتجعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الى حتى أعيذك في الوثاق؟ قال نعم ، فأطلقته فركب فرسا بلقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول : لولا أن أبا محجّن في الوثاق لظننت أنه أبو محجّن وأنها فرسى . فانكشف المشركون وجاء أبو محجّن فأعادته في الوثاق وأتت سعدا فأخبرته ، فأرسل الى أبى محجّن فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعنى الخمر ، فقال أبو محجّن : وأنا والله
 لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر^(١)

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا
 ٢٠

(١) في النسخة الألمانية « تلعن » . (٢) هو سعد بن ناشد المازنى كما في اللسان والحمامة .

وأذهل عن دارى وأجعل هدمها * لعرضى من باقى المذمة حاجبا
 ويصغر فى عيني تَلَادِي إذا أَثْنَتْ * يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
 فَيَا لِرَزَايِمِ رَشَّحُوا بِي مُقَدَّمَا * الى الموت خَوْاضَا اليه الكراثبا^(١)
 إذا هم لم يردع كريمة هم * ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا^(٢)
 أخوا غَمَرَاتٍ لا يريد على الذى * يهيم به من مُفْطَعِ الأمر صاحبا^(٣)
 إذا هم التى بين عينيه عزمه * ونكّب عن ذكر العواقب جانببا
 ولم يستشِرْ فى رأيه غير نفسه * ولم يرَضَ إلا قائم السيف صاحبا
 عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا
 وقال رجل من بنى العنبر^(٤)

لو كنت من مازن لم تَسْتَبِيحْ إلى * بنو اللَّقِيْطَةِ من دُهل بن شَيْبَانَا
 إِذَنْ لِقَامِ بِنَصْرَى مَعَشَرَ خُشْنٍ * عند الكريهة إن ذو لَوْثَةٍ لَنَا
 قوم إذا الشر أبدى نَاجِدِيْهِ لَهم * طاروا اليه زَرَافَاتٍ وُوحْدَانَا
 لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرفى شىء وإن هَانَا
 يَجْزُونَ من ظلم أهل الظلم مَغْفَرَةً * ومن إِسَاءَةِ أهل السوء إِحْسَانَا^(٥)
 كَأَنْ رَبَّكَ لم يَخْلُقْ لَخْشِيَّتِهِ * سِوَاهُمْ من جميع الناس إِنْسَانَا
 فليت لى بهم قوما إذا ركبوا * شَنُّوا الإِغَارَةَ فُرْسَانَا وَرُكْبَانَا
 لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النَّائِبَاتِ على ما قال برهَانَا
 لكن يطيرون أَشْتَاتَا إذا فَرَعُوا * وينفرون الى الغارات وَحْدَانَا

(١) فى الحماسة "الكثائب". (٢) فى الحماسة "لم تردع عزيمة هم".

(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التي يهيم بها من مفتح الأمر».

(٤) هو قُرَيْط بن أَتَيْف كما فى الحماسة . (٥) كذا بالحماسة وفى الأصل «غفرانا» .

وقال آخر

ولئن عَمِرْتُ لِأَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاعِي
وَلَأَعْلَمَنَّ الْبَطْنَ أَنَّ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَى أَصْحَابِي بِمَرْقَبَةٍ يَفَاعُ
أَثْرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَسْرٌ * دِ الْخَرْزُ فِي سَيْرِ الصَّنَاعِ
تَرُدُّ السَّبَاعُ مَعِيَ فَأَلْفَنِي كَالْمُدِّلِ مِنَ السَّبَاعِ

وقال آخر

إِنَّا مَحْيُوكَ يَا سَلَمَى خَيِّنَا * وَإِنْ سَقَيْتَ كَرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
إِنَّا لَنُزْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا * وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلَيْنَا
يَبِضُّ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا * نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

وقال المعلوط

أَلَمْ تَرَى خُلِقْتَ أَخَا حُرُوبٍ * إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتَ مِجَنِّ جَانِي

وقال آخر^(١)

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَعْيٌ سُوَيْدٌ أَنَّ فَارَسَكُمْ هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلَ الْفَاعِلَ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
فَقِي قَبْلُ لَمْ تَعْنَسُ السَّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى

(١) هو سُوَيْدُ المرائد الحارثي كما في الحماسة واللسان في مادة «عنس» .

(٢) كذا بالحماسة ، وفي الفتوغرافية «نعي جوي» ، وفي الكامل «نعي حي» . (٣) لم تعنس :

لم تغير . (٤) كذا بالحماسة واللسان ، وفي الأصل «شهب» . وقد ذكره اللسان في مادة «خلس»

وقال أبو زيد : أخلس رأسه فهو خلّس وخلّس إذا أبيض بعضه فاذا غلب بياضه سواده فهو أغم .

أشارت له الحرب العَوَانُ بجاءها * يُقَعِّعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
ولم ينجِها لكن جناها وليه * فَاسَى فَادَاهُ فَكَانَ كَنْ جَنَى
وقال بِشَامَةٌ

إنا بنى نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ * عنه ولا هو بالأبناء يَشْرِينَا
إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ * تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِنَّا لِمَنْ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ * قِيلُ الْكُفَّةِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا * مَنْ فَارَسٌ؟ خَالَهُمْ لِيَاہُ يَعْنُونَا

وقال زهير

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمَوْا حَتَّى إِذَا أَطْعَمُوا * ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا أَعْتَنَقَا
وقالت امرأة من كندة

أَبَوَا أَنْ يَفْزُوا وَأَلْقَنَا فِي نَحْوِهِمْ * وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا
ولو أنهم فزوا لكانوا أَعِزَّةً * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا
وقال أنحر

بَنَى عَمَّنَا رُدُّوا فُضُولَ دِمَائِنَا * يَنْمُ لَيْلُكُمْ، أَوْ لَا تَلْمُنَا الْآوَائِمُ
فإننا وإياكم وإن طال تَرْكُكُمْ * كَذَى الدِّينِ بِنَاىَ مَا نَاىَ وَهُوَ غَارِمُ
وقال أبو سعيد المخزومي وكان شجاعا

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بِالْجَمْرِ مُكْتَحِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتَمِلٍ
لا يشرب الماء إلا من قَلْبِ دَمٍ * وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَدٍ

(١) في الأصل «في الأقرب» والذي في الصلب عن الحماسة .

(٢) كذا بالحماسة وفي الأصل «عاطف» .

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير
نَدَى تَحْكُمُ الآمَالُ فِيهِ، وَنَجْدَةٌ * تَحْكُمُ فِي الْأَعْدَاءِ بِالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ
وقال آخر

ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ * ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ
تَمَثَّلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ
أُذِلَّ الْحَيَاةُ وَعِزَّتِ الْمَمَاتُ * وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ * فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا

وقال قيس بن الخطيم
أَبْلَجُ لَا يَهْمُ بِالْفِرَارِ * قَدْ طَابَ نَفْسًا بِدُخُولِ النَّارِ
وقال آخر^(١)

وَمَنْ تَكُنِ الْحِصَارَةُ أَعْجَبَتْهُ * فَأَيَّ رَجَالٍ بِأَدْيَةٍ تَرَآنَا
وَمَنْ رَبَطَ الْحِمَاشَ فَإِنْ فِينَا * قَنَّا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حَسَانَا
وَكُنْ إِذَا أَعْرَنْ عَلَى قَبِيلٍ * فَأَعُوزْهُمْ كَوْنٌ حَيْثُ كَانَا^(٢)
أَعْرَنْ مِنَ الضُّبَابِ عَلَى حَلَالٍ * وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا^(٣)
وَأَحْيَانًا نِكْرًا عَلَى أَحِينَا * إِذَا مَالَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقالت الخنساء

تَعْرِقُنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا * وَأَوْجَعُنِي الدَّهْرُ قَرَعًا وَغَمًّا

(١) هو القطامي كما في الحماسة . (٢) في الحماسة :

وَكُنْ إِذَا أَعْرَنْ عَلَى جَنَابٍ * وَأَعُوزْهُمْ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

(٣) جمع حِلَّة بكسر أوله وهي كما في القاموس القوم التزول ، وفي ديوان الحماسة : « حلول » جمع حالٍ
والحي الحلول الذين يكونون في مكان واحد .

وأقنى رجالى فبادوا معا * فأصبح قلبى بهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب ^(١) * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها * ونلبس فى الأمن خرا وقزا
وهذا كقولهم : البس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرشى ^(٢) حين قُطعت يده

وَيْلٌم جَارِ غَدَاةَ الْجَسْرِ فَارَقْنِي * أَعِزُّ عَلَىَّ بِهِ إِذْ بَانَ فَاَنْصَدَا
يُمْنِي يَدِيْ غَدَتْ مِنِّي مَفَارِقَةٌ * لَمْ أَسْتَطِعْ يَوْمَ خِلَاطِاسٍ لَهَا تَبَعَا ^(٣)
وَمَا ضَمِنْتُ عَلَيْهِمَا أَنْ أَصَاحِبَهَا * لَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى أَنْ نَسْتَرِجِعَ مَعَا
وَقَائِلٍ غَابَ عَنِ شَأْنِي وَقَائِلَةٌ * أَلَّا اجْتَنِبْتَ عَدُوَّ اللَّهِ إِذْ صُرِعَا
وَكَيْفَ أَتْرَكُهُ يَمْشِي بِمَنْصُلِهِ * نَحْوِي وَأَجِبْنِي عَنْهُ بَعْدَمَا وَقَعَا
مَا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْ خُلُقِي * وَإِنْ تَقَارَبَ مِنِّي الْمَوْتُ وَاکْتَنَعَا
وَيَأْتِيهِ فَارِسًا وَلَّتْ كَتِيبَتُهُ * حَامِي وَقَدْ ضِعُّوا الْأَحْسَابَ فَارْتَجَعَا
يَمْشِي إِلَى مُسْتَمِيتٍ مِثْلِهِ بَطْلٍ * حَتَّى إِذَا مَكَثَا سَيْفِيهِمَا أَمْتَصَعَا
كُلُّ يَنْوَاءٍ بِمَاضِي الْحَدِّ ذِي شَطْبٍ * جَلَّى الصَّيَاقِلُ عَنْ دُرِيهِ الطَّبَعَا ^(٤)
حَاشِيَتِهِ الْمَوْتُ حَتَّى أَشْتَفَّ آخِرَهُ * فَمَا اسْتَكَانَ لِمَا لَاقَى وَمَا جَزَعَا ^(٥)

(١) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للبدر ، وفى النسخة الألمانية « يقاسى » .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى « الجرشى » ويوافقه ما فى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصوابه « الحرشى »

قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحرشى بن كعب فنهى مطرف بن عبد الله بن الشَّخْرِ وزُرارة بن أوفى وعبد الله

ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده اطر يانوس الرومى اهـ . (٣) فى الأمالى « فطلاس » . (٤) فى النسخة

الفتوغرافية « أنكبه » . (٥) كذا بالأصل يعنى تلاته وإشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى « ذريه »

والذرى فرند السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن « حاسيته » بالسین المهملة .

كَأَنَّ لَيْتَهُ هُدَابٌ مُجَمَّلَةٌ * أَحْمَرُ أَزْرَقُ لَمْ يَشْمَطْ وَقَدْ صَلَبَا
فَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَقَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَهُ قِطْعَا
وَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَإِنْ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَفَعَا
بَنَاتَانِ وَجُذْمُورٌ أَقِيمُ بِهَا * صَدْرُ الْقَنَا إِذَا مَا آنَسُوا فَرَعَا

وقال بعض الشعراء

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضُ الطُّبَا سُمُرُ الْقَنَا شُهْبُ اللَّمَمِ
يَسْتَنْفِرُونَ الْمَوْتَ مِنْ تَجَنُّمِهِ * وَيَبْعَثُونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلَمِ
أَوَّلَاكَ قَيْسُ قَوْمِنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعُلَا قَيْسُ الْكَرَمِ

وقال جعفر بن عتبة الحارثي

لَيْسَ عَقِيلًا أَتَى قَدْ تَرَكْتُهَا * يَنْوُءُ بِقَتْلِهَا الذَّنَابَ الْهَوَامِلَ^(٤)
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بُرْقَةٍ سَحِيلِ * وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُوا مَا زَقَا فَرَجْتُ لَنَا * بِأَيَّمَانِنَا يَبِضُّ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ

وقال عمرو بن مغديكرب

أَعَاذَلْ شِكَّتِي بَرَى وَرَمَى * وَكَلَّ مَقْلَصُ سَلِسِ الْقِيَادِ
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمَنَادِي

قال أبو دلف

لَقَدْ عَلِمْتُ وَائِلَ أَنَّنَا * نَخُوضُ الْحُتُوفَ غَدَاةَ الْحُتُوفِ
وَلَا نَتَّقِيهَا بِزَحْفِ الْفِرَارِ * إِذَا مَا الصَّفُوفُ أَنْبَرَتْ لِلصَّفُوفِ

(١) كذا بالأصل وهي محرفة عن «أحم» والجملة كما قال ابن سيدة لون بين الذهب والفضة .

(٢) الجذمور هنا ما بقي من يده بعد قطعها . (٣) في النسخة الألمانية «يتنفون» .

(٤) في الأصلين : * تبوء بقتلها دماء هوامل * وقد أخذنا ما في الأصل عن هامش النسخة

الألمانية .

ويوم أفاءت لنا خيلنا * لدى جبل الدَّيْلَمِيِّ المُنِيفِ
 طَوَالَ الفتي بطوال القنا * وبيضَ الوجوه ببيض السيوف
 وكلَّ حصان بكل حصان * أمينَ شظاه سليم الوظيف
 ألا نَعْماني فما نعمتي * برادعتي عن ركوب المخوف
 لي الصبر عند حلول البلا * إذا نزلت بي إحدى الصُّروف
 وإن تسألني تخبرني أنني * أقي حسي بألوف الألوف
 وأحلم حتى يقولوا ضعيف * وما أنا - قد علموا - بالضعيف
 خفيف على فرسي ما ركبت * ولست على ظالمي بالخفيف

باب الحيل في الحروب وغيرها

١٠ قال ابن اسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، مرّ حتى
 وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال
 الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني من أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «إذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ،
 فان كان الذي خبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا ، للوضع الذي به قريش . وخُبرت
 ١٥ أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا ، فان كان الذي خبرني صدق فهو اليوم بمكان
 كذا ، للوضع الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول :
 نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال حدثني شيخ من بني العنبر قال : أسرت
 ٢٠ بنو شيبان رجلا من بني العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلي ليقتدوني . قالوا : ولا تكلم

- الرسول إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : آئت قومي فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك ؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا ؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي فقل لهم : عرّوا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلّوا حارثا عن أمري . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم :
- أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا . وقوله «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للغزو ، وهي أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شكوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : «عرّوا جملي الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصّمان . وقوله : «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد اركبوا الدّهناء . قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
- ١٠ أرسل على بن أبي طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : أتت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه ، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل ، فأقرنه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدا ممّا بدّا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأمّ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحلّ ما أحلت ونحرم ما حرمت .
- ١٥ الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء ، فقال له شبيب : اخرج إلى أسائك . قال : فأنا آمن حتى ألبس ثوبي ؟ قال : نعم . قال : فوالله لا ألبسه .
- ٢٠ قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهرمزان . فاستسقى فأثى بماء فأمسكه بيده وأضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أولم تؤمنى ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، ولا بأس أمان ، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العتبي : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عَصَاء الأشعري الى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست في عنقي بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش ، قد سمعتم ما قال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائني قال : أقبل واصل بن عطاء في رُقَّة فلقيهم ناس من الخوارج ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله ، فاعرضوا علينا . فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا . قالوا : فأمضوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُبلغونا مأمنا . قال الله تعالى (وإنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمنا . فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنا .

وقال معاوية : لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حليم ولا الزُّبيري غير شجاع ولا المخزومي غير تِيَاه . فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال : قاتله الله ! أراد أن يجود بنو هاشم فينقذ ما بأيديهم ، ويحلّم بنو أمية فيتجنبوا الى الناس ، ويتشجع آل الزبير فيفتنوا ، ويقتله بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عمر بآض اليهودي وهم بحروري فقال : هل خرج اليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فأمضوا راشدين .

المدائني قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع اليه هذه ، فان دفعها

الى يزيد فادفع اليه هذه ، فان شئتني عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائى فى طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمنُ ابن دَحْمَةَ على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشمّ قتيبةً ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأؤتقن لك أخية لا ينزعها المهر الأرنُ . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . يا غلام ، جدّد له عهده على خراسان .

لما صرف أهل مِرّة الماء عن أهل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهندام^(١) : الى بنى آستها أهل مِرّة ، ليمسّين الماء أولتصبحنكم الخيل . فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا فقال أبو الهندام : «الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والترص ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإنى « أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى » فاذا أذاك كتابى هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

ولما هُزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يدّر الناس كيف يعزّونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأَهمّ فقال : [مرحبا بالصابر المخدول^(٢)] الحمد لله الذى نَظَرَ لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عاملاً يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عُقبة المُرّى ، فأتاه الكتاب وهو بأحر رفق ، وفى الكتاب : أصلح الله

الأمير، إن ابن الزبير أتاني بما لا قبل لي به فأنحزْتُ . فقال : يا غلام أكتب اليه :
أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أن ابن الزبير أهلك بما لا قبل لك به فأنحزت . وآيم الله
ما أبالي على أي جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما اليّ ، وبالله لئن بقيتُ
لك لأُنزلنك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال، حدثنا العتيبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هوم أيقظته نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يا معشر العرب، هل فيكم فتي يفعل ما أمره وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين
إذا رجع؟ فقام فتي من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تذهب بكنتي^(١) الى
ملك الروم، فاذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال
لقد كلفت صغيرا وآيت كبرا . فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذن،
فتناجزت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق اليه ملك الروم فجنا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين
رجليه، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته^(٢)
النواقيس، فأراد أن يقتل هذا على الأذنان فيقتل من قبله منّا ببلاده على النواقيس،
والله ليرجمن اليه بخلاف ما ظن . فكساه وحمله فلما رجع الى معاوية قال : أوقد
جنتي سالا؟ قال : نعم، أما من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حاز ما وإن عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دقن لهم الدواوين ودوخ لهم العسوق،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدنانير، وكان

(١) عليها تذهب بكنتي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يديه .

عبد الملك أول من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم نكرهه فإنه عنه وإلا أتاكم في دنائيرنا من ذكره ما تكرهون. فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئاً من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدناير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم ٥ إحدى بنات طَبَقْ، وأخبره الخبر. فقال : يُفْرِخُ رُوعُكَ، حَرِّمُ دَنَائِيرَهُمْ وَأَضْرِبُ لِلنَّاسِ سِكِّكَ وَلَا تُعْهِمُهُمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ . فقال عبد الملك : فَرَجَّتْهَا عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ .

حدثنا الرياشي قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقاً فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلاً فقد خالفته . فكتب اليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) الى آخر القصة . ١٠

حدثنا الزياتي محمد بن زياد قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر الى معاوية : سلام عليك، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة الى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومن أكرم عباده اليه وأكرم إمامه، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، والحجرة ما موضعها من السماء، وقوس قزح وما بدء أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم آله ! ما أدرى ما هذا ! . فأرسل الى يسألني فقلت : أما أحب كلمة الى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملاً إلا بها وهي المنجية، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة ٢٠

لاحول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله إليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمامه عليه مريم التي أحصنت فرجها . والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكبش . والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبجر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلت تعيب وإلى تقصد؟ هلم حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملي . قال عمرو : فعلت أنه بعمل أبصر مني بعمله وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدي فلطمت معاوية ، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفه منك ، يا معاوية أطمه . فقال معاوية إن لي أميرا لا أقضي الأمور دونه . فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وساده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إلى؟ أخوه وأبن عمه وقد أتى غير كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة عليا فقال منه فضرب زيد بن عمر — وأمه ابنة علي بن أبي طالب — على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتدرى ما صنعت؟ وثبتت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقال أتدرى ما صنعت؟ وثبتت على ابن الفاروق وابن علي بن أبي طالب تسبه وسط الناس وتزدريه ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء .

المدائني قال : كان ابن المقفع محبوسا في نِراج كان عليه وكان يعذَّب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعين من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال المختار : ادعو الى المهدي محمد بن الحنفية : فلما خشي أن يحيى قال : أما إن فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعي عرضة لأن تجزَّبه به .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوَّانة بن الحَكَم الكَلبي قال : ولَّى عليّ رضي الله عنه الأَشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر . هل لك في شربة من سويق أجدها لك ؟ قال : نعم . فجذح له بعسل وجعل فيها سماً قاضيا فلما شربها يبس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردها على الكبد ! « إن الله جنودنا منها العسل » . وقال عليّ « لليدين وللنم » .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال نظر عليّ الى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا تُرمى بالليل ، فقال : من أين يأتيكم الرمي ؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولف رأسه ثم جعل يرمي وقال : اذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمي . قال محمد بن كعب القُرظي : جاء رجل الى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله : إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنأدى : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل على رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) العَيْن والعَيْنَةُ الرِّبَا ، وعَيْنُ التَّاجِرِ وتَعَيَّنَ أَخَذَهَا .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبي الزيادة" .

أخذ الحكم بن أيوب الثَّقَفِيَّ عاملَ الجحاجِ إِيَّاسَ بن معاوية في ظَنَّةِ الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي منافق وشتمه ، ثم قال آتني بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إِيَّاس : فقيم هذه الشهادة منذُ اليوم . فضحك وخلق سبيله .

دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيرياً ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقيبك ؟ قال : ومن رد عليك فقد رد على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضَّحَّاك بن مُزَاحِم فقال له يوماً : لو أسلمت ! قال : يميني من ذلك حبي للخمر . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحَّاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أُمُّ أَفْعَى العَبْدِيَّةُ على عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكبر عشرين ألفاً ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

العتبيّ قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . إني والله قد لبستكم فأخلفتكم ورَقَعْتُ بكم فأخترتكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيَمَ اللهُ لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عدكم وأذل غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثل

لعل الحلم دل على قومي * وقد يُستضعف الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني * فمعوَجٌ على ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سُرَاقَة بن مُرداس البارقي أسيرا يوم
جَبَانَة السَّبِيح ، فقدم في الأسرى فقال
امنن على اليوم يا خير معد * وخير من حل بصحراء الجند^(١)
* وخير من لبي وصلى وسجد *

- ٥ فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث عليه غيء بسراقة أسيرا فقال
له المختار : ألم أعف عنك ؟ أما والله لأقتلنك . قال : إن أبي أخبرني أن الشام ستفتح
لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلني . ثم أنشده
ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا
نَحْرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعْفَاءُ شَيْئًا * وَكَانَ نَحْرُوجُنَا بَطْرًا وَحَيْنًا
نَزَاهُمْ فِي مَصَفِّهِمْ قَلِيلًا * وَهُمْ مِثْلُ الدَّبَابِ لَمَّا آَلَتْقَيْنَا
١٠ فَاصْبِحْ إِنْ قَدَرْتَ فَلَوْ قَدَرْنَا * لَجُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدَيْنَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي * سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ التَّقْدِيرَ

- نَفْلِي سَبِيلَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَرَاقَةٌ فَأَخَذَ أُسِيرًا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَمَكَّنَنِي مِنْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، فَقَالَ سَرَاقَةٌ : مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخَذُونِي ! فَايْنَهُمْ ؟ لَا أَرَاهُمْ !
١٥ إِنَّا لَمَّا آَلَتْقَيْنَا رَأَيْنَا قَوْمًا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ عَلَى خَيْلٍ يُبَلِّقُ تَطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .
فَقَالَ الْمُخْتَارُ : خَلُّوا سَبِيلَهُ لِيخْبِرَ النَّاسَ . [ثُمَّ عَادَ لِقَاتِلِهِ وَقَالَ
أَلَا مَنٌ نَخْبِرُ الْمُخْتَارَ عَنِّي * بَأَنَّ الْبَلْقَ بَيْضُ مَصْمُتَاتِ^(٥)

(١) في النسخة الفتوغرافية "بشجر والجند" وهو محذوف وصوابه كما في الطبري "بشجر والجند" .
(٢) في النسخة الفتوغرافية "عبد الرحمن" وقد صوبه في هامشها بأنه إسحاق ويرجح ما في الطبري والعقد الفريد .
(٣) في النسختين «إن» وفي ابن جرير «فاصبح اذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة في النسخة
الألمانية . (٥) في الطبري .

أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ * كَلَانَا عَالَمٌ بِالسُّرَّهَاتِ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا * عَلَى قِتَالِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمى بها قارعة الطريق فيمتر بها المار فيأخذها، فإذا صار إلى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علي رضي الله عنه فقال: لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرته لا ترد بعدها ضالة أبدا . فأمسك علي .

باب من أخبار الدولة والمنصور والطلبين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سمالك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون : يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة ، قال : ما أحقكم ! إن بعد الاثني عشر ثلاثة منا : السفاح والمنصور والمهدى يسلمها إلى الدجال . قال أبو أسامة : تأويل هذا عندنا أن ولد المهدي يكونون بعده إلى خروج الدجال .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم : أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة فخرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى . وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تسفلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم اليوم هم العرب ولا فيهم كتخارب

الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذألون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويمتنون الفرج ويؤملون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نخمة تخرج من أفواه منكرة ، وبعد فكأنى أنفأل الى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالزأب . فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ، يا بن جعدة ليت على بن أبى طالب [فى الخيل] يقابلنى . إن عليا وأولاده لا حظ لهم فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ریح خراسان ونصر الشام ، يا بن جعدة أتدرى لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لأنى وجدت الذى بلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان الى عبد الله بن على : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائرا اليكم ، فإذا كان ذلك فاعلم أن حرمتنا حرمكم . فكتب اليه عبد الله إن الحق لنا فى دمك وإن الحق علينا فى حرمك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصبة الشهوات وإيثار اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وأمانا لمكره ، فسلبهم الله العز وتقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

(١) يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض التوبة هارباً فيمن معه سأل ملك التوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من المجلس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض التوبة بأثاث سليم لي فافترشته بها وأقمت ثلاثاً ، فأتاني ملك التوبة وقد خُبر أمرنا ، فدخل على رجل طَوَال أَقْنَى حسن الوجه فقعده على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأني ملك ، وحقّ على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه . ثم قال لي : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ؟ قلت : آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأنّ الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟ قلت : ذهب الملك منا وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق ملياً وجعل يقلب يديه وينكّت في الأرض [ويقول :^(٢) عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مراراً] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أتم قوم استحلّتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلّبكم الله العزّ والبسكم النذل بذنوبكم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فترودوا ما آحتجتم إليه وآرتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولما أفتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل خراسان : إن لي في بقية آل مروان تدبيراً فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكمل عدّة ، ثم

(١) في الفتوغرافية «عبدالله» . (٢) في الفتوغرافية بدل هذه الجملة «وينكّت في الأرض ويردّد

كلامي ثم قال الخ» . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده

ما في الكامل للبرد أنها وقعت مع عبد الله بن علي وقد كان أميراً على الشام من قبل المنصور .

- بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلا فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولد لهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي : ممن أنت؟ قال : من كلب وقد ولدتهم . قال : فانصرف ودع القوم . فأبى أن يفعل وقال : إني خالهم ومنهم . فلما استقربهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته : أين حمزة بن عبد المطلب ؟ ليدخل ، فأيقن القوم بالهلكة ، ثم خرج الثانية فنادى : أين الحسن بن علي ؟ ليدخل ، ثم خرج الثالثة فنادى : أين زيد بن علي بن الحسين ؟ ثم خرج الرابعة فقال : أين يحيى بن زيد ؟ ثم قيل : ائذنوا لهم . فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقا فأوما إليه : أن ارتفع . فأجلسه معه على طنفته وقال للباقيين : اجلسوا . وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال : أين العبدى الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها
- أما الدعاة إلى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

- فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر : يابن الزانية . فاقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال : امض في نشيدك . فلما فرغ رمى إليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثل بقول القائل

- ولقد ساءنى وساء سوائى * قريبهم من منابر وكراسى^(٤)
- أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والإتعاس^(٥)
- [لا تُقبلن عبد شمس عثارا * وأقطعوا كل نخلة وغراس^(٦)]
- واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس

- (١) ربّاهم . (٢) في الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين .
- (٣) في الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .
- (٤) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية «نمارق» ولعله في الكامل للبرد .
- (٥) زيادة في النسخة الألمانية . (٦) كذا بالأصل ، وفي الكامل للبرد «كل رقلة وأواسى» وقال : الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسية وهى أصل البناء بمنزلة الأساس .

ثم قال لأهل خراسان : دِهيد . فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبي فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال
ومُدْخِلِ رَأْسَهُ لَمْ يَدْخِ أَحَدٌ * بين القرينين حتى لَزَّ الْقَرْنُ

ثم قال : دهيد . فشدخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة بعدهم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا بِرَازَعٍ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهِمْ وَبَسَطَ عَلَيْهَا الْأَنْطَاعَ وَدَعَا بَعْدَانَهُ فَأَكَلَ فَوْقَهُمْ وَإِنْ أَنْبَنَ بَعْضُهُمْ لَمْ يَهْدَأْ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم جُفُورًا بِأَرْجُلِهِمْ وَأَغْنَمَ أَهْلَ خِرَاسَانَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ صُلِبُوا فِي بَسْتَانِهِ . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرِوَاقِ إِلَى الْبَسْتَانِ فَإِذَا رَائِحَةُ الْجَيْفِ تَمَلَأُ الْأَنْوْفَ ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب ! فقال : والله لرائحتها أَحَبُّ إِلَيَّ وَأَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمَسْكِ . ثم قال

حَسِبْتُ أُمِيَّةً أَنْ سَتَرَضَى هَاشِمٌ * عَنْهَا وَيَذْهَبُ زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا
كَتَلًا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ وَإِلَهُهُ * حَتَّى تُبَاحَ سُهُولُهَا وَخُرُونُهَا
وَتَبْدُلُ ذُلَّ حَلِيلَةٍ لَحْلِيلُهَا * بِالْمَشْرِقِ وَتُسْتَرِدَّ دِيُونُهَا

وَأَتَى الْمَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ كَانَ يَطْلُبُهُ فَمَثَلَ بِقَوْلِ سُدَيْفٍ شَاعِرِهِمْ
جَرَّدَ السِّيفَ وَأَرْفَعَ السُّوْطَ حَتَّى * لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُومًا
لَا يَغْتَرِّكَ مَا تَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ * إِنَّ تَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
فَقَالَ الْأُمَوِيُّ : لَكِنْ شَاعِرُنَا يَقُولُ

تُشَمُّسُ الْعِدَاوَةُ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ * وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا

فَقَالَ الْمَهْدَى : قَالَ شَاعِرُكُمْ مَا يَشْبَهُكُمْ وَقَالَ شَاعِرُنَا مَا يَشْبَهُنَا . ثم أمر به فقتل .

وقال رجل : كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد ، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعو الى نفسه ، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول : الجواب . فقال : ليس له جواب ، قل لصاحبك : دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية .

- وكان عمرو بن عبيد اذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قُرَطين يقول : إن يُرِدَ الله بأمة محمد خيرا يُولِّ أمرها هذا الشاب من بنى هاشم . وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلّمه وأراد الانصراف ، قال : يا أبا عثمان سَل حاجتك . قال : حاجتي ألا تبعث الىّ حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك . ثم نهض فقال المنصور
- كلّمك ما شِئ رُوِيَتْ * كلّمك خاتل صيّد

١٠ * غير عمرو بن عبيد *

فلما مات عمرو ورثاه المنصور فقال

صلّى الاله عليك من متوسّد * قبرا مررتُ به على مرّان
قبرا تضمّن مؤمنا متحنّفا * صدّق الاله ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا في سنّة * فصل الحديث بحكمة وبيان
فلو أن هذا الدهر أبقى صالحا * أبقى لنا حيا أبا عثمان

١٥

قال الوضّاح بن حبيب : كما اذا خرجنا — يعنى أصحابه — من عند المنصور صرنا الى المهديّ وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوما فابرز الى يده ، ولم يكن ذلك من عادته ، فأكبّت عليها فقبلتها وضرب بيدي الى يده ، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده ، فوضع في يدي كتابا صغيرا تستره الكفّ ، فلما خرجت فتحتّه فاذا فيه : يا وضّاح ، اذا قرأت كتابي فاستأذنْ الى ضياعك بالرّئيّ ، فرجعت فقلت للربيع : استأذنْ لي . فدخل فاستأذن ، فأذن لي ، فدخلت فقلت : يا أمير المؤمنين ، ضياعي بالرّئيّ

٢٠

قد اختلت وبي حاجة الى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت اليه اليوم الثاني والقوم معي فدخلنا فاستأذنته ، فردّ الى مثل الجواب الأول . فقلت : يا أمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فسرى عنه ، ثم قال : اذا شئت فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج الى خلوة . فهض القوم وبقي الربيع قلت : أخلي . قال : ومن الربيع وبينكما ما بينكما ! قلت : نعم . فتنحى الربيع ، فقال : قد خلوت فقل إن جدت لي بمالك ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا ومالي إلا من نعمتك ، حقنت دمي ودم أبي ورددت على مالي وآثرتي بصحبتك . قال : إنه يهيجس في نفسي أن جهورا على خلع وليس له غيرك لما أعرفه بينكما ، فإظهر إذا صرت اليه الواقعة في^(١) والتنقص لي حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيته يهيم بخلع فاكذب الي ، ولا تكتبني على يد بريد ولا مع رسول ولا يفوتني خبرك في كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطار في دار القطن فهو يوصل كتبك في كل يوم الي . قال : فمضيت حتى أتيت الري فدخلت على جهور فقال : أفلت ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أوأنسه بالواقعة فيه حتى أظهر ما ظن به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبي على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العقيلي وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغم ذلك المنصور ، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام رده . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن إسحاق بن مسلم حدثني أن رجلا هلك بدمشق وترك ناضا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأحببت أن تعرفه .

(١) في النسخة الألمانية : « جوهر » وهو تحريف لاذ هو جهور بن مرار العجلي أحد قواد المنصور .

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشِبَا أَمْسَى يُدْنِي * قصورا نفعها لبني بُقَيْلَه
يُؤْتِل أن يعمر عمرَ نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلة

ثم أنبته فقال : أفلنى [أفالك الله] ^(١) . قال : لا أفلنى الله إن بتَّ في عسكرى ، فأخرجه الى المدينة . [حشَّ بن المغيرة قال : جئتُ وأبو ذرٍّ أخذٌ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغفاري ، من لم يعرفني فأنا جُنْدَبُ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا»] .

١٠ حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَبَابَةُ بن سَوَّار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبي قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجه الى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا في مال له فقال : أين تريد؟ قال : العراق . وأنخرج اليه كتباً وطوابعاً قال : هذه كتبهم وبيعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إني سأحدثك حديثاً : إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخبره بين الدنيا والآخرة فأختار الآخرة ، وإنكم بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فأرجع . فأبى فأعتنقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مسلمة بن مُحَارِبٍ عن السَّكَن قال : كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما الى الأخنف يدعوهُ الى نفسه فلم يرِدْ الجواب وقال : قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إِيلَةً لِلْمَلِكِ ولا جمعا للمال ولا مكيدة

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير خرجت سُكينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدِّي وأبي وعمِّي وزوجي مُصعباً ، أيتَّموني صغيرة وأرملتُموني كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

إِبْنُ حُسَيْنًا لِيَوْمِ مَضْرَعِهِ * بِالطَّفِّ بَيْنَ الْكُتُبِ الْخُرُسِ
أَضْحَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ إِذْ قُتِلُوا * فِي مَأْتَمِّ السَّبَاعِ فِي عُرْسِ

روى سِنَانُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اتَّهَبَ النَّاسُ وَرَسَا فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ فَمَا تَطَيَّبَتْ مِنْهُ أَمْرَأَةٌ إِلَّا بَرَصَتْ . ولما قتل حسين قالت بنت لعقيل بن أبي طالب

ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم أفضل الأمم
بعثتني وبأهلي بعد منطلق * منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
[ما كان هذا جزائي أن نصحت لكم * أن تخلفوني بقتل في ذوى رحى]

فما سمعها أحد إلا بكى .

[دخل زيد بن عليّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفنا .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا جابر إنك ستعمر بعدى حتى يولد لى مولود اسمه كاسمى يتيّر العلم بقرا فاذا لقيته فأقرئه مني السلام » فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر ، حتى قال

(١) كذا بالألمانية وفي الفتوغرافية «سيارين الحكم» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الناس : قد جئ جابر . فبينما هو ذات يوم بالبلاط اذ بصر بجارية يتوزكها صبي فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أدنيه مني فأدنته منه فقبل بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقرئك السلام . ثم قال : نُعيت الى نفسي ورب الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فأت من ليلته .

[قال هشام بلغني أنك تربص نفسك للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم في أولاد السراير تقصيرا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بني عمنا عن نحت أثلتنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا

لا تجمعوا أن تُهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فالله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ألا تحبونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

١٥ قالت الحكماء : المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلأ والمحتطب .

قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عوفي من

وبائها . وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من خبأ أرضنا فقلما أكل قوم من خبأ أرض فضرهم ماؤها .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجملة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن علي ، كما يدل عليه باقي

٢٠ القصة ورواية المقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، واقتصر في الفتوغرافية على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين الى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .

(٢) الفعا : توابع القدر كالفلقل والكون ونحوهما : لسان العرب .

حدّثني الرياشي قال حدّثني الأصمعي قال، قال معاوية: أغبطُ الناسَ عندي سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالحجاز، يترعُ جُدّة ويتقيظ الطائف ويتشقى مكة .

حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخطر والكُنْدر والعَصَب والوَرَس .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : اليهود لا تأكل من بقل سُورَى وتقول : هى مَغِيض الطوفان . قال وقال الأصمعي عن مَعْمَر^(١) قال : سَبْعُ مَحْفُوظَاتٍ وَسَبْعُ مَلْعُونَاتٍ ، فمن المحفوظات نَجْرَان ومن الملعونات أَثَافُتُ [وَبَرْدَعَةُ^(٢)] . وَأَثَافُتُ بِالْيَمَنِ . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية ؟ فقالت ويحك ! أما سمعت قول الشاعر

أحب أَثَافَتَ عِنْدَ الْقَطَافِ * وعند عُصَاةِ أَعْنَابِهَا ١٠

[قال الأصمعي: سواد البصرة الأهواز ودَسْمِيسَانَ وفارس، وسواد الكوفة كَسَكِرَ^(٢) الى التراب الى عمل حُلُوان الى القادسية، وعمل العراق هَيْتُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرى ونُحْرَاسان الى الديلم والجبال كلها ، وأصهبان صرّة العراق افتتحها أبو موسى الأشعري ، والجزيرة ما بين دِجْلَة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل العراق] . ١٥

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أوّل قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقرْدَى تسمى سوق ثمانين، كان نوح لما خرج من السفينة ابنتها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمانية «معتمر» وهو تحريف لاذ هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوى النهوى وقد كان معاصرا للأصمعي . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) كذا فى الأصل وهى محرقة عن «الزاب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحران سميت بهارن بن آزر أخى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

(١) [قال النبي صلى الله عليه وسلم لبريدة : « يا بريدة إنه سيبعث بعدى بعوث فاذا بعثت فكن في أهل بعث المشرق ثم في بعث خراسان ثم في بعث أرض يقال لها : مرو ، فاذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه بناها ذوالقرنين وصلى فيها ، غزيرة أنهارها تجري بالبركة ، في كل نقب منها ملك شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدمها بريدة فمات بها] .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني الأصمعي قال أخبرني الثوري بن هلال الحبطي عن قتادة عن أبي جلدة قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ .

(١) [وقال أبو صالح نخاعند ابن عباس فأقبل رجل بفلس ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل خراسان ، قال : من أى خراسان ؟ قال : من هرة . قال : من أى هرة ؟ قال : من بوشنج . ثم قال : ما فعل مسجدك ؟ قال : عامر يصلى فيه . قال : ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بوشنج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التي عند المسجد ؟ قال : بحالها . قال : أخبرني العباس أنه قال في ظلها] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية « أبي الجلد » ولم نعرف في كتب التراجم على من تكتبى بهذه

الكتابة ، على أن من شيوخ قتادة « أبا بردة بن أبي موسى » فله محرف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الخزائي عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة ويا أتباع البهيمة ، رغا فاتبعتم وعقر فأنهزتم . أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رغبة منكم ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفْتَحُ أَرْضُ يَقال لها البصرة أَقَوْمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسِ ، وَعَابِدُهَا أَعْبَدُ النَّاسِ ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ صَدَقَةً ، وَتَاجِرُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ تِجَارَةً . مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقال لها الْإِبِلَةُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ . يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، الشَّهِيد مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ مَعِيَ يَوْمَ بَدْرٍ » .

حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا أبو سلمة قال أخبرني أبو المهزَّم عن أبي هريرة قال : مُثِلَتِ الدُّنْيَا عَلَى مِثَالِ طَائِرٍ ، فَالْبَصْرَةُ وَمِصْرُ الْجَنَاحَانِ فَإِذَا خَرَبْتَا وَقَعَ الْأَمْرُ . وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن قنبرة عن ابن شوذب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشدُّ الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شوذب عن يزيد الرشد : قَسَتْ البَصْرَةَ فِي وَلَايَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرَى فَوَجَدْتُ طَوْلَهَا فَرَسَخِينَ غَيْرَ دَائِقٍ .

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر : تَذَاكُرُوا عِنْدَ زِيَادِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ فَقَالَ زِيَادٌ : لَوْ ضَلَّتِ الْبَصْرَةُ لَجَلَعْتُ الْكُوفَةَ لِمَنْ دَلَّنِي عَلَيْهَا . قَالَ [مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ] كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ : غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكَ كَمَا غَضِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمَغِيرَةِ ، عَزَلَهُ عَنِ الْبَصْرَةِ

(١) كَذَا بِالنَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ ، وَفِي الْفَتْوْغَرِافِيَةِ « يَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ الْمُرِّي » وَلَمْ نَعْرِ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ عَلَى هَذَيْنِ الْأَسْمَاءِ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ « حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ الْمُرِّي » إِذَا الْأَسْمَاءُ مَوْجُودَانِ مَعًا فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ . (٢) يَعْنِي بِهَا عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَبِالْهَيْدَةِ الْجَلُّ الَّذِي رَكِبَتْهُ ، وَبِهِ سَنَى هَذَا الْيَوْمَ وَهُوَ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ . (٣) كَذَا بِالْأَلْمَانِيَةِ ، وَفِي الْفَتْوْغَرِافِيَةِ « الرِّشْتُ » وَكِلَاهُمَا مُحَرَّفٌ عَنِ الرِّشْكِ بِكَسْرِ فَسْكَوْنٍ وَهُوَ لَقَبُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي يَزِيدِ الضَّبْعِيِّ .

وَأَسْتَعْمَلْهُ عَلَى الْكَوْفَةِ . [وَقَالَ عَلَى حِينِ دَخَلَ الْبَصْرَةَ : يَا أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ وَيَا جُنْدَ الْمَرْأَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَاَنْهَزْتَهُمْ ، دِينَكُمْ نِفَاقٌ وَأَخْلَاقُكُمْ رِقَاقٌ وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْبُصَيْرَةِ [و] السَّبِيخَةِ وَالْخَرِيبةِ ، أَرْضُكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا وَغَرَقًا .

- مَرُ عُبَيْةُ بْنُ غَزْوَانَ بِمَوْضِعِ الْمَرْبِدِ فَوَجَدَ فِيهَا الْكَدَّانَ الْغَلِيظَ فَقَالَ : هَذِهِ الْبَصْرَةُ فَانْزِلُوا بِسْمِ اللَّهِ . وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ : اخْتَطَّ النَّاسُ الْبَصْرَةَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ .

نَفَرَ نَاسٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَلَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ؟ قَالَ : أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلُهُ . قَالَ : فَاتَمَّ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ . قَالَ خَالِدٌ : مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ بَيْنَ نَاسِجٍ بُرْدٍ وَدَانِغٍ جِلْدٍ وَسَائِسٍ قَرْدٍ ، دَلَّ عَلَيْهِمْ هَدَّهْدٌ وَغَرَقَتُهُمْ فَأَرَّةٌ وَمَلَكَتُهُمْ امْرَأَةٌ .

[سَأَلَ خَالِدٌ عَنِ الْكَوْفَةِ فَقَالَ : نَحْنُ مَنَابِتُنَا قَصَبٌ ، وَأَنْهَارُنَا عَجَبٌ ، وَثَمَارُنَا رُطْبٌ ، وَأَرْضُنَا ذَهَبٌ . قَالَ الْأَحْنَفُ : نَحْنُ أَبْعَدُكُمْ سَرِيَّةً وَأَعْظَمُكُمْ بَحْرِيَّةً وَأَغْذَىكُمْ بَرِّيَّةً . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ : نَحْنُ أَكْثَرُكُمْ سَاجًا وَعَاجًا وَدِيَابِجًا وَخَرَجًا وَنَهْرًا عَجَّاجًا] .

وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي ظَهْرِ الْبَصْرَةِ مِمَّا بَلَى قَصْرَ أَوْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ

- زُرُّ وَادِي الْقَصْرِ نَعْمَ الْقَصْرِ وَالْوَادِي * لَا بَدَّ مِنْ زَوْرَةٍ عَنْ غَيْرِ مِيعَادٍ
تُرْفًا بِهِ السُّفْنُ وَالظُّلُمَانُ وَاقِفَةٌ * وَالضَّبُّ وَالتُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

يَا جَنَّةَ فَاتَتْ الْحَنَانَ فَمَا * تَبْلُغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا ثَمَنُ
أَلْفَتُهَا فَاتَخَذْتُهَا وَطَنًا * إِنْ فَوَادَى لِحَبِّهَا وَطَنُ

- ٢٠ (١) زِيَادَةُ فِي النُّسخَةِ الْأُمْسَانِيَةِ . (٢) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ « وَأَعْظَمُكُمْ بَحْرِيَّةً » .
(٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي كِتَابِ الْبَيَانِ لِلْجَاهِظِ أَغْذَى بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ يُقَالُ عَذَا الْبَلَدِ يَعْذُو : طَابَ هَوَاؤُهُ . (٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَغَانِي : فَاقَتْ .

زَوْجَ حَيْثَانِهَا الضَّبَابِ بِهَا * فَهَذِهِ كَنَّةٌ وَذَا خَتَنُ
 فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فِيمَا تُطِيفُ بِهِ ^(١) * إِنَّ الْأَرِيبَ الْمَفَكِّرَ الْفِطْنُ
 مِنْ سُفْنٍ كَالنَّعَامِ مَقْبَلَةٌ * وَمَنْ نَعَامَ كَأَنَّهَا سَفْنُ
 أَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ابْنِ كُثَّاسَةَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ
 وَإِنْ بِهَا لَوْ تَعْلَمِينَ أَصْهَانًا * وَلَيْسَ رَقِيقًا مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
 قال: لما أمرت الأرض أن تفيض غاضت إلا أرض الكوفة فلغنت، فجميع الأرض
 تُكرب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران. وكان يقال: إذا كان علم
 الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شامية فقد كل.

[لَمَّا اجْتَوَى الْمُسْلِمُونَ الْمَدَائِنَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا وَأَذَاهُمُ الْغُبَارُ وَالذَّبَابُ، كَتَبَ عُمَرُ
 إِلَى سَعْدٍ فِي بَعْتَةِ رَوَادٍ يَتَادُونَ مِثْلَ بَرِّيٍّ فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا مَا يَصْلَحُ الْإِبِلَ
 وَالشَّاءَ. فَسَأَلَ مَنْ قَبْلَهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فِيمَا يَلِيهِمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِ الْعِرَاقِ مِنْ
 وَجْهِ الْعَرَبِ بِاللِّسَانِ. وَظَهَرَ الْكُوفَةُ يُقَالُ لَهُ اللِّسَانُ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ إِلَى
 عَيْنِ بَنِي الْحَدَّاءِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: أَدْلَعَ الْبَرُّ لِسَانَهُ فِي الرَّيْفِ، فَمَا كَانَ يَلِي الْفُرَاتِ
 مِنْهُ فَهُوَ الْمِلْطَاطُ وَمَا كَانَ يَلِي الظُّهْرَ مِنْهُ فَهُوَ النَّجَافُ ^(٣)، فَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ بِأَمْرِهِ بِهِ.]

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ يَمْدَحُ الشَّامَ
 جَاعِلِينَ الشَّامَ حَمًّا ^(٤) لَهُمْ * وَلَئِنْ هَمَّوْا لَنَمَّ الْمُتَقَلُّ
 مَوْتَهُ أَجْرَ وَحْيَاهُ غَنَى * وَمَالِيهِ عَنْ أَذَاهُ مَعْتَرَلٌ

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما في الأغاني. (٢) زيادة في النسخة الألمانية.

(٣) في معجم ياقوت في الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف».

(٤) يقال سمَّ حمة أى قصد قصده.

وقال أيضا

ولكن قومي أصبحوا مثل خَيْر * بها داؤها ولا تضر الأعاديا
قال الأصمعي : لم يولد بغدير خُم مولود فعاش الى أن يحتلم إلا أن يتحول
عنها . قال : وَحَرَّةٌ لَيْلٌ ربما مرَّ بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض تُبَّتْ لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عَجَب حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
فتفقد عقله وجد النقصان فيه بئنا . والناس يقولون : حُمَى خَيْرٍ وَطَحَالِ الْبَحْرَيْنِ
ودما ميل الجزيرة وطواعين الشام .

قالوا : من أطال الصوم بالمَصِيصَةِ في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة
الأهواز فتقلب كل من يترها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووبائها وحماها يكون
في وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمَى عن جميع البلدان ، وكل محموم فان حُمَاهُ إذا أقلت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود الى التخليط وإلى أن يجتمع في جوفه
الفساد الا محموم الأهواز فإنها تعاود من فارقتها لغير علة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعي في جبلها المطل عليها والجزارات في بيوتها ومن ورائها سباح ومناقع
مياه غليظة وفيها أنهار تشقها مسایل كُنْفَهُمْ ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال
مُقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجارات ، فإذا امتلات
يلسا وحرًا وعادت جمره واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بنحرت تلك السباح
وتلك الأنهار ، فإذا التقي عليهم ما بنحرت به السباح وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الجراحة بكبابة : عقرب قتالة تجر ذنبها اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) في الأصل « طالت معاناتها بذلك الجبل » والتصويب عن معجم ياقوت .

(٣) هكذا في الأصل . وفي معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات الخ » ولعل
صواب العبارة « قبلت بسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات فاذا امتلات الخ » .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب :
 حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قُبلن الطفل فيجذّنه في تلك الساعة
 محمومًا [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شقّ العراق إلى بلد الزنج
 لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارِجِيل طمس الخمارُ
 على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفي عهد سجستان
 على العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ
 تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيَّاش لأبي بكر المَدَنِي يوم فآخره عند أبي العباس : إنما مثل الكوفة
 مثل اللّهُة من البدن يأتيها الماء يبرده وعذوبته، والبصرة بمنزلة المئانة يأتيها الماء
 بعد تغييره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عَطَّارِد : إن الكوفة قد سَفَلت عن الشام ووبائها وأرتفعت
 عن البصرة وعمقها فهي مَرِيئة مَرِيئة عَذْبَةٌ ثَرِيَّةٌ ، إذا أُنْتِنَا الشَّمال ذهبَت مسيرة شهر
 على مثل رَضْرَاض الكافور، وإذا هبت الجنُوب جاءتنا بريح السَّواد وورده وباسمِينه
 وأُزْجَه، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال المجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة
 عجوز بخرَاء أوتيت من كل حَلَى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلةً في سَمَر يزيد بن عمر بن هُبيرة، فقال يزيد : أيّ البلدين
 أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأَزَادُ
 والمَعْقِلَى وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بَشِير العَجَلِي : لست أشك أيها الأمير أنكم
 قد اخترتم لأُمير المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : أجل، قال : قد رضينا باختيارك
 لنا وعلينا . قال : فأى الرُّطب تحملون إليه؟ قال : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه
 واحدة . ثم أية؟ قال : السَّابِرِي . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن

(١) كذا بالأصول، وفي مصحح البلدان : «وحرّها» .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى القمتر تحملون إليه ؟ قال :
الزَّيْسِيَّان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : ثم أية ؟ قال : الهَيْرُونَ أَزَاد .
قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى القَسْب تحملون إليه ؟ قال : قَسْب
العنبر . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا
فشاركته في واحدة وسأمت له أربعا ، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت
البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس : أما الجائع فيأكل خبز الأرز
والصَّحْنَاء ^(١) لا ينفق في الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج
فلا عيلة عليه ما بقيت عليه آسته يخرأ ويبيع .

١٠ أبو الحسن المدائني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية :
أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إذا كنتُ أكون ابن
أبي سفيان متربى الأبطح ينشق عنه سيله ، وكنتُ ابن خالد متربى أجناد أعلاه مدرة
وأسفله عذرة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تغلب .
١٥ فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلما وطئنا البطحاء . قال له
التغلبى : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهى لى دونك ، وبطحاء ذى قار
وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تنزلنى ماء سوء فأكون أمرا سوء . قال خالد
ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا

أوطأ مطية ولا أريج لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسنَ ذاك القصر قصرًا ونزهة * بأفصح سهل غير وعمر ولا ضنك
بغرس كأبكار الحوارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرون حوله * الى ملك مؤفٍ على منبر الملك
يُبدلُ عليها مستطيلًا بحسنه * ويضحك منها وهى مطرقة تبكى

(١)
قال جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين
البصرة ، ودارين عين الربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب
كان الخصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب
بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عامًا . قال : [وذرع الكعبة أربعمئة
وتسعون ذراعًا] .

المدائني قال قال المجاج : لما تنوّات الأمور منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام ، قال
الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك .
وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشقوة : [وأنا معك] .

(١) في الفتوغرافية «مسلم» وفي الألمانية «سليمان» . ويوافقه ما في لطائف المعارف للنعالي .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسنّاً من أهل البادية وكان من ولد الزُّبُرْقَان بن بدر من قبل النساء ، قال : كان الزُّبُرْقَان يقول :
أبغضُ صبياننا إلى الأَقْيَيسُ الذكر الذي كَأَنَّمَا يَطَّلَعُ في حجره ، وإن سأله القوم أين أبوك ، هَرَّ في وجوههم وقال : ما تريدون من أبي . وأحبُّ صبياننا إلى الطويلُ الغُرْلَةُ السَّبِطُ الغُرَّة العريضُ الورك الأبله العَقول الذي يطيع عمه ويعصى أمه ، وإن سأله القوم أين أبوك ، قال : معكم .

قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَع ، واندحاق البطن ، وترك الإفراط في الغيرة .

قال وقيل لأعرابي : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغُرَّة طويل الغُرْلَةُ مُلْتَمِثَ الإِزْرَةِ وكانت فيه لَوْثَةٌ فلسنا نشكُّ في سودده . وقيل لآخر : أي الغلمان أسود ؟ قال : إذا رأيتَه أَعْتَقَ أَشْدَقَ أَحْمَقَ فَأَقْرَبَ به من السُّودد .
وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حديد الأرنبة كأنما جيئته صَلَايَةً فلا تَرَجُّه ، إلا أن يريد الله أمراً فيبلغه .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : قريش تمدح بالصِّلَع . وأنشد
إن سعيِّدا وسعيِّدُ فرعُ * أصلع تنميه رجالُ صلَع

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود
قومه . فقالت هند : نكثته إن كان لا يسود إلا قومَه .

قال شبيب بن شيبه لبعض فرسان بني منقر : ما مُطِلتَ مَطْلَ الفُرسان ولا فُتِقتَ
فَتَقَ السادة . وقال آخر لِسنان بن سَلَمَة الهذلي : ما أنت بأَرْحَ فتكون فارسا
ولا بعظيم الرأس فتكون سيِّدا . وقال بعض الشعراء
فَقَبِلْتُ رَأْسًا لم يكن رأسَ سَيِّدٍ * وَكَفًّا كَكَفِّ الضَّبِّ أَوْهَى أَحقر
وقال آخر

دعا ابنُ مُطِيعٍ لِلْيَإِيعِ بِفُتُّه * إلى بَيْعَةِ قَلْبِي لها غَيْرُ أَلْفِ
فناولني خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا * بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخِلَافِ

وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفِرَاسة والتَّوَسُّم : إنه من صغرَت عينه
[و] دام اختلاجها ونتاج طَرْفها ومال أنفه إلى أيمن شَقِيه وبعُد ما بين حاجبيه
وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفت تارة بعد أخرى ،
غَلَبَتْ عليه أخلاقُ السوء .

كان يقال : أربعُ يُسَوِّدَنَّ العبد : الأدب ، والصدق ، والعفة ، والأمانة . وقال
بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنَةٌ * كانت بدَاهته تُنَبِّئُكَ بالخبر

وقال معاوية : إني لأكره البكَارة في السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعلها محذرة عن «الغبارة أو البلادة» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر في هذا المعنى

ليس الغنيّ بسيد في قومه * لكنّ سيّد قومه المتغاي

ويقال في مثيل : « ليس أمير القوم بالخبّ الخدع » . وقال الفرزدق

لاخير في خبّ من تُرجى فواضله * فاستميطروا من قريش كل منخّذع

كانت فيه إذا حاولته بلهًا * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إياس بن معاوية : لست بخبّ والخبّ لا يخذعني . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكريم لما تُحكّمه التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أنّي أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : السيد الجواد حين يُسأل، الحليم حين

يُسْتَجْهَل، الباز بمن يعاشر . قال عديّ بن حاتم : السيد الذليل في نفسه، الأحمق

في ماله، المطّرح لحقده، المعنيّ بأمر عاقته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بن ساد،

فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال :

بيذل القرى وترك المراء ونصرة المولى . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس

في الدنيا الأسيخاء وفي الآخرة الأتقياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا

حتى تصبروا على سرار الشيوخ البُخْر . وقال : الدنيا هي العافية ، والصحة هي

الشباب ، والمرءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذاب : كنا نعرف سُودد سلم

ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد

عيه : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري

مالا يعينك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العتري^(١) : أخبرني عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وهو في النسخة الفتوغرافية غير واضح ، وذكر في العقد الفريد في باب

السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زبناح .

ابن مِسْمَع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أى شىء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السُّودد ، ولم يل شيئاً قط . وكذلك أسماء ابن خارقة لم يل شيئاً قط . قيل لعَرابَة الأوسى : بم سُدتَ قومك ؟ فقال بأربع : أنخدع لهم عن مالى ، وأذل لهم في عِرضى ، ولا أحقِر صغيرهم ، ولا أحسُد رُفيعهم . وقال المُقَنِّع الكِنْدَى وهو محمد بن عميرة

ولا أحمِلُ الحَقْدَ القديمَ عليهم * وليس رئيسُ القوم من يحملُ الحَقْدَا
وليسوا الى نَصْرِ سِرَاعًا وإن هُم * دعونى الى نصر أُنَيْتَهُم شَدَا
إذا أكلوا لحمى وفَرَّتْ لحومهم * وإن هدموا مجدى بَنَيْتُ لهم مجدَا
يُعَيِّنِ بالدِّينِ قومى وإنما * ديونى فى أشياء تَكْسِبهم حَمْدَا

وقال آخر

هَيُونٌ لَيُونٌ أَيْسَارٌ ذُوو يَسِير * سُوَاسٌ مَكْرُمَةٌ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يَمَارُونَ إن مارُوا بِمَا كَار
مَنْ تَأَقَّ منهم ثقل لا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر

وان سيادةَ الأقوامِ فأعلم * لها صُعدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نسود الا من يُوطَّننا رَحْلَه وَيُفَرِّشنا عِرْضَه وَيَمْلِكنا مالَه . وفى الحديث المرفوع : « مَنْ بَذَلَ معروفه وكَفَّ أذاه فذلِكَ السيد » . ويقال : لَأَسُودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد مُعَمَّم » يريدون أن كل جِنَايَة يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يَعْتَم بِعِمامة صفراء لا يعتم بها غيره . وإنما سُمِّي الزُّبْرُقَانُ بصفرة عمامته . يقال : زَبُرَقَتِ الشَّيْءُ إذا صَفَّرته ، وكان اسمه حُصَيْنَا . قيل لابن هُبَيْرَة : مَنْ سيدُ الناس اليوم ؟

قال : الفَرَزْدَقُ ، هجائى مَلِكًا ومدحنى سُوْقَةً . وقال عامر بن الطَّفِيل

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل مؤكب
فما سودتني عامر عن وراثة * أبي الله أن أسمى بأتم ولا أب
وليكنني أحمي حماها وأتقى * أذاها وأرمي من رماها بمنكب

هذا نحو قول الآخر

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته العكر والإقداما
* وصيرته مديكا هماما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة
فإني لا ألوم على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام؟

الكمال والتناهي في السؤدد

- ١٠ حدثني أبو حمزة الأنصاري عن العتيبي قال ، قال الأحنف : الكامل من
عدت هفواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فوله ،
فكتب اليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة
المهذلي . فكتب اليه معاوية : بأي يومي الأحنف نكافيه : أخذلانه أم المؤمنين ، أم بسعيه
علينا يوم صفين ؟ فوجه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف
والحلم والسؤدد ما لا تتفعه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا
أوحده الله فامثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا

- ٢٠ يانا لا تسأني أو تبغني رجلا * تقيل راحته والركن سيان
متى تحطى اليه الرجل سالمة * تستجمعي الخلق في تمثال إنسان

محمد خير من يمشي على قَدَم * ممن برا الله من إنس ومن جان
تتازع الأحمدان الشَّبه فاشتبها * خَلَقَا وَخُلِقَا كَمَا قُدَّ الشَّرَا كَانَ
سَيِّانٍ لافرق في المعقول بينهما * معنهما واحد والعِدَّة اثان

وقال الطائي

لو أن إجماعنا في فضل سُودده * في الدين، لم يختلف في الملة اثان

وقال أيضا

فلو صوّرتَ نفسك لم تَردها * على ما فيك من كرم الطّباع

وقال خالد بن صفوان : كان الأحنف يفتر من الشرف والشرف يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : وفد الأحنف والمنذر بن الجارود الى معاوية، فتهيّا المنذر وخرج الأحنف على قعود وعليه بَتٌّ، فكلمهما مرّة المنذر قال الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أراي تزيتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف : ما أعظم منّتنا عليك ! فضلناك وسودناك، فقال : هذا شبيل بن مقبّد، من سُوده وليس بالحفّضة بجلىّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشَّيبانيّ : مَنْ أكرمُ العرب أو مَنْ خيرُ الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ النَّاسُ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَحَدٍ، يَعْنِي بَنِي هَاشِمٍ . قال : مَنْ أَلَمُّ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يُحِبُّ غَيْرَهُ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إن الشَّرَفَ نسب مفرد، فالشَّريف من كل قوم نسيب . وكان يقال : أكرمُ الصَّفَايا أَسَدُهَا وَلَهَا إِلَى أَوْلَادِهَا، وَأَكْرَمُ الْإِبِلِ أَحْنَاهَا إِلَى أَوْطَانِهَا، وَأَكْرَمُ الْأَفْلَاءِ أَسَدُهَا مِلَازِمَةً لِأَمْهَاتِهَا، وَخَيْرُ النَّاسِ أَلْفُ النَّاسِ لِلنَّاسِ .

(١) جمع فُلُو بالكسر أو كدَو ومُتَو، وهو الجحش أو المهر إذا فُلَا أو بلغا السنة .

السيادة والكمال في الحدّانة

قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أنته السيادة في حدّاته وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعاقبتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العاتمة . وقال أبو اليقظان ولّى الحجاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحَكَم التَّقَفِيّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السند فافتتح السند والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السباحة والمُروءة والتدبى * لمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

ويروى * يا قرب ذلك سُورة من مولد * السُورة المنزلة الرفيعة . قال أبو اليقظان : وهو

جعل شيراز معسكرا ومنزلا لؤلؤة فارس . وقال حمزة بن بيض لمخلد بن يزيد بن المهلب ^(١)

بلغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب

فهّمك فيها جسام الأمور * وهم لدائك أن يلعبوا

نظر الخطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذي نزل عن

الناس في سنه وعلاهم في قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أسناننا ما عشره منا ^(٢)

رجل . ونظر رجل إلى أبي دُلف في مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء

سنه . وولى عبيد الله بن زياد خراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها معاوية .

وقيل لزياد عند موته : استخلف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيوليه

عمّه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن

يؤايلك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولتها أحد

(١) قال ابن برى هو بكسر الباء لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وبعبارة اللسان عشره وقال في بيانها : لو كان في السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشره .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعماله ، فرغب فيه فاستعمله على خراسان .
 وولي معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن ابراهيم النخعي وهو ابن ثمانين
 عشرة سنة . وولي رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسودت قريش أبا جهل ولم يطكر شاربه فأدخلته مع الكهول
 دار الندوة . قال الكيث

رُفِعَتْ إِلَيْكَ وَمَا تُغَرُّ^(١) * تَ عِيُونُ مُسْتِمِعٍ وَنَاطِرٍ
 وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمَنْكَ فِي السَّمْهِدِ النَّهْيَ ذَاتَ الْبَصَائِرِ

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحوز يريد
 الكلام ، فقال عمر : كبروا وكبروا ، فقال الفقي : يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس
 بالنس ، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسن منك ، قال صدقت فتكلم .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى

إِنَّمَا الْهَلْكَ أَنْ يُسَاسُوا بِغَيْرٍ * لَمْ تُعْرِهِ الْأَيَّامُ رَأْيَا وَثِيقًا
 وقال آخر

أَلَا قَالَتِ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا * كَبِرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعًا
 رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةٌ * تَقْنَعُ مِنْهَا رَأْسَهُ مَا تَقْنَعَا
 فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهَزِّي بِي فَقَلَمَا * يَسُودُ الْفَقِي حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
 وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عِلَالَةً * مِنَ الْجَدْعِ الْمُجَرَّى وَأَبْعَدُ مَزْعَا
 رأى بكير بن الأخنس المهلب وهو غلام فقال

خَذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يَسُدَّ سَرَوَاتِهِمْ * وَيَبْرَحْ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

(١) يقال نمر الغلام إذا سقطت أسنانه الرواضع .

الهمة والخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن ذؤيب الفقيمي^(١) وهو العُماني الراجز عن دُكين الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلف أستجِرُ منه وعدا كان وعدنيه وهو والى المدينة، فقال لي : يا دُكين إن لي نفسا تواقفة، لم تزل تُتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة . وما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئا، وما عندي إلا ألفا درهم، فاخترأيهما شئت، وهو يضحك . فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلك خير من كثير غيرك ، ويقال قليلك خير من كثير غيرك، فاختر لي أنت، فدفع إلى ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فأبتعتُ بها إبلا وسُقتها إلى البادية، فرمى الله في أذنانها بالبركة بدعوته حتى رزقني الله ماترون .

قال معاوية لعمر بن العاص حين نظر معسكر على عليه السلام : من طلب عظيمًا خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مَزَلَقَةٍ مهلكة . أى عليكم بحَسَامِ الأمور . وقال كَعْب بن زُهَيْر

وليس لمن لم يركب الهول بُغْيَةٌ * وليس لرحل حطه الله حاملٌ

إذا أنت لم تقصِر عن الجهل وانحنا * أصبت حلياً أو أصابك جاهل

وفي كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو . وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرما أو مع النساء مُتَبَتِّلًا ، كالقيل لا يحسن أن يرى إلا في موضعين : في البرية وحشياً أو للولوك مَرَكَبًا . وفيه أيضا : ذو الهمة إن حط فنفسه تأبى إلا علوا كالشعلة من النار يُصَوِّبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العتّابي

تلوم على ترك الغنى باهليّة * طوى الدهرُ عنها كل طرف وتالد

(١) نسبة إلى فقيم دارم ، قال في القاموس : والنسبة إلى فقيم كنانة فقيمي كُمرني وهم نساة الشعوب في الجاهلية ، وإلى فقيم دارم فقيمي ا هـ .

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * مفصهما بالمشرقات البوارد؟
ذرىنى تيجنى ميقى مطمئنة * ولم أتعجم هول تلك الموارد
فإن كريات المعالى مشوبة * بمستودعات فى بطون الأسود

وقال الطائي

وأخرى لحنى يوم لم أمنع النوى * قيادى ولم يتقص زمايى ناقض
أرادت بأن يحوى الغنى وهو وادع * وهل يفرس الليث الطلا وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقلقل^(١) وأستر * بالعيس من تحت الشهاد مجودا
ما إن ترى الأحساب بيضا وصحفا * إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقال آخر

* ما العز إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر

الذل فى دعة النفوس ولا أرى * عز المعيشة دون أن يسقى لها

وقال بعض المحذنين وأظنه البحتري

فاطلبا ثالثا سواى فإنى * رابع العيس والدجى والبيد
لست بالواهن المقيم ولا القا * ثل يوما إن الغنى بالحدود
وإذا استصعبت مقادة أمر * سهلتها أيدى المهاري القود

وقال عبد الله بن أبي الشيص

أظن الدهر قد آلى فبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
لقد قعد الزمان بكل حر * وقص من قواه المستمرا
كأن صفائح الأحرار أردت * أباه فحارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : التقلد ، وفى الفتوغرافية : التقلل ، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كل ذي شرف ركوبا * لأعناق الدجى برا وبمحرا
فهتكت جنب درع الليل عنه * إذا ماجب درع الليل زرا
يراقب للغنى وجها سخوكا * ووجها للنية مكفهزا
ومن جعل الظلام له قعودا * أصاب به الدجى خيرا وشرا

- وكان يقال : من سره أن يعيش مسرورا فليقتع ، ومن أراد الذكر فليجهد . قيل
للعنابي : فلان بعيد الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء :
من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته وضاعت مقدرته وبعدت همته .

وقال عدي بن الرقاع

والمرء يورث جوده أبناءه * ويموت آخر وهو في الأحياء

- أبو اليقظان قال : كان أول عمل وليه الحجاج تبالة ، فسار إليها فلما قرب منها
قال للدليل : أين هي وعلى أى سمت هي ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . قال
لا أرانى أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة ! أهون بها ولاية ! وكر راجعا . فقيل
في المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » . وقال الطائي

وطول مقام المرء في الحى مخلوق * لديباجتيه فأغترب تعجيد

- فإني رأيت الشمس زيدت محبة * إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفترق
الجماعة ، لا جرم لقد هزم ثم أسر ثم قُتل ثم صلب . قال الآخر : دغى من ذكر
هزيمة أبى ومن صلبه ، أبوك ما حدث نفسه بشئ من هذا قط . قال حاتم طي

لحى الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى لبوسا ومطما

- يرى الخنص تعذبا وإن يلقى شعبة * يبت قلبه من قلة المم مبهما
ولله صعلوك يساور همه * ويمضى على الأهوال والدمر مقدما

يرى قوسه أورشحه ويحنه * وذا شطب لذن المهزة محمدا
وأحناء سرج قاتر^(١) ولحامه * معدا لدى الهيجا وطرفا مسوما
فذلك إن يهلك حتى ثاؤه * وإن يحي لا يقعد لينا مدمما

وقال آخر

لا يمنعك خفض العيش تطلبه * نزاع شوق الى أهل وأوطان
تلق بكل بلاد إن حلت بها * أهلا بأهل وجيرانا يجيران
ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسب نغير البلاد ما حلك. وقال عمرو بن الورد
لحي الله صلوكا إذا جن ليله * مصافي المشاش ألفا كل مجزر^(٢)
يعد الغنى من دهره كل ليلة * أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح قاعدا * تحت الحصا من جنبه المتعفر
يعين نساء الحى لا يستعنه * ويمسى طايحا كالبعير المحسر^(٣)
ولله صلوك صفيحة وجهه * كضوء شهاب القابس المتنور
مطل على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيع المشهر

وقال آخر

تقول سليمى: لو أقمت بأرضنا! * ولم تدر أنى للقام أطوف

وقال الطائي في نحوه

ألفسة الحبيب كم افتراق^(٤) * ألم فكان داعية اجتماع
وما إن فرحة الاوابات إلا * لموقوف على ترع الوداع

(١) القاتر والمقتر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهى رأس العظم المنكسر مضغه . (٣) كذا فى الأصول والأغاني ،

وفى الحامسة : «ولكن صلوكا الخ» . (٤) فى الأصول اظل ، والتصويب عن الديوان .

- نظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقوفك في الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مُقَامِي فِي الظل . وقال خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
— وَلَنْ أَكُونَ كَمَنْ أَلْقَى رِحَالَهُ * عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّى صَهْوَةَ الْفَرَسِ

وقال آخر

- ٥ لَا أَنْتَ قَصَّرْتَ عَنْ مَجْدٍ وَلَا أَنَا، إِذْ * أَسْتُمُو إِلَيْكَ بِنَفْسِي، قَصَّرْتَ هِمَمِي
قال عمر بن الخطاب : أَشْنِعُوا بِالْكُنَى فَإِنَّهَا مَنْبَهَةٌ . دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان
اليمى على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : أَلَا أَوْصِي بِكَ الْأَمِيرَ؟ فقال عبيد الله :
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيِّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتُ . وقال الشاعر في نحوه
إِذَا مَا الْحَيِّ عَاشَ بِعَظْمٍ مَيِّتٍ * فَذَاكَ الْعَظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ
١٠ وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو صبي : إِلَى مَنْ أَوْصِي بِكَ أَبُوكَ ؟ قال :
— أَوْصِي إِلَى وَلَمْ يُوصِ بِي . نظر أبو الحارث حمير إلى رِذْوَنِ يُسْتَقَى عَلَيْهِ ، فقال : المرء
حيث يجعل نفسه ، لو هَمَلَجَ هَذَا لَمْ يُبَلِّ بِمَا تَرَوْنَ . قال الطائي
وَقَلْقَلْ نَابِي مِنْ خِرَاسَانٍ جَاشَهَا * فَقَلْتُ أَطْمَئِنِّي أَنْضِرُ الرُّوضِ عَازِبَهُ
وَرَكِبْ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا * عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبَهُ
١٥ لِأَمِيرٍ عَلَيْهِمْ أَنْتَ تَتِمُّ صَدُورُهُ ، * وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر

- ✓ وَعِشْ مَلِكًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا ، وَإِنْ تَمَتَّ * وَسَيُفُكُ مَشْهُورٌ بِكَفِكَ تُعَذَّرُ
والمشهور في هذا قول امرئ القيس
فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ * كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
٢٠ وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِتَجْدِيدِ مَوْثِلٍ * وَقَدْ يَدْرِيكَ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلَّ أَمْثَالِي

وقوله

بكي صاحبي لما رأى الذربَ دونه * وأيقن أنا لاحقانَ بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك ، إنما * نحاول مُلكاً أو نموتَ فنعذراً

وقال أبو نؤاس

سأبغى الغنى إنا جليسَ خَافِةٍ * تقوم سَوَاءً ، أو تُخِيفَ سبيل
وقيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ! فقال : منزلي دارُ الإمارة أو الحبس .
والمشهور في سقوط الهمة قولُ الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * وأقعدُ فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال مالك بن الرِّيب

فإن تُصِفونا آلَ مروانَ نَقْتَرِبْ * إليكم وإلا فاذنوا بتَعَادِي^(١)
فإن لنا عنكم مَرَّاحاً ومرحلاً * بعيس إلى ريح الفلاة صَوَادِي
وفي الأرض عن دار المذلة مذهبٌ * وكلُّ بلادٍ أُوطِنْتَ كِلَادِي
فإذا عسى الحجاج يبلِّغُ جهده * إذا نحن جاوزنا حَفِيرَ زِيَادِ
فبَاسَتْ أباي الحجاج وأَسَتْ عَجُوزُهُ * عَتِيدٌ^(٢) بهم يرتعى بُوَهَادِ
فلولا بنو مروان كان ابنُ يُوسُفِ * كما كان عبداً من عبيدِ إِيَادِ
زَمَانٌ هو المُقَرِّي المُقَرُّ بذلةٍ^(٣) * يُرَاوِحُ غِلْمَانُ القُرَى وَيُقَادِي
بعث نخب خليفتها إلى ابن عائشة المحدث وهو عبيد الله بن محمد بن حفص
التيمي ، فأتاه في حلقة في المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلاً عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) في الكامل للبرد طبع لبزج : « يبعاد » بدل « تعادي » وهو الأنسب للسياق .

(٢) العتيد تصغير عتود وهو كما في لسان العرب من أولاد المغزمارعي وقوى وأق عليه حول ، يصفه بالضعف .

(٣) المقرئ طالب الضيافة ، وفي الحماسة والكامل : « العبد » . (٤) كذا بالأصل ؟

قال : أريد أن تُخَلِّينِي . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي ؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَأَلْقِنِي في المنزل . قال : فإن الحاجة لك . قال : مادون إخواني سرّ .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم

كذبتُم وبيتَ الله لا تأخذونها * مُرَاغِمَةٌ ما دام للسيف قائمُ
متى تجمع القلب الذكي وصارما * وأنقا حياءَ تَجْتَنِبُكَ المظالمُ
ومن يطلب المال المنع بالقتل * يعيش مُثْرِيًا أو تَحْتَرِمُهُ المخارمُ
وكنْتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزوتهم * فهل أنا في ذا يالَ همدان ظالمُ

وقال أبو النّشاش، من اللصوص

إذا المرء لم يَسْرَحْ سَوَامًا ولم يُرِحْ * سَوَامًا ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته * فقيرا ومن مَوَلَى تَدِبَ عقاربه
وسائلة بالغيب غنى وسائل * ومن يسأل الصّعلوك أين مذهبُه؟
وطامسة الأعلام مائلة الصّوى * سرّت بأبي النّشاش فيها ركائبه
فلم أرمثل الفقّر ضاحجه الفتى * ولا كسواد الليل أخفق صاحبه^(١)

وقال آخر من اللصوص

وإني لأستحي من الله أن أرى * أطوف بأرض ليس فيه بعيرُ
وأن أسأل المرء اللّيم بعيره * وبُعْرَانُ ربي في البلاد كثيرُ
فليل إن وارانِي الليلُ حكمة * وللشمس إن غابت على تدورُ
عوى الذّئب فاستأنست للذئب إذعوى * وصوت إنسان فكذتُ أطيرُ
رأى الله إني للأئيس لَشَانِي * وبَغِضْهُمْ لي مقلّة وصميرُ

(١) في الهامسة : « طالبه » . أى الطالب فيه .

وقال الثمر بن تَوَلَّب

خاطر بنفسك كَي تُصِيبَ غَنِيمَةً * إِنِ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قِيحُ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ * وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحُ

وقال آخر

تقول ابنتي : إِنِ انْطَلَقْتُ وَاحِدًا * إِلَى الرَّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
دَرِيئِي مِنَ الْإِشْفَاقِ أَوْ قَدَمِي لَنَا * مِنَ الْحَدَثَانِ وَالْمَنِيَّةِ وَأَقِيَا
سَتَتَلَفُ نَفْسِي أَوْ سَأَجْعُ هَجْمَةً * تَرَى سَاقِيهَا يَأْمَانِ التَّرَاقِيَا

وقال أوس بن حجر

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُبَلِّغَ عُذْرًا أَوْ لِيُبَلِّغَ حَاجَةً ، * وَبُلُغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

وقال آخر

رعى الفقرُ بالأقوامِ حَتَّى كَانَتْهُمْ * بِأَطْرَارِ آفَاقِ الْبِلَادِ نَجُومُ
قال كسرى : احذروا صولةَ الكريمِ إِذَا جَاعَ ، وَاللَّيْمِ إِذَا شَبِعَ . وقال الشاعر
خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى اخْتِلَافَهُمَا : * تَبَهُ الْغَنَى ، وَمَذَلَّةُ الْفَقْرِ
فَإِذَا غَنَيْتَ فَلَا تَكُنْ بَاطِلًا * وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَبْهُ عَلَى الدَّهْرِ
وَأَصْبِرْ ، فَلَسْتَ بِوَاحِدٍ خُلُقًا * أَدْنَى إِلَى فَرْجٍ مِنَ الصَّبْرِ

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه

إِذَا مَا الْفَقِي لَمْ يَبْغِ إِلَّا لِيَاسَهُ * وَمَطْعَمَهُ ، فَالْحَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يُذَكِّرُنِي خَوْفَ الْمَنَايَا ، وَلَمْ أَكُنْ * لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ حَيِّدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرَّبَ مَجْلِسِي * وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
رَأَيْتُ الْغَنَى قَدْ صَارَ فِي النَّاسِ سُودَدًا ، * وَكَانَ الْفَقِي بِالْمَكْرُمَاتِ يَسُودُ

وإن قلتُ لم يُسمعَ مقالِي وإتني * لمبيدِي حقَّ بينهم ومُعيدُ
فدَرْنِي أَجولُ في البلاد لَعَلَّه * يَسُرُّ صديقٍ أو يُسَاءُ حَسودُ
ألا رُبَّما كان الشَّفِيقُ مَضَرَّةً * عليك من الإِشفاق وهو ودودُ

وقال أعرابي من باهلة

سأُعْمِلُ نَصْرَ العِيسِ حَتَّى يَكْفِنِي * غِنَى المَالِ يوما أو غِنَى الحَدَثَانِ
فَلَمَمْتُ خَيْرَ مَنْ حَيَاةٍ يَرَى لَهَا * عَلَى الحَزَنِ بالإِقْلَالِ وَسَمُّ هَوَايَ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُسْنَ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الغِنَى عَنْ أَهْلِهِ - بُورِكَ الغِنَى - * بغيرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابي

وَمَنْ يَفْتَقِرُ فِي قَوْمِهِ يَمْحَدُ الغِنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ النَّعْمُ نَحْوَلَا
يَمْنُونُ إِنْ أُعْطُوا وَيَخْذُلُ بَعْضُهُمْ * وَيُحْسَبُ عَجْزًا سَكُنَتْهُ إِنْ تَجَمَّلَا
وَيُزَرَى بِعَقْلِ المَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلَا

وقرأت في كتاب للهند : ليس من خلة يُمدح بها الغني إلا ذم بها الفقير، فان

كان شجاعاً قيل أذوج ، وإن كان وقوراً قيل بليد ، وإن كان لساناً قيل مهذار ،
وإن كان زميتاً قيل عبي . وقال آخر^(١)

الفقر يُزِرُّ بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبٍ * وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ المَالُ

وأنشد ابن الأعرابي

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أَرْزَقْ مُرُوءَتَهُ * وَمَا المَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ المَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يَقَعُّدُنِي * عَمَّا يُنَوِّهُ بِأَسْمَى رِقَّةِ الحَالِ

(١) الزيت : كثير الوار .

وقال آخر

يُغَطِّي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله * يُصَدِّقُ فيما قال وهو كَذُوبُ
وَيُزَيِّرُ بعقلِ المرءِ قِلَّةُ ماله * يُحَقِّقُهُ الأَقْصَاومُ وهو لَيْبُ

وقال آخر

كم من لثيمِ الجُدودِ سَوَدَ السَّحَابُ، أبوه وأُمُّه الْوَرَقُ
وكم كريمِ الجُدودِ ليس له * عَيْبٌ سِوَى أَنْ تُوْبَهُ خَلْقُ
أَذْبَهُ سَادَةٌ كَرَامٌ فَا * تُوْبَاهُ إِلَّا الْعَفَافُ وَالْحُلُقُ

وأنشد الترياشي

غَضَبَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ * مَا لَمْ يَسْفِهْ لَهُ دِينَ وَلَا خُلُقُ^(١)
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سَقَتْهَا بَطْرًا * إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاقَتْ الطَّرُقُ
فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي * فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرَقُ^(٢)

وقال أُحِيحَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ

اسْتَغْنِ أَوْمَتْ وَلَا يَغْرُوكَ ذَوْنُ شَب * مِنْ أَبْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالَ
يَلُوْنَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ * وَعَنْ صَدِيقِهِمْ وَالْمَالُ بِالْوَالِي
وَلَا أَزَالُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا، * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ^(٣)
كُلَّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَخْدُلُنِي * إِلَّا نَدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي^(٤)

وقال حسان

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا * لَوْ جَهْلِي غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

وقال المحدثي

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُثْنِي عَلَيْهِمْ * إِذَا شَبِعُوا وَأَوْجَهُهُمْ قِبَاحُ

(١) في العقد الفريد «حيران» . (٢) في الأصل «قلت له الناس الخ» والتصويب عن العقد الفريد .

(٣) في الأصول يعزرك بالعين والزاي، والتصويب عن الأغاني . (٤) في القاموس : الزوراء مال لأحبة .

يَظَلُّ الْمُصْرِمُونَ لَهُمْ سُجُودًا * وَلَوْ لَمْ يُسَقِّ عَنْدهُمْ ضِيَاخُ^(٢)

ويروى يُلَفُّ . وقال بعضهم : وددت أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء .
 قيل له : فما تصنع به ؟ قال : لكثرة من يخدمني عليه . قال الصَّلَتَانِ
 إِذَا قَلَّتْ يَوْمًا لِمَنْ قَد تَرَى : * أَرُونِي السَّرِيَّ ، أَرَوْكَ الْغَنِيَّ
 وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي * وَسِرِّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ

وقال آخر

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ : مَا مَجْدِي وَمَا شَرَفِي ، * الشَّأْنُ فِي فِضَّتِي وَالشَّأْنُ فِي ذَهَبِي
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ لَمْ يَطْرُقْ أَحَدٌ * بَابِي وَلَمْ يَعْرِفُوا مَجْدِي وَمَجْدَ أَبِي

وقال آخر

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغَنَى ، * وَكُلُّ غَنَى فِي الْعِيُونَ جَلِيلُ
 وَلَوْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تُؤْتَ ثَرَوَةً * ذَلَّتْ لَدَيْهِمُ وَالْفَقِيرُ ذَلِيلُ
 إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ * إِلَيْهِ وَمَالُ النَّاسِ حَيْثُ يَمِيلُ
 وَلَيْسَ الْغَنَى إِلَّا غَنَى زَيْنِ الْفَقِي * عَشِيَّةٌ يَقْرِي أَوْ غَدَاةٌ يُنِيلُ

وقال آخر

وَكُلُّ مُقَدَّلٍ حِينَ يَغْدُو لِحَاجَةٍ * إِلَى كُلِّ مَنْ يَعْدُو مِنَ النَّاسِ مَذْنُبُ^(٣)
 وَكَانَ بَنُو عَمِّي يَقُولُونَ مَرْحَبًا * فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْذِمًا مَاتَ مَرْحَبُ

وقال آخر

أَبَا مُصْلِحٍ أَصْلَحْ وَلَا تَكْ مَفْسِدًا * فَإِنَّ صَلَاحَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ يَزْدَادُ عِزَّةً * عَلَى قَوْمِهِ إِنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مُثْرَى

وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْجِي فَإِنِّي * رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) المصرم : الفقير الكثير العيال . (٢) الضياخ : اللبن الرقيق المزوج بالماء .

(٣) كذا بالأصول ، وفي العقد الفريد « يلقي » .

وأبعدهم وأهونهم عليهم * وإن أمسى له حسَبٌ وخيرٌ
ويُقَصِّيه الندى وتزدرية * حليته وبنهره الصغير
وتُلغى ذا الغنى وله جلالٌ * يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنبُ جمٌ * ولكن للغنى ربٌ غفورٌ

وقال زيد بن عمرو بن ثعلب

وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُخَسِّبُ، وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضَرٍّ
وَيُحْنِبُ سِرَّ النَجِيِّ وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحْضَرٌ كُلِّ سِرٍّ

وقال آخر

ألم تربيتَ الفقرَ يُجرُّ أهله * وبيتَ الغنى يهدى له ويُرَارُ .

وقال آخر

إذا ما قلَّ مالك كنت فرداً * وأى الناس زُوار المقلِّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَّارة

وما لبَّ اللبيبَ بغيرَ حظٍّ * بأغنى في المعيشة من قَبيلٍ
رأيتُ الحظَّ يسترُّ عيبَ قومٍ * وهياتِ الحظوظُ من العقول

وقال الطائي

الصبر كإس وبطن الكف عارية * والعقل عارٍ إذا لم يُكسَّ بالنَّشَبِ
ما أضيعَ العقلُ أن لم يرَّعَ ضيعته * وفَرَّ، وأى رحا دارت بلا قُطْبِ ؟

وقال آخر

عش يجمدٌ ولا يضرُّك نوكٌ ^(١) * إنما عيشٌ من ترى بالحدود
عش يجمدٌ وكن هبنقة القيد * نوكاً أو خالد بن يزيد ^(٢)

(١) في الأصول «فلم»، والتصويب عن البيان للمحافظ .

(٢) في البيان للمحافظ «شبية بن الوليد»، وهو الموافق لما في اللسان في مادة هبتى .

وقال الطائي

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ * وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
ولو كانت الأرزاق تجري على الجحَا * هلكنَ إذا من جهلهم البهائمُ

وقال المَرَّار

إذا لم تُرَافِدْ فِي الرَّفَادِ وَلَمْ تُسُقْ * عَدَوْا وَلَمْ تَسْتَغْنِ فَاَلَمُوتْ أَرْوَحُ

وقال ابن الدُّمَيْنَةِ النُّفَیّ

أَطَعْتُ الْعِرْسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى * أَعَادَتْنِي عَسِيفًا عَبْدَ عَبْدٍ
إذا ما جِئْتُهَا قَدْ بَعْتُ عَدُوقًا * تُعَانِقُ أَوْ تَقْبَلُ أَوْ تُفَدِّي

وقال الأَسْعَرُ الْجُعْفَى

وخصاصةُ الجُعْفَى مَا دَايَنْتَهُ * لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ انْقَضَى
إِخْوَانُ صَدِيقٍ مَا رَأَوْكَ بِغِبْطَةٍ * فَانْ فَتَقَرَّتْ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى

وقال آخر

إذا المرء لم يَكْسِبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ * شَكَا الْفَقْرَ أَوْ لَاقَى الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأُذُنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكْتَ * صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا
فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَاتَّمَسْ الْغَنَى * تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعَذَّرَا
وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تُبْتَغَى * مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ أَجَدِّ وَشَمَّرَا
فَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بَدُونٍ وَلَا تَنْمَ * وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعْسِرَا

وقال آخر

مَنْ يَجْمَعُ الْمَالَ وَلَا يُثَبِّبُهُ * وَيَتْرِكُ الْعَامَ لِعَامٍ جَدِّهِ
يَهِنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانُ كَلْبِهِ *
قال أبو اليَقْظَان : مَا سَادَ مُمْلِقٌ قَطُّ إِلَّا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ .

حدّثني أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ عن حمّاد بن سلّمة عن عبيد الله بن العيّار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احْرُثْ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا وَأَحْرُثْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا .

قال حدّثني أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثني أصحاب أيّوب عن أيّوب قال : كان أبو قلابة يَحْتَنِي على الاحتراف ويقول : إِنَّ الْغَنَى مِنَ الْعَافِيَةِ .

قال وقال الأصمعيّ : سأل اعرابي عن رجل فقالوا : أحمقٌ مرزوقٌ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الدّينَ والعِرْضَ . ويقال في بعض كتب الله : أظنني فيما أمرك ولا تُعلمني بما ينفعك وأمدد يدك لباب من العمل أفتح لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غلّى دماغه في الصيف غلّت قِدرُهُ في الشتاء . ويقال : حفظُ المال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : إذا أردتم أن تعلموا من [أين] ^(١) أصاب المال فانظروا فيم ينفعه فإن الخبيث يُنَفِّقُ سَرَفًا . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من نَهاوِشٍ أذهب الله في نَهايرِهِ . ويُقال في مثل « الكَدّ قبل المَدّة » يراد الطلبُ قبل العِجَاجَةِ والعِجَازِ . وقال لَقِيْطُ « الغزو أدز ^(٢) للّقاح وأحد للّسلاح » . وقال أبو المعافى

وإن التواني أنكح العَجَزَ بنتَه * وساق إليها حين زوجها مَهْرًا

فِرَاشًا وطِيشًا ثم قال لها آتِكِ * قُصَارَاهما لا بد أن يَلِدَا الفقرا

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) في الأصل «مهاوش» بالميم ، والتصحيح عن لسان العرب في مادة نهر . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) في النسخة الألمانية هكذا : « وقال لقيط الفزاري دز للّقاح وأجد للّسلاح » وفي الفتوغرافية « الغز » بغير واو ، والتصويب عن مجمع الأمثال لليداني .

- وقال زيد بن جبلة : لا فقير أفقر من غني آمن الفقر . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيالاً مالا قط إلا كان صاحبه فقيراً . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا يتبي مالك؟ قال : لأني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوس المال .
- وقيل لمديني : كيف حالك؟ قال : كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت عادته . ويقال : الغنى في الغربية وطن والفقر في الوطن غربة .

- حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكنا نبي من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى الله إليه : هكذا جرى أمرك عندي أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا .
- قال أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الخصب إلا عاد الغنى إلى أهل الغنى .
- قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمنى فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قدر الله فما أصنع؟ قلت : فمن أين معاشكم؟ قالت : هذا الحاج نتقممهم ونغسل ثيابهم . فقلت : فاذا ذهب الحاج فمن أين؟ فنظرت إلى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا . وقال الشاعر
- أتراني أرى من الدهر يوماً * لي فيه مطية غير رجلى
وإذا كنت في جميع فقالوا * قربوا للرجل قدمت نعلي
حيثا كنت لا أخلف رجلاً * من رآني فقد رآني ورجلي

- قيل لمديني : ما عندك من آلة الحج؟ قال : التلية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس؟ قال : الشتاء .

ذم الغنى ومدح الفقر

قال شريح : الجِدَّةُ كنيةُ البَهِل . وقال أكتُمُ بن صَيفِي : ما يسُرُّني أني مَكْفِي كُلِّ أمرٍ الدنيا . قيل : وإن أَسَمْتَ وأَلَبْتَ ؟ قال : نعم ، أكره عادةَ العَجْز . وكان يقال : عَيْبُ الغِنَى أَنَّهُ يُورِثُ البَلَّةَ ، وَفَضِيلَةُ الْفَقْرِ أَنَّهُ يُورِثُ الْفِكْرَةَ . وقال محمد بن حازم الباهليّ

ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شَرَفٌ * ولا سخاءٌ في طاعةٍ سَرَفٌ
مالكٌ إلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وكلُّ شَيْءٍ أُخْرَتُهُ تَلَفٌ
تَرْكُكَ مَالًا لَوَارِثٍ يَتَنَاهَا * وَتَصَلَّى بِحَرِّهِ أَسْفُ

وقال ابن مُنَازِر

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا * لَنَا عِلْمٌ وَلِلْغَنِيِّ مَالٌ
وَمَا التَّقْنِيُّ إِنْ جَادَتْ كُسَاهُ * وَرَاعَكَ شَخْصُهُ إِلَّا خِيَالٌ

وقال أنس بن مالك : لما خرج مروانُ من المدينة مرَّ بماله بذي خُشْبٍ فلما نظر إليه قال : ليس المَالُ إلَّا ما أُشْرِجَتْ عليه المناطِقُ . وَرَوَى عن المسيح أَنَّهُ قال : في المال ثلاث خصالٍ ، قالوا : وما هي يَا رُوحَ اللَّهِ : قال : لَا يَكْسِبُهُ مِنْ حِلِّهِ قالوا : فَإِنْ فَعَلَ قال : يَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ ، قالوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، قال : يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عن عبادة ربه . قيل لأَبْنِ عَمْرٍ : تَوَقَّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَتَرَكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قال : لَكِنَّا لَا تَتْرَكُهُ . وقال المَعْلُوط

وَلَا سَوْدُ الْمَالِ الدَّنَى وَلَا دَنَا * لِذَاكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يَسْوَدُ
مَنْ مَيَّرَ النَّاسُ الْغَنَى وَجَارَهُ * فَقَصِيرًا يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ

(١) في النسخة الألمانية : «يسومني» . وهو خطأ .

(٢) في القاموس : وخشب بكسب واد بالجماعة وواد بالمدينة ، وفي المرتضى في شرح القاموس وابن الأثير في النهاية أَنَّهُ واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير في الأحاديث والمغازي ويقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفي الحاشية : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو للحال .

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتي * ولكن أحاط قسّمت وُجودُ
فكم قد رأينا من غنى مُدّمْ * وصُعلوك قوم مات وهو حميدُ
إذا المرء أعينته المروءة ناشئا * فطلبها كهلاً عليه شديدُ

وقال آخر

ولا تهنّ الفقيـرَ علّك أن * تركع يوماً والدهر قد رفّعهُ
الأخفّس قال : قال المبرد : أريد النون الخفيفة في ولا تهنّ فأسقط التنوين لسكونه
وسكون اللام . وقال آخر

ولستُ بنظارٍ الى جانب الغنى * إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبارٌ على ما يُسوّبني * لأتّى رأيتُ الله أثنى على الصبر

وقال أعرابي يمدح قومًا

إذا افتقروا عَضُوا على الصبرِ حَسْبَهُ * وإن أسروا عادوا سِرَاعًا الى الفقر
يقول : يعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيرت اليهود عيسى بن
مريم بالفقر فقال : من الغنى أُتِيتُمْ ، وقال : حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى
أحدًا يعصى الله ليفتقر . أنشد ابن الأعرابي

المال يغشى رجالا لا طبّاخ بهم * كالسَّيل يغشى أصول الدّيند البالى

وقال الطائي

لا تنكرى عَطَلَ الكَريم من الغنى * فالسَّيلُ حَرَبٌ لِلْمَكَانِ العَالِي

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال

أعرابي : الغنى من كثرت حسناته والفقر من قل نصيبه منها . وقال ذو الأصبغ

- ٢ . (١) عبارة المبرد في الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهنّ بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين
فلعل ما هنا محرف عن « فأسقط النون لسكونها وسكون اللام » . (٢) عزاه في اللسان الى حسان
ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت في شعر لحية بن خلف الطائي . (٣) الطبّاخ : القوة ، قال في اللسان
ومعناه في البيت : لا عقل لهم . (٤) ما بلى وغفن من أصول الشجر .

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُاطِي * مَخَالَفٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
أَزْرَى بِنَا أَنْتَا شَالَتْ نَعَامُنَا * نَخَالِي دُونَهُ بِلِ خَلْتُهُ دُونِي

وقال آخر

إِن الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا
قِيلَ لِأَعْرَابِي : إِنْ فَلَانَا أَفَادَ مَا لَا عَظِيمًا قَالَ : فَهَلْ أَفَادَ مَعَهُ أَيَّامًا يُنْفِقُهُ فِيهَا ؟ .
وَفِي كِتَابِ لَاهَنْدَ : ذُو الْمَرْوَةِ يَكْرَمُ مُعْدِمًا كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا ، وَمِنْ لَا مَرْوَةٍ
لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا كَالْكَلْبِ وَإِنْ طُوقَ وَحُلِيَ . وَقَالَ خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
أَعَاذِلْ إِنْ الْمَالُ أَعْلَمُ أَنَّهُ * وَجَامِعُهُ لِلْعَائِلَاتِ الْغَوَائِلِ
مَتَى تَجْعَلِينِي فَوْقَ نَعَشِكَ تَعَالَيْ * أَيْغْنِي مَكَانِي أَبْكُرِي وَأَفَائِلِي

وقال آخر

إِذَا الْمَرْءُ أَثْرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ * أَنَا السَّيِّدُ الْمُقْضَى إِلَيْهِ الْمُعْظَمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبَوًا أَنْ يُسَوِّدَهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زَبَّانُ بْنُ سَيَّارٍ

وَلَسْنَا كَقَوْمِ مُحَدِّثِينَ سَيَادَةَ * يُرَى مَا لَهَا وَلَا يُحَسُّ فَعَالُهَا
مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بَيْوتِهِمْ * وَمَسَاعَاتُهَا ذُبْيَانُ طُرًّا عِيَالُهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصَّبْرُ عَلَى حَقُوقِ الْمَرْوَةِ أَشَدُّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ
الْحَاجَةِ ، وَذِلَّةُ الْفَقْرِ مَانِعَةٌ مِنْ عَزِّ الصَّبْرِ كَمَا أَنَّ عَزَّ الْغِنَى مَانِعٌ مِنْ كَرَمِ الْإِنْصَافِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي ذَمِّ الْغِنَى : أَلَمْ تَرِذَا الْغِنَى مَا أَدْوَمَ نَصَبَهُ ، وَأَقْلَّ رَاحَتَهُ ، وَأَخْسَرَ
مِنْ مَالِهِ حَظَّهُ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْأَيَّامِ حَذَرَهُ ، وَأَغْرَى الدَّهْرَ بِثَلَمِهِ وَتَقْضِيهِ ، ثُمَّ هُوَ يَبِينُ
سُلْطَانَ يَرْعَاهُ ، وَحَقُوقَ تَسْتَرِيهِ ، وَأَكْفَاءَ يَتَنَافَسُونَهُ ، وَوَلَدٍ يَوَدُّونَ فِرَاقَهُ ، قَدْ بَعَثَ
عَلَيْهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبَغْنَى ، وَمِنْ ذَوِي

وہابی کری بصالب وورد * أعانک اللہ علی ذا الجند

يا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَرْدِيحُ * عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعَيَّرَ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ * عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
أَنْتَ تَعْيِي اللَّهَ تَبْغِي الْغِنَى * وَلَسْتَ تَعْيِي اللَّهَ كَيْ تَفْتَقِرَ

ليس لي مالٌ سوى كرمي * فيه لي أمنٌ من العُدم

التجارة والبيع والشراء

قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ حَدَّثَهُ يَرْفَعُهُ
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ مَرْعَمَةً وَمَرْحَمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ تَاجِرًا
 وَلَا زَرَّاعًا وَإِن شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَاعُونَ إِلَّا مَنْ شَفَعَ عَن دِينِهِ » . وفي حديث

آخرواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبير: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الكسب أطيب قال : « عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عون بن عمارة عن هشام بن حسان عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ في شيء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحول منه الى غيره . وقال : فترقوا بين المنايا ، وأجعلوا الرأس رأسين ولا تأثوا بدار معجزة . وقال : اذا اشتريت بيعاً فاشتره عظيم الخلق فإن أخطأك خير لم يُخطئك سوق . وقال : بيع الحيوان أحسن ما يكون في عينك . وقال الحسن : الأسواق مواضع الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن معمر عن الزبير قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئاً ، فقال : « عليك بالسوم أول السوق فإن الرياح مع السماح » . وكان يقال : استمع يستمع لك . وفي بعض الحديث المرفوع : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج » . وقيل للزبير : هم بلغت ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أرد رجلاً ولم أسترعياً . دخل ناس على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ضمان نفيس ومثونة ضرس .

باع رجل ضيعة فقال للشترى : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المثونة قليلة المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منثور في اللسان « فترقوا عن النية واجعلوا الرأس رأسين الخ » وقال في تفسيره : اذا اشتريت الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تقالوا في الثمن واشتروا بمن الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بقى الآخر فكانكم فرقم مالكم عن النية اه ولا تلتوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار يعجزكم فيها طلب الرزق وتحولوا عنها الى غيرها .

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرتَ لا شريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بعثتُك الذراعَ بدرهم.

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا سفيان بن العلاء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف أنتظروا لم يغتنمها. ورؤى عبد الله بن جعفر يُمَا كس في درهم فقبل له: أُمَّا كس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالى جدتُ به وهذا عقلى بَحْلَتُهُ. ابتاع ابن عمر شيئاً فحَنَّاهُ البائعُ على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدك ولا تُمسِكْ على رأسه فأتى ما يجعله المكيال. كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذى أخذنا منك خيرٌ مما أعطيناك إذ أظنُّ أنه كذلك فانت بالخيار. اشترى عمرو بن عُبيد إزاراً للحسن بستة دراهم ونصف فأعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: انما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما.

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عَزَبَ المَالُ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ، لا بَلَحَةٌ ولا بُسْرَةٌ ولا رُطْبَةٌ ولا كُرْنَفَةٌ. ونحوه قول بعض المجازيين سَأَيْفِيكَ مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنِّي * أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بَيْنَنَا أَمْوَالَنَا وَقَالَ لِي: يَا بَنَ أَخْتِي إِنِّي أُؤَيِّرُكَ بِالْقَرَابَةِ، اعْلَمْ أَنَّهُ لَا مَالَ لِأَخْرَقَ وَلَا عَيْلَةً عَلَى مُصْلَحٍ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ، وَإِنَّ الرِّقِيقَ جَمَالٌ وَلَيْسَ بِمَالٍ. قال زياد: ليس لدى ضَعْف

مثل أرض عُشِيرٍ وليس لذي جاه مثلُ خَراجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صامتٍ . قال رجل
لآخر: بكم تبيع الشاة؟ قال: أخذتها بستةٍ وهي خير من سبعةٍ وقد أُعطيتُ بها ثمانيةً
فإن كانت من حاجتك بتسعةٍ فَرَنْ عشرةً . كان يقال: خيرُ المالِ عينُ خَرَّارةٍ ،
في أرضِ خَوَّارةٍ ، تُفَجِّرُها الفارةُ ، تسهرُ إذا نِمْتَ ، وتشهدُ إذا غِبْتَ ، وتكونُ عِقْباً
إذا مِتَّ . عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن الزهريِّ عن سعيد بن المسيَّب قال: إن الله
إذا أبغض عبداً جعل رزقه في الصَّياح . وقال الفضَّيل مثلُ ذلك وقال: أما سمعتَ
إلى أهلِ دارِ البطيخِ والملاحينَ ودَوِيهِم .

قال حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا أحمد بن الحارث الهُجَيْمِيُّ قال حدثنا
المُبَارَك بن سعيد عن بُرْد بن سِنان عن نافع عن ابن عمر أنَّه كان لا يرى بالمُكَايَسةِ
والمُماكَسةِ في الشراء والبيع بأساً . ١٠

قال حدثني محمد قال حدثني الأصبهانيُّ عن يحيى بن أبي زائدة عن مُجَالِدٍ عن
أبي بُردة . قال: أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُللَ ، فقال له: إذا كان الثوب عاجزاً فأنشره
وأنت جالسٌ وإذا كان واسعا فأنشره وأنت قائم . قال، فقلتُ له: الله الله يا عمرُ .
قال: إنما هي السُّوقُ . قال عبد الله بن الحسين: غَلَّةُ الدورِ مُسْكَةٌ وغَلَّةُ التَّخْلِ
كَفَافٌ وغَلَّةُ الحَبِّ الغِنَى . قال أعرابيٌّ ١٥

زيادةُ شيءٍ تُلَحِّقُ النفسَ بالمُنَى * وبعضُ الغلاءِ في التجارة أَرْجُحُ
ولمَّا بلغ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ أَنَّ أَهْلَ البصرةِ قد اتَّخَذُوا الصَّيَّاعَ وعَمَّرُوا الأَرْضِينَ
كتب إليهم: لَا تُنْهَكُوا وَجْهَ الأَرْضِ فَإِنْ شَحِمَتْهَا فِي وَجْهٍهَا . قال أعرابيٌّ
وفي السُّوقِ حاجاتٌ وفي التَّقْدِ قَلَّةٌ * وليس بِمُقْضَى الحاجِ غيرُ الدِّراهِمِ .
قال ميمون بن ميمون: من اشترى الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غِنَى . ٢٠

(١) كذا بالأصل . ولم نجد في القاموس أو اللسان أقضي بمعنى قضى . ولعله: وليس مُقْضَى الخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني سُكْرُ الحَرِثِيِّ ^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي يَعْها وأبرأ من أنها تَقْلِبُ المَعْلَفَ وتَنْزِعُ الوَيْدَ مِنْ قَبْلِ البَيْعِ لثلاثا يقولوا ندم . قال الشاعر

إذا ما تاجر لم يُوفِ كِلَا * فُصْبٌ على أنامله الجُدَام

ابن الزيات في الطائي

رَأَيْتَكَ سَهْلَ البَيْعِ سَمَحًا وَإِنَّمَا * يُغَالِي إذا ما ظَنُّ بالشئِ بَائِعُهُ ^(٢)
هو الماء إن أحْمِيته طاب شُرْبُهُ * وَيَكْدُرُ يوما أن تُبَاحَ مِشَارِعُهُ

حدثت عن شَيْبَانِ بن قَزُوخ عن أَبِي الأشْهَبِ عن الحسن قال : كان رجل يَتَجَرُّ في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوما ، فعَمَدَ إليها فزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصَّرفِ واشترى قردًا فحمله معه في السفينة ، فلما بَلَغَ في البحر لم يَشْعُرْ إِلَّا وقد أخذ القردُ الكَيْسَ وعلا على الصَّارِي وجعل يُلقِي دينارًا في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمه قِسْمَيْنِ . قال رجلٌ من الحَاجِّ : أأنا رجل من الأعراب بالرمل في طريق مكة بغرارة فيها كَجَاءة ، فقلنا له : يَكُمُ الْغِرَارَةُ ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : في آست المغبون عودٌ ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكجاءة قيامٌ . قيل لأعرابي : ألا تشتري لابنك بطيخةً . فقال : لا ، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يَدَيِ البَقَالِ وأخذه وعدًا رماه بأخرى ولم يَعدْ خلفه . اشترى أعرابي غلامًا فقال للبائع : هل فيه من عيب ، فقال : لا ، غير أنه يبول في الفراش . فقال : ليس هذا بعيب ، إن وجد فراشًا فليبل فيه .

(١) في الألمانية «الحارثي» .

(٢) هكذا بالأصل غَلَى بالظا . ولعله ضَنَّ بالضاد المججمة بمعنى يَجَلُّ .

الدِّين

قال ثابت قُطْنَةُ : الدِّينُ عُقْلَةُ الشَّرِيفِ . وقال دُلَيْمٌ

اللَّهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَةٍ بَيْعَةً * على حين كَادِ النَّقْدُ يَعْسُرُ عَاجِلُهُ
ولَوْ بَنَانُ الْكَفِّ يَحْسُبُ رِبْحَهُ * ولم يَحْسُبِ الْمَطْلَ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ
مِيرَضَى مِنَ الرَّبْحِ الَّذِي كَانَ يَرْجِيهِ * . أس الذي أَعْطَى وهل هو قَابِلُهُ

عبد الرازق عن ابن جريح قال : رَأَى عَمْرُو أَنَا مُتَقَنِّعٌ ، فقال : يَا أَبَا خَالِدٍ ، إِن لَقَمَانِ
كَانَ يَقُولُ : الْقِنَاعُ بِاللَّيْلِ رِيَّةٌ وَبِالنَّهَارِ مَذَلَّةٌ ، فَقُلْتُ : إِن لَقَمَانِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دِينَ .
كتب يعقوب بن داود إلى بعض العُبَّاد يسأله القُدُومَ عليه ، فَأَتَى مُحَمَّدَ بْنَ النَّضْرِ
الْحَارثِيَّ فَاسْتَشَارَهُ وَقَالَ : لَعَلَّ اللَّهَ يَقْضِي دِينِي ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ : لِأَنَّ تَلَقَّى اللَّهَ
وَعَلَيْكَ دِينَ وَلَكَ دِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ وَقَدْ قُضِيَ دِينُكَ وَذَهَبَ دِينُكَ ، . قال ١٠
عِيَّاضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ عَبْدًا جَعَلَهَا طَوْقًا
فِي عُنُقِهِ . دخل عُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو عَلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ . فقال خَالِدٌ يُعَرِّضُ بِهِ : إِن ههنا
رَجَالًا يَدَّانُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا فَنِيَتْ أَدَّانُوا فِي أَعْرَاضِهِمْ . فقال عتبَةُ : إِن رَجَالًا
لَا تَكُونُ مُرُوءَاتُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَدَّانُونَ عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، نَفِجِلَ خَالِدٌ وَقَالَ :
إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتُ . وقال أَعْرَابِيٌّ يَذْكُرُ غُرْمَاءَ لَهُ ١٥

جَاءُوا إِلَى غَضَبًا يَلْغَطُونَ مَعًا * يَسْفِي أَدَانَتَهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي
لَمَّا أَبَوْا جَهْرَةً إِلَّا مَلَازِمَتِي * أَجْمَعْتُ مَكْرَاهَهُمْ فِي غَيْرِ إِنْكَارِ
وَقُلْتُ إِنِّي سَيِّئَتُنِي غَدًا جَلِي * وَإِن مَوْعِدَكُمْ دَارُ أَبِي هَبَّارِ
وَمَا أَوَاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبَتِهِمْ * غنى فَيُخْرِجُنِي يَقْضِي وَإِمْرَارِي

وما جلبت اليهم غير راحلة * تَحْدِي بِرَحْلِي وَسَيْفُ جَفْنُهُ عَارِي
 (١) إن القضاء سيأتي دونه زمن * فاطوِ الصَّحِيفَةَ وَاحْفَظْهَا مِنَ الْفَارِ

وقال آخر لغرمائه

ولو علقتموني كل يوم * برحلي أويدي في المتجنين
 لما أعطيتكم إلا ترابا * يُطِيرُ فِي الْخِيَاثِمِ وَالْحُلُوقِ

وقال آخر

إن آخيت الأمير قتل سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
 وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قُبِعَ من غريم
 له ألف على ونصف ألف * ونصف النصف في صك قديم
 دراهم ما آتفت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني مخزوم الى الحارث بن
 عبد الله بن نوفل وهو يقضي عن أخيه ديناً فقال : إن لي على أخيك حقاً ، قال :
 ثبّتْ حَقَّكَ تُعْطَهُ . قال : أَقْنِ مَلَاةَ أَخِيكَ وَوَفَانَهُ نَدْعِي عَلَيْهِ مَا لَيْسَ لَنَا ؟ فقال :
 أَمِنْ صَدِيقِكَ وَبِرِّكَ نَقْبِلُ قَوْلَكَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ ؟ . لزم سهل بن هارون دين كثير ، فقال
 أعرابي يوصيه بالتوازي عن غرمائه

انزل أبا عمرو على حد قرية * تَرْتَعُ إِلَى سَهْلٍ كَثِيرِ السَّلَاقِي
 وَخَذْ تَفَقُّ الْيَرْبُوعَ فَاسْلُكْ طَرِيقَهُ * وَدَعْ عَنْكَ إِنِّي نَاطِقٌ وَأَبْنُ نَاطِقٍ
 وَكُنْ كَأَبِي قُطْبٍ عَلَى كُلِّ رَائِعٍ * لَهُ بَابُ دَارِضِيْقِ الْعَرْضِ سَامِقٍ
 وَأَبُو قُطْبَةَ خَنَاقٍ كَانَ بِالْكُوفَةِ مَوْلَى لِكِنْدَةَ .

حدثني محمد بن عبيد . قال : حدثني سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ
 عبيد بن عمير أن رجلاً كان يُبَايِعُ النَّاسَ وَيَدَايِنُهُمْ ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ وَمَتَجَرٌّ ، فَيَأْتِيهِ
 (١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : النَّارُ .

المُعْسِرُ والمستنظرُ فيقول لكتابه : أَكَلْتُ وَأَسْتَنْظِرُ وتجاوزَ ليومَ يتجاوز اللهُ عنا فيه ،
فما لا يعمل عملاً غيره فغفر الله له . قال شُقرانُ القضاةِ

لو كنتُ مولى قيس عيلانَ لم تجد * على لئسانٍ من الناس درهما
ولكنني مولى قُضاعةَ كلها * فليستُ أبالي أن أدِينَ وتقرماً

بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربع مائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك
بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إني أخوف أن يصيبني قدرى ،
فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأمر المؤمنين . حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ،
ولكنني أتسلفها منك لما أعلم من شُحك فإذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثي .

كتب أبو عباد المهلب^(١) إلى صديق له مكثر يستسلفه مالا ، فأعتل عليه بالتعدُّر
وضيق الحال ، فكتب إليه ابن عباد^(١) : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت
ملوماً فجعلك الله معذوراً . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب الشاعر يُعين الناس فإذا حلت دراهمه ركب حماراً له يقال له شاربُ الريح
فيقف على غرمانه ويقول

بني عَمَّاءُ ردُّوا الدراهمَ إنما * يفرِّق بين الناس حُبُّ الدراهم

وكان رجل من بني الدَّيْل عسير القضاة فاذا تعلق به غرماؤه فر منهم وقال
فلو كنتُ الحديدَ لكسروني * ولكنني أشدُّ من الحديد

فعينه الفضل فلما كان قبل الحِلَّ جاء فبني معلقاً على باب داره ، وكان يقال
للرجل عَقْرَب فلقى كل واحد من صاحبه شدةً ، فهجاه الفضل فقال

(١) في الأمانة المهلب ولم تقف على من اشتهر بابي عباد وهو ابن عباد سوى أبي عباد يحيى بن عباد
الضبي البصري ولكن المنسوب إلى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلب .

قد نَجَرْتُ في دارنا عَقْرُبٌ * لا مرحباً بالعقرب الناجره
إن عادتِ العقربُ عُدنا لها * وكانت النعلُ لها حاضره
كُلَّ عدوٍ يُتَقَى مُقْبِلًا * وعقربٌ تُخَشَى من الدائرهِ
إنَّ عدوًا كَيْدُهُ في آستهِ * لغيرِ ذى كَيْدٍ ولا نائره

- ٥ قال بعضهم : ثلاثة من عازهم عادت عزته ذلة : السلطان ، والوالد ، والغريم .
وفي الحديث المرفوع : « لصاحب الحق اليد واللسان » . المدائني قال : سائر بعض خلفاء
بنى أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطع حديثه وأصفى لونه ، فقال له الرجل : ما هذا
الذى رأيت منك ؟ قال : رأيت غريماً لي ، قال الشاعر
إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن * قضاءً ولكن كان غُرماً على غُرَم

وقال آخر

- ١٠ أخذت الدين أدفع عن تلادى * وأخذُ الدين أهلك للتلاد
كان لرجل من يَحْصُبَّ على رجل من باهلة دينٌ ، فلما حل دينه هرب الباهلي
وأنشأ يقول

- إذا حلَّ دينُ اليحْصِي فَقُلْ له : * تَرَوْدُ بَرَادَ وَأَسْتَعِينُ بِدَلِيلِ
١٥ سَيَصْبِحُ فَوْقَ أَقْمِ الرَأْسِ واقِعًا * بَقَالِي قَلَا أَوْ مِنْ وَرَاءِ دَبِيلِ

- قال المحدث بهذا : فخذني من رآه بقالِي قَلَا أَوْ بِدَبِيلِ وهو مصلوب وقد وقعت
عليه عِقَابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسألهم ، فخلقوا له : ما عندهم
شيء يُعْطُونَهُ ، فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شيئاً ، فقال
أبو فرعون : ذلك لانكم تأخذون ولا تُعْطُونَ ، أو قال ولا تَقْضُونَ . أتى قومٌ عبادياً
فقالوا : نَحْبُ أَنْ تُسَلِّفَ فَلَانَا أَلْفَ دَرْهَمٍ وَتُؤَخِّرَهُ بِهَا سَنَةً ، قال : هذه حاجتنا ،

(١) الذى فى اللسان : سيبصيح فوق أقم الريش واقما .

وسأقضى لكم إحداهما، وإذا أنا فعلت فقد أنصفت، أنا أخره ماشاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دين : قد آن للحق الذي عندك أن يرجع إلى أهله ، وتستغفر الله تعالى من حبسه .

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمرو وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعب : تمنوا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولاية العراق وتزوج سكينه ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فقال ذلك وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها . وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحمل عنه الحديث فقال ذلك . وتمنى عبد الملك الخلافة فناها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة . قال قتيبة بن مسلم لحصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفرس مرتبط بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ فقال

كل الكرامة نلتها * إلا التحية بالسلام

يريد أنه لم يسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر

من كل ما نال الفتي * قد نلتسه إلا التحية

يريد الملك . قيل لعبد الملك بن الأهم : ما السرور ؟ فقال : رفع الأولياء ، وحط

الأعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة والنماء . وقال آخر

أطيب الطيبات قتل الأعدى * واختيال على متون الجياد

وأياي حبوتن كريما * إن عند الكريم تركو الأيادي

(١) في النسخة الألمانية «والتهى» .

- قيل للفضل بن سهل : ما السرور؟ فقال : توقيعٌ جائز وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أيُّ شيءٍ أسرُّ إلى القلوب ؟ فقالوا : رجل هوى زمانا ثم قدر ، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولد زمانا فلم يولد له ثم بُشِّرَ بـغلام ، فقال يزيد : أسرَّ من هذا كله قفلةٌ على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ ، فقال : مُحادثة الإخوان ، وكفّاف من عيش يسدّ خلتي ويسترعورتي ، والانتقال من ظلٍّ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقي من ملاذك ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديث على التّلاع العُفْرِ في الليالي القُمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيش الدنيا؟ فقال : بيضاء رُعبوبة ، بالطيب مشوبة ، بالشحم مكروبة . وقيل لطرفة مثل ذلك فقال : مطعم شهى وملبس دفي ، ومركب وطي . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقال طرفة

١٠

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتي * وجدّك لم أحفل متى قام عؤدى
فنهن سبق العاذلات بشربة * كُمت متى ما تُعلّ بالماء تُزید
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بهكنة تحت الطراف المعمد
وكرّى اذا نادى المضاف مُحنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد

١٥

وقال أبو نواس

قلت بالقفص ليحيى * وندامى نيام
يا رضيعي ندى أم * ليس لي عنه فطام
إنما العيش سماع * ومدام وندام
فإذا فاتك هذا * فعلى العيش السلام

٢٠

وقال سحيم

تقول حدّراء : ليس فيك سوى الخمر معاب يعيبه أحد

(١) كذا بالأصل ولعله «مشوبة» .

فقلتُ: أخطأتُ، بل مُعَاقِرَتِي * خَمَرَ وَبَذَلِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُ
 هُوَ السَّاءُ الَّذِي سَمِعْتِ بِهِ * لَا سَبْدٌ مَحْتَدِي وَلَا لَبْدٌ ^(١)
 وَيَحِكُ لَوْلَا الخَمُورُ لَمْ أَحْفِلِ السَّعِيشَ وَلَا أَنْ يَضْمَنِي لَحْدُ
 هِيَ الْحَيَا وَالْحَيَاةُ وَاللَّهُوَلَا * أَنْتِ وَلَا ثَرَوَةٌ وَلَا وَلَدُ
 وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ

تَرَكْتُ الخَمُورَ لِأَرْبَابِهَا * وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ مَاءَ قَرَاخَا
 وَقَدْ كُنْتُ حِينًا بِهَا مُعْجَبًا * كَتَبَ الْغَلَامُ الْفَتَاةَ الرِّدَاخَا
 وَمَا كَانَ تَرَكَى لَهَا أَتْنِي * يَخَافُ نَدِيمِي عَلَى اتِّضَاعَا
 وَلَكِنِّي قَوْلِي لَهُ مَرَّجَا * وَأَهْلًا مَعَ السَّهْلِ وَأَنْعَمَ صَبَاخَا

وقال آخر

أَسْفِنِي بِالْكَبِيرِ إِنِّي كَبِيرُ * إِنَّمَا يَشْرَبُ الصَّغِيرَ الصَّغِيرُ
 لَا يَغْرُنُكَ يَا عَيْدُ خُشُوعِي * تَحْتَ هَذَا الخُشُوعِ فَسَقُ كَثِيرُ
 كَانَ ابْنُ عَائِشَةَ يُنْشِدُ

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَظَّ حَظَّ الْجَاهِلِ * وَلَمْ أَرِ الْمَغْبُورَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
 رَحَلْتُ عَنْسًا مِنْ كُرُومِ بَابِلِ * فَبِنْتُ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَاكِ

وقال آخر

شَرِبْنَا مِنَ الدَّاذِي حَتَّى كَأَنَّا * مَلُوكُ لَهْمِ بَرِّ الْعِرَاقَيْنِ وَالْبَحْرِ
 فَلَمَّا أَتَجَلَّتْ شَمْسُ النَّهَارِ أَيْتُنَا * تَوَلَّى الْغَنَى عَنَا وَعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

قال بعضهم : العيشُ كله في كثرة المال وصحة البدن ونحو ذلك . وكان
 يقال : ليس السرورُ للنفس بالحدة ، إنما سرورُ النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

(١) في النسخة الألمانية : الثناء . (٢) في النسخة الألمانية : مغلدى .

ثلاث تُخْلِقُ الْعَقْلَ وفيها دليلٌ على الضعف : سرعة الجواب ، وطول التقي ، والاستغراب في الضحك . وكان يقال : الْمَنَى وَالْحُلْمُ أَخَوَانُ . وسئل ابن أبي بكرة : أَيُّ شَيْءٍ أَذْوَمُ إِمْتَاعًا ؟ فقال : الْمَنَى . وقال الشاعر

إِذَا تَمَنَيْتُ بَتَّ اللَّيْلِ مُقْتَبِطًا * إِنْ الْمَنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

وقال آخر

مَا فَاتَنِي مِنْكَ فَإِنَّ الْمَنَى * تَدْنِيهِ مِنِّي فَكَأَنَّا مَعَا ^(١)

وقال آخر

وَإِنْ لَوْ أَلَيْسَ شَيْئًا سِوَى * تَسْلِيَةِ الْوَمَاءِ بِالْبَاطِلِ

وقال بعض الأعراب

مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى * وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا ١٠
أَمَانِي مِنْ سُعْدَى عِدَابًا كَأَمَّا * سَقَّتْكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا

وقال بشار

كُرَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى * فَلَدَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمُّهَا

وقال المجنون

أَيَا حَرَاجَاتِ الْحَى حَيْثُ تَجَمَّلُوا * بَذَى سَلَمَ لَا جَادَ كُنْ رُبْعُ ١٥
وَخِيَامَاتِكَ اللَّاتِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى * يَلِينُ بِلَى لَمْ تَبْلَهْنَ رُبُوعُ
فَقَدْ بُكِّ مِنْ نَفْسِ شِعَاعٍ فَطَالَمَا ^(٢) * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتِ ^(٣) * إِلَيْكَ شَايَا مَا لَهْنِ طُلُوعُ

(١) في الأصل « يدنيه » . (٢) كذا في الأغاني واللسان . وفي الأصول « قلب » .

(٣) في الأصول « مثال شايها » . والتصويب عن الأغاني . ٢٠

وقال ابن أبي الدُّمينة^(١)

يَا لَيْتَنَا قَرَدًا وَحَيْشَ نَدُورٍ مَعًا * نَرَعَى الْمِتَانِ وَنُخَفَى فِي نَوَاحِيهَا
أَوَلَيْتَ كُذِّرَ الْقَطَا حَاقِنِي وَبِهَا * دُونَ السَّمَاءِ فَعِشْنَا فِي خَوَافِهَا
أَكْثَرْتُ مِنْ لَيْتِنَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي * وَمِنْ مُنَى النَّفْسِ لَوْ تُعْطَى أَمَانِيهَا
وقال كثير

فِيَا لَيْتِنَا يَا عَمَّرَ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ * بَعِيرَانِ نَرَعَى فِي الْقَلَاةِ وَنَعَزُبُ
نَكُونُ لَذَى مَالٍ كَثِيرٍ يُضِيعُنَا * فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
وقال جرَّانُ العَوْدِ

أَلَا لَيْتِنَا طَارَتْ عُقَابٌ لَنَا مَعًا * لَهَا سَبَبٌ عِنْدَ الْحَجَرَةِ أَوْ وَكُرُ
وقال مالك بن أسماء

وَلَمَّا نَزَلْنَا مِزْلًا طَلَّهَ النَّدَى * أَنْيَقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النَّوْرِ حَالِيَا
أَجَدَّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ * مُنَى فَمَتْنِينَا فَكَذِبِ الْأَمَانِيَا
وَأَنشَدَنَا الرَّيَاشِيُّ

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا * لِيَ اللَّيْلِ مَلْتَنِي هُنَاكَ الْمُضَاجِعُ
أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى * وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ

كَأَنِّي إِذَا أَسْعَى لِأُظْفَرَ طَائِرٌ * مَعَ النِّجْمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ يَطِيرُ
فَقَى مُتَلَهًى بِالْمُنَى فِي خِلَالِهِ * وَهَنَ وَإِنْ حَسَّتْهُنَّ غُرُورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أبي، والصواب ابن الدمينة.

(٢) المتان جمع متن وهو ما صلب من الأرض وارتفع.

(٣) في ديوان ابن الدمينة: «هزنتى اليك» بدل «ملتني هناك».

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : زعم شيخ من بني القُحَيْف قال : تَمَنَيْتُ داراً
فَكَشْتُ أربعة أشهر مُغَمَّماً للدرجة أين أضعُها . قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيْحِ المَغْنِيِّ :
خذ بنا في التَّمتي فوالله لأغلبنك . قال : والله لا تَغَابِنِي أبداً . قال : بلى . قال بُدَيْحٌ :
فإني أتمنى كَفْلَيْنِ من العذاب ، وأن يلغيني الله لعنا كثيرا نَحْذِ ضِعْفِي ذلك . قال :
غلبتني لعنك الله . قيل لِمُزَيْدٍ : أيسرك أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأُضْرَبُ عشرين
سوطاً . قالوا : ولم تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

الأصمعيّ عن مُبَشَّرِ بْنِ بَشِيرٍ أن رجلاً كان يطلبه الحجاج فزبسا باط فيه كلب بين
جُبَيْنِ يَقْطُرُ عليه ماؤهما . فقال : ياليتني مثلُ هذا الكلب ، فإلبث ساعة أن مَرَّ
بالكلب في عنقه جبلٌ ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجاج يأمر فيه بقتل
الكلاب . قال مَدِينِيُّ الكوفيّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :
وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيء من المكروه إلا كان بي
دونه . قال المدينيّ : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلمَ فُسِّرَ به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم وأتى كافرٌ .

تَمَنَّى ابن أبي عَتِيقٍ أن يَهْدَى له مسلوخٌ يَتَّخِذُ منه طعاماً ، فسمعتُه جارةً له
فَظَنَّتْ أنه قد أمر أن يُشْتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقُّ البابَ ،
وقالت : سَمِعْتُ رِيحَ قُدُورِكُمْ جُئْتُ لِتَطْعِمُونِي ، فقال ابن أبي عَتِيقٍ : جيرانِي يَشْمُون
رِيحَ الأمانِي .

وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال : أبيعُ
الجرةَ بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أَعْتَرٍ فَأُولِدُهُنَّ في كلِّ سنةٍ مرتين ، وويلغ التَّاجُ
في سنين مائتين ، وأبتاعُ بكل أربع بقرّة ، وأصيب بذراً فأزرع ، ويبنى المالُ
في يدي ، فَأَتَّخِذُ المساكينَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويُولدُ لي ابنٌ فأسميه كذا وأخذه

بالأدب ، فإن هو عصاني ضربتُ بعصاي رأسه وكانت في يده عصا فرفعها حاكيا للضرب ، فأصابته الجزة فانكسرت ، وانصبَّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبي قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال
ليت أيامنا ببرقة خاخ * وليالك يا طويل تعودُ

وإذا كان مغتًا قال

ترى الشيء مما تتقي فتخافه * وما لا ترى مما يقي الله أكثرُ

الأصمعي عن أبيه قال قال زياد : أى الناس أنعم ؟ قالوا : معاوية . قال :
فأين ما يلقى من الناس ! قالوا : فانت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخراج !
قالوا : فمن ؟ قال : شاب له سيداد من عيش ، وامرأة قد رضيها ورضيته ، لا يعرفنا
ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه .

التواضع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من
أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من
السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك ، أو دعوت له من يصلحه ؟
فقال : قمت وأنا عمر وعدتُ وأنا عمرُ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القرظي ،
فقبل له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أمُن على الله بما لم أفعل .

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الله بن مسلمة عن يعقوب بن حماد
المدني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر
لا يقوم في الظل ، وكان يراجلنا ويُرَحِّل رحلَه وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليلُ عليك بالهم * والبس له القميص واعتم^(١)
وكن شريكاً نافعاً وأسلم * ثم آخذهم الأثوامَ حتى تُحْدَمَ

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هَوْنُ
عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جلس الأحنف على باب دار ، ففرت به
ساقية فوضعت قريبتها وقالت : يا شيخ ، احفظ قريبتى حتى أعود ومضت ، فأتاه الآذن
وقال : انهض . فقال : إن معى ودبعة ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحارث عن
أبي ليبيد ، قال : مر بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة
قد طروق الحبل في عنقها تحت الجمام .

الأصمعي قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا نُقِرَ تواضع والوضيع إذا نُقِرَ
تكبر . الأصمعي قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عمارة بن غزيرة عن عبد الله بن عمرو بن الزبير قال : إلى الله أشكو
حمدى مالا آتى ، وذمى مالا أترك .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن أبي نعيم عن مُنْدَلٍ عن مُحمَّد عن أَنَس قال :
مر النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمانٍ فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شعبة عن جابر عن طارق التيمي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسوة فسلم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال قر إذا نودي باسمه من بين الأسماء .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قالت لجار لعطاء السلمي : من كان يخدم عطاء؟ قال : مُحْتَثُونَ كانوا في الدار يستقون له وضوءه . فقلت : أيوضئه مُحْتَثُونَ ! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن البتي قال : آذى ابن لمحمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريت أمك بمائة درهم .

قال عامر بن الطريب العدواني : يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عروُفٌ عزوُفٌ ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حكيما حتى صحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصاديد الشرف . كان يقال : اسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بُزْجِيهَر : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف . وقال عبد الله بن طاهر

أميل مع الدمام على ابن عمي * وأحتمل الصديق على الشقيق
وإن ألفتني ملكا مطاعا * فإنك وإحدى عبد الصديق
أفرق بين معروفي ومي * وأجمع بين مالى والحقوق

وقال آخر

وإني لعبد الضيف من غير ذلة * وما في إلا تلك من شيمة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة محسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتخذكم الناس رهوسا فكونوا أذنا با . اعتم هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليسوى عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ الإخوان خوولا . كان عمر بن الخطاب يلقط النوى يأخذ النكت من الطريق ، فإذا مرّ بدار رعى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للفتح الكندي هكذا :

وإني لعبد الضيف مادام نازلا * ولا شيمة لي غيرها تشبه العبد

قال يوسف بن أسباط : يَجْزِي قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَجْزِي قَلِيلُ التَّوَاضُعِ مِنْ كَثِيرِ الْاجْتِهَادِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقْتُهُ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِمُونَكَ فَقُلْ : نِعْمَةٌ أَحْدَثُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا فَقُلْ : بِذَنْبِ أَحَدِهِمْ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السَّكَّاءِ لعيسى بن موسى : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لغيرِ ثَوَابٍ ، وَنَصَبٌ لغيرِ دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لغيرِ ذُلٍّ .

قال إبراهيم التَّخَعِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَرْكُبُ الْحِمَارَ رِدْفًا . الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى إِلَى خُبَرِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنَخَةِ ^(١) فَيُجِيبُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مُتَّخًا وَيَأْكُلُ بِالْحَضِيضِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قَالَ أَوْسُ بْنُ الْحَدَّاثَانِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ ^(٢) وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ عُرِّي يَقُولُ : الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعِ الذَّنَبِ قَدْ سَدَلَ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ إِذْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بَرِيحٌ خَرَجَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَيِّتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهَ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهَ فِيكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَآنَذَا أَنْزِلُ لِأَعِيدَ الْوُضُوءَ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَلَالِ قَلَّتْ كِبَرِيَاؤُهُ وَخَفَّتْ مَوَازِينُهُ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : مَامَنَا أَحَدٌ إِلَّا قُتِسَ عَنْ جَائِفَةٍ ^(٣) أَوْ مُنْقَلَةٍ خَلَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . الْمُنْقَلَةُ الشَّجَةُ الَّتِي يُخْرَجُ مِنْهَا

(١) الإِهَالَةُ : مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مِنَ الْأَدْهَانِ ، وَالسَّنَخَةُ : الْمُنْعِيرَةُ الرَّيْحِ .

(٢) يُرِيدُ : لَيْسَ فِينَا أَحَدٌ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ عَظِيمٌ ، فَاسْتَعَارَ الْجَائِفَةَ وَالْمُنْقَلَةَ لِذَلِكَ .

العظام، والجائفة التي تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال
[قال] إبراهيم : لقد تكلمت ولو وجدتُ بدءاً ما تكلمت ، وإن زماناً تكلمتُ فيه لزمانُ
سوء . كان رجل من خَنَعَم رَدِيَ فقال في نفسه

لو كنتُ أَصَعَدُ في التَّكْرُمِ والعُلَا * كنتُ حَذَرِي أصبحتُ سَيِّدَ خَنَعِمِ
فبادِ أَهْلَ بَيْتِهِ حَتَّى سَادَ فَقَالَ

خَلَّتِ الدَّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرُ مُسَوِّدٍ * وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ
أَنشَدَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ فِي مِثْلِهِ
إِنْ بِقَوْمٍ سَوْدُوكَ لِحَاجَةٍ * إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

قال يحيى بن خالد : لست ترى أحداً تكبر في إمارته إلا وهو يعلم أن الذي نال
فوق قدره، ولست ترى أحداً يضع نفسه في إمارة إلا وهو في نفسه أكثر مما نال ١٠
في سلطانه . ومثله ، قيل لعبيد الله بن بسام : فلان غيَّره الإمارة ، فقال : إذا ولي
الرجل ولايةً فرآها أكثر منه تغير ، وإذا ولي ولايةً يرى أنه أكثر منها لم يتغير .
ويقال : التواضع مع السخافة والبخل أحد من السخاء والأدب مع الكبر ، فأعظم
بنعمة عفت من صاحبها بسيتين ، وأقبح بسية حرمت صاحبها حسنتين . وفي بعض
كتب العجم : علامة الأحرار ، أن يلقوا بما يحبون ويحرموا أحب إليهم من أن يلقوا ١٥
بما يكرهون ويعطوا ، فأنظر إلى خلة أفسدت مثل الجود فاجتنبها ، وأنظر إلى خلة
عفت مثل البخل فالزمها . كان يقال : الشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والغنى
في القناعة . أبو الحسن قال : خطب سلمان إلى عمر فأجمع على تزويجه ، فشق ذلك
على عبد الله بن عمر وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردته عنك ، فقال : إن ردَّته
بما يكره أغضبت أمير المؤمنين ، قال : على أن أردته عنك راضياً ، فأتى سلمان فضرب ٢٠
بين كتفيه بيده ، ثم قال : هنيئاً لك أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويحك ،

فالتفت إليه مُغَضَّبًا وقال، أبي يتواضع ! والله لا أتزوجها أبدا . وقال المزاري بن
مُنْقِذِ الْعَدَوِيِّ^(١)

يا حَبِذا حين تُمَسِّي الرِّيحُ بَارِدَةً * وَاِدَى أُشْيًى، وَفَيَانٌ بِهِ هُضُمٌ
يُخْدَمُونَ، كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ، * وَفِي الرِّحَالِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ حَدُمٌ
وَمَا أَصَاحِبُ قَوْمًا ثُمَّ أَذْكُرُهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

- ابن المبارك عن ذَرٍّ عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرني يدك ، فأخرج يده فقبلها زيد ، ثم قال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام ، وأن ترضى بالذون من المجلس . ابن أبي الزناد عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يترقط بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترجلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يتر وهما راكبان وهو يمشي . كان سلمان يتعوذ بالله من الشيطان والسلطان والعليج إذا استعرب . المدائني قال : سلم رجل على حسان ابن أبي سنان فدعا له ، فقيل : أتدعوا لمثل هذا ! فقال : إن مما يفضلني به أن يرى أنني خير منه . قال عبد الله بن شداد : أربع من كن فيه فقد برئ من الكبر : من اعتقل العنز ، وركب الجمار ، ولبس الصوف ، وأجاب دعوة الرجل الذون .

باب الكبر والعجب

حدثني إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو السكين قال حدثني عم أبي زحر بن حصن قال ، قال رجل للجباج : أصلح الله الأمير ، كيف وجدت منزلك بالعراق ؟

- (١) جاءت هذه الأبيات في الحماسة ضمن قصيدة معزوة إلى زياد بن حل بن سعد بن عميرة بن حريث ، قال التبريزي : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا في الأصل ، وفي الحماسة «بأدرة» .

قال : خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقربتُ بدمائهم إليه . قال : ومن هم ؟
 قال : مقاتل بن مسعم ، ولي سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال ، فلما عُزل
 دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أرديتهم فمشى عليها ، وقال لرجل يماشيه : لمثل
 هذا فليعمل العاملون . وعُيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي ، حزب أهل البصرة
 أمر فخطب خطبة أوجز فيها ، فنادى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا
 أمثالك . فقال : لتمد كلتم الله شططاً . ومعبّد بن زُرارة ، كان ذات يوم جالساً
 في طريق ، فمرت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا ،
 فقال : لهد عبد الله ! أنا لهد^(١) ، أراد كفى بك أنا ، يريد الفخر . وأبو سمالك الأسدي ،
 أضلّ راحلته فالتبسها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يردد علي راحلتي
 لا صليتُ له أبداً ، فالتبسها الناس حتى وجدوها ، فقالوا : قد ردّ الله عليك راحلتك
 فصلّ ، فقال : إن يميني كانت صرياً .

قال أبو حاتم عن الأصمعي عن كُرْدِين المسمعي . قيل لرجل متكبر : هل مرّت
 بك أحمرة ؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عمك . قال وقال كُرْدِين : رآني
 ابن ميادة الشاعر فأعجبته لما رأى من جلدي وبياني . فقال : ممن أنت ؟ قلت :
 من بكر بن وائل ، فقال : وفي أيّ الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جبّير بن مطعم في حلقة العلاء بن عبد الرحمن
 انخرق وهو يُقَرِّئ الناس . فلما فرغ قال : أندرون لم جلستُ إليكم ؟ قالوا :
 لتسمع ، قال : لا ، ولكن أردتُ التواضع لله بالجلوس إليكم . قال : ومرة محمد

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي العقد الفريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — : فقال : لمثل يقال
 يا عبد الله ! وبلك ! (٢) كذا بالأصول ، وفي العقد الفريد : « وأبو سمالك الحنفي » وفي اللسان في مادة
 صرى : « أبو سمالك الأسدي » . (٣) كذا بالفتوغرافية ، وفي الألمانية « ضرياً » والذي في اللسان
 والصالح « علم ربي أنها منى صرى » . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة ، أي عزيمة قاطعة ومعين لازمة .

ابن المنذر بن الزبير بن العوام في حاجة له ، فانقطع ^(١) قبال نعله ، فترع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يعرج عليهما . قال بعض الشعراء

وأعيرض عن ذى المال حتى يُقال لى * قد أحدث هذا نحوه وتعظما

وما لى كبر عن صديقي ولا أخ * ولكنه فعلى اذا كنت مُعديما

- ٩ قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حُقق لم يدر صاحبه أين يضعه . قال معاوية بن أبي سفيان : قدم علقمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني رسول الله أن أنطلق به الى منزل رجل من الأنصار أنزله عليه ، وكان منزله في أقصى المدينة ، فأنطلقت معه وهو على ناقة له وأنا أمشي في ساعة حارة وليس على حذاء ، فقلت : احملني يا عم من هذا الحر فانه ليس على حذاء ، فقال : لست من أرادف الملوك ، قلت : إني ابن أبي سفيان ، قال : قد سمعت رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال ١٠ قلت : فإني الى نعلك ، قال : لا تقبلها قدماك ولكن آمش في ظل ناقتي فكفأك بذلك شرقا ، وإن الظل لك لكثير . قال معاوية : فما مر بي مثل ذلك اليوم قط ، ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا . قال ابن يسار ولو لحظ الأرض لى والد * تطأطأت الارض من لحظته

١٥

وقال آخر

أتيه على جن البلاد وإنسها * ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسي

أتيه فما أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

فان زعموا أتى من الإنس مثلهم * فما لى عيب غير أنى من الإنس

وكان عند الرستمى قوم من التجار حضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا فقال :

- ٢٠ ما لكم ولهذا وما أتم منه ! الصلاة ركوع وسجود وخضوع ، وإنما فرض الله هذا

(١) قبال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والى تليها .

يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثلى ومثل فرعون ذى الأوتاد
 ومُمرود وأنوشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه .
 قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً .
 رأى رجل رجلاً يَخْتال في مِشْيَتِهِ ويتَلَقَّى في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك
 في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي . قيل لعبد الله بن المبارك : رجلٌ قتل رجلاً
 فقلتُ إنى خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عجبتُ لمن جرى
 في مجرى البؤل مرتين كيف يتكبر . ابن عُلَيَّةَ عن صالح بن رُسَمَ عن رجل عن
 مُطَرِّف ، قال : لأن أَيْتَ نائماً وأُصْبِحَ نادماً أحبُّ إلى من أن أَيْتَ قائماً وأُصْبِحَ
 مُعْجَباً . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خير من حسنة تُعْجِبُكَ . قال أبو حازم :
 ١٠ / إن الرجل ليعمل السيئة ما عمل حسنةً قط أنفعَ له منها وإنه ليعمل الحسنة ما عمل
 سيئةً قط أضرَّ عليه منها . قال الشاعر

أما ابنُ قَرَوَةَ يونسُ فكأنه * من كِبَرِهِ أَيْرُ الحمارِ القائمُ
 ما أَلْناهُ عندَكَ غيرَ نفسِكَ وحدها * والناسُ عندَكَ ما خَلَّكَ بهائمُ

قال المسعودي

مُسّاً ترابَ الأرضِ منها بَخُلُقَها * وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ
 ولا تَعْجَبْ أَنْ تَرْجِعَا قُتُلَها * فما خَشِيَ الأَقْوامُ شِراً من الكِبَرِ
 ولو شئتُ أدَلَّتْ فيكما غيرُ واحد * علانيةً أو قال عندى في سِتْرِ
 فإن أنا لم أَمُرْ ولم أَنَّهُ عنكما * ضَحَكْتُ له حتى بَلَغَ وَيَسْتَشِرِي

١٥
 الأصمعي قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كِبَرٍ قط إلا تحوّل داؤه في ، يريد أنى أنكبر عليه .
 وقال آخر : ما تاه أحد قط على مرتين ، يريد إذا تاه مرة لم أعاوده . قال الشاعر
 ٢٠
 يا مُظْهِرَ الكِبَرِ إعجاباً بصورته * أنظر خَلْءَكَ إن التَّنَّ تريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة * وهو نجس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريمها سهك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يابن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فإنك ما كول ومشروب

دفع أردشير الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له : اذا رأيتني قد
أشتد غضبي فادفعه اليّ، وفي الكتاب : أمسك فلست بالله انما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضاً ويصير عن قريب للودود والتراب . كان للسندی والى الجسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك
ياسندی، اذكر القصاص . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك

أبا جعفر عرج على خلطائكا * وأقصر قليلاً عن مدى غلوائكا
فإن كنت قد أعطيت في اليوم رفعة * فان رجائي في غد كرجائكا
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلاً ينشد

ألا رب ذي أجل قد حضر * طويل التني قليل الفكر
اذا هز في المشى أعطافه * تينت في منكيه البطر

قال : فغدوت عليه لأكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المدائني قال :
رأيت فلاناً مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيت بعد ذلك رجلاً
في سفر، فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقاً على الله أن يريجلي حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي

وأعظم زهواً من ذباب على خرة * وأبخل من كلب عقور على عرق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على حق

(١) هذا واراد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهي لغة أزدشنوة .

وقال آخر

أَجُّ لِحَاجًا مِّنَ الْخُنْفَسَاءِ * وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غِرَابِ

قيل لرجل من بني عبد الدار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يَجْلَ الحُسْرُ شرفي . وقيل له : البس شيئاً فان البرد شديد ، فقال : حسبي يَدْفُئُنِي . قال أبو اليقظان : كان الحجاج أستعمل بلالاً الضبيّ على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : ببلي ، سُمي بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : ببلي . وفي جيشه قال الشاعر

إلى الله أشكو أنتي بث حارساً * ققام بلالٍ فبال على رجلي
فقلت لأصحابي أقطعوها فإني * كريم وإني لن أبلغها رجلي

مدّ أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى يداً أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعتُ الحجاج بن أَرْطاة يقول : قتلتُ حُبَّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال : أكره أن يزحمني البقالون . كان جَذِيمَةُ الأبرش — وهو الوضاح سُمي بذلك لبرص كان به — لا يُنادِمُ أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظمُ من أن أنادِمَ إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصبّ لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل بابن أخته الذي أستموته الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُنادِمُكَ ، افتادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعاداه عليه حديثاً . وفيهما يقول مُتَمِّمُ بن نُؤيرة وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةٍ * من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد الميداني المثل هكذا «ألح من الخنفساء» بالحاء المهملة ولم يشرحه ، وعمله في كتاب فرائد الآل بأن الخنفساء إذا وقعت عن موضع عادت إليه .

(٢) أصله بأبي ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان في مادة أبي . وفي الأغاني ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلين ومن أثبت من الصبيان فكانت المرأة تجي . إلى ابنها وقد جرد فضته إليها وتقول له بأبي جزعا عليه فسمي ذلك الجيش جيش بأبي .

وقال الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلاً صفاء مالك وعقيل

قيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب إلا أنك مُعَجَّبٌ ، قال : أفأعجبكم؟ قالوا : نعم

قال : فإنا أحق أن أعجب بما يكون مني . ويقال : للعادة سلطان على كل شيء ،

- وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت
البيغضة بمثل الكبر .

باب مدح الرجل نفسه وغيره

قال الله عز وجل حكاية عن يوسف : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" . وقال لأنصار :

- ١٠ "والله ما علمتكم إلا تقولون عند الطمع وتكثرون عند الفزع" . وذكر أعرابي قوماً

فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا ، وإن

أقصى مناهم لأدنى فعالنا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كنتُ

أمشي مع الشعبي وأبي سلمة ، فسأل الشعبي أبا سلمة : من أعلم أهل المدينة؟ فقال :

الذي يمشي بينكما ، يعني نفسه . وقال الشعبي : ما رأيت مثلي ، وما أشاء أن ألقى رجلاً

- ١٥ أعلم مني بشيء إلا لقيته . قال معاوية لرجل : من سيد قومك؟ قال : أنا . قال :

ولو كنت كذلك لم تقل . الوليد بن مسلم عن خلود عن الحسن قال : ذم الرجل نفسه

في العلانية مدح لها في السر . كان يقال : من أظهر عيب نفسه فقد زكّاها . الأعمش

عن إبراهيم عن عبد الله قال : إذا أثبت على الرجل بما فيه في وجهه لم تزكّه .

قال عمر بن الخطاب : المدح ذبح . ويقال : المدح وافد الكبر . وقال علي بن الحسين :

- ٢٠ لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ،

ولا يصطحب أشان على غير طاعة الله إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة الله .

قال وهب بن منبه : إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن .

أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال في بعض كتب الله عز وجل : عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! ولمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب ! وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الظنون ! . وكان يقال : لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك . وقال أعرابي : كفى جهلاً أن يمدح المادح بخلاف ما يعرف الممدوح من نفسه ، وإني والله ما رأيت أعشق للعروف منه . قال ابن المقفع : إياك إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتركية وأن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلماً من الثلثم يقتحمون عليك منها ، وباباً يفتتحونك منه ، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وأعلم أن قابل المدح كإدح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده ، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب . وقال البيهقي ١٠

ولست بمفراج إذا الدهر سرتني * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أمتنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ويعتده قوم كثير تجارة * ويمتنع من ذاك ديني ومنصبي
فان مسيرى في البلاد ومترلى * لبالمترل الأقصى إذا لم أقرب

قول الممدوح عند المدحة

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول عند المدحة : اللهم أنت أعلم بي مني بنفسى وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم أجعلني خيراً مما يحسبون وأغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . قال حدثنا الراشدي عن الأصمعي عن حماد بن سلمة قال : أثنى رجل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه ، وكان تهمة ، فقال علي : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك . ٢٠

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينظم به السياق ، ففي العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما رأيت أعشق للعروف منه . وفي الصحيفة نفسها : ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : ان جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وإنى والله ما رأيت أعشق للكارم في زمان اللوم منك .

قيل لأعرابي : ما أحسنَ الثناءَ عليك ! فقال : بلاءُ الله عندي أحسنُ من وصف
المادحين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الدائمين وإن أكثروا ،
فيا أسفاً على ما فرطتُ ويا سوءاً مما قدمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناء إلا من مكافئ^(١) . ومن أحسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قول أعشى بن ربيعة

ما أنا في أهلي ولا في عشيرتي * بمهتضمٍ حتى ولا قارعٍ سني
ولا مسلمٍ مولايَ عند جنائي * ولا خائفٍ مولايَ من سوء ما أجنى
وإن فؤاداً بين جنبيَّ عالمٌ * بما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أذني
وفضّلني في الشعر واللّب أني * أقول على علم وأعلم ما أعني
فأصبحتُ إن فضلتُ مروانَ وأبنة * على الناس قد فضلتُ خيرأبٍ وأبن

وقال آخر

إذا المرءُ لم يمدحه حسنُ فعله * فادحه يهذي وإن كان مفصّحاً

وقال آخر

لعمري أهلك الخير إني لخادمٌ * لصحبي وإني إن ركبْتُ لفارس

وقال آخر

ونحن ضياءُ الأرض ما لم تسربها * غضاباً، وإن نفّضَ فنحن ظلامها
وأنشد الحسنُ البصريُّ قول الشاعر^(٢)
لولا جريه هلك بجيله * نعم الفتى وبشت القبيلة

(١) في اللسان مادة كفا بعد أن أورد الحديث : قال القتيبي معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكافأه بالثناء عليه قبل ثناءه وإذا أنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنباري هذا غلط إذا كان أحد لا ينفك من إنعام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله بعمه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ولا غير مكافئ . والثناء عليه فرض لا يتم إلا بسلامه إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : الأمن مكافئ . أي مقارب غير مجاوز حد مثله ولا مقصر عما رفعه الله إليه . ومثله بالحرف في ابن الأثير .

(٢) في الأصل « الحسن بن البصري » وظاهر أن لفظة « ابن » من زيادات النسخ .

قال الحسن : ما مَدَحَ رجلٌ هَجِيَّ قَوْمَهُ . وقال أبو الهندام
يقولون : الحديدُ أشدُّ شَيْءٍ * وقد تُنَى الحديدُ وما تُنِيْتُ
تَحَرُّ الأَرْضُ إن تُودِيَتْ بِاسْمِي * وتنهَّدُ الجبالُ إذا كُنِيْتُ
ومَدَحُ النفسِ في الشَّعرِ كثيرٌ ، وهو فيه أسهلُّ منه في الكلامِ المنشور .

باب الحياء

حدثني أبو مسعود الدارمي ، قال : حدثني جَدِّي نَحْرَاشُ عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» . وروى ابنُ ثُمَيْرٍ عن الأُحوصِ
ابنِ حَكِيمٍ ، قال : حدثني أبو عَوْنِ المَدَنِيُّ قال : سَمِعْتُ سَعِيدَ بنِ الْمُسَيَّبِ يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قِلَّةُ الْحَيَاءِ كُفْرٌ» . وروى جريرُ بنُ حازمٍ عن يعلَى
ابنِ حَكِيمٍ عن رجلٍ عن ابنِ عمر ، قال : الحياءُ والإيمانُ مقرونانِ جميعاً فإذا رُفِعَ
أحدهما أَرُفِعَ الآخرُ . وكان يقال : أحيوا الحياءَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ . ذكر
أعرابيٌّ رجلاً فقال : لا تراه الدهرُ إلا وكأنه لا غنىَ به عنك وإن كنتَ إليه أحوَجَ ،
فإن أذنبْتَ غَفَرَ وكأنه المذنبُ ، وإن أسأتَ إليه أحسنَ وكأنه المسيءُ . وقالت
للي الأَخِيلِيَّةُ

ومُقَدِّرٌ عنه القميصُ تَخَالَهُ * وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً
حتى إذا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ * تحتَ اللِّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيماً

ونحوه قول الآخر إلا أنه في التواضع

يبدو فيبدو ضعيفاً من تواضعه * ويكفهر فيلنَى الأسودَ اللَّحِيماً
وقال أبو دَهَبٍ الْجُمَحِيُّ^(١)

إن البيوتَ معادنَ فَنِجَارُهُ * ذَهَبٌ وَكُلُّ جُدُودِهِ ضَخْمٌ^(٢)

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول . «فتجارة» وهو تحريف والتصويب

عن الحماسة . (٣) في الحماسة «بيوته» يعني القبائل التي اكتسفتها من أخواله وأعمامه .

مَهْلَلٌ نَعَمَ لِلَّاءِ مُجَانِبٌ * سَيِّانٍ مِنْهُ الْوَقْرُ وَالْعُدْمُ
تَزُرُّ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ * ضَمِينًا وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُقْمُ
عُقِمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ * إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقْمُ

- حدثنا أبو الخطاب قال : حدثنا المعتمر ، قال : سمعتُ ليثَ بنَ أبي سليمٍ يحدثُ
عن واصل بن حيان عن أبي وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حُفِظَ
من كلام النبوة « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » . قال الشاعر
تَحَاكُمُ لِلْعِلْمِ صُفْمًا عَنِ الْخَلَا * وَخُرْسًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاجُرِ
وَمَرْضَى إِذَا لَوْقُوا حَيَاءً وَعِفَّةً * وَعِنْدَ الْحِفَاطِ كَاللَّبِوثِ الْخَوَادِرِ
وقال آخر

- ١٠ عليه من التقوى رداءً سَكِينَةً * وَلِلْحَقِّ نَوْرٌ يَرِينُ عَيْنِيهِ سَاطِعُ
وقال الشَّعْبِيُّ : تَعَايَشَ النَّاسُ زَمَانًا بِالدِّينِ وَالتَّقْوَى ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَتَعَايَشُوا بِالْحَيَاءِ
وَالتَّذَمُّمِ ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَمَا يَتَعَايَشُ النَّاسُ إِلَّا بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأُظِنُّهُ سَيَجِيءُ مَا هُوَ
أَشَدُّ مِنْ هَذَا .

باب العقل

- ١٥ حدثني اسحاق بن ابراهيم الشَّهِيدِيُّ ، قال : حدثنا الحارثُ بن النُّعْمَانِ ، قال : حدثنا
خَلِيدُ بْنُ دَعْلَجٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُزَّةٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : « إِنْ النَّاسَ يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ وَإِنَّمَا
يُعْطَوْنَ أَجُورَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ » . مَهْدِيُّ بْنُ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ :
سَمِعْتُ مُطَرِّفًا يَقُولُ : عُقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدَرِ زَمَانِهِمْ .
حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنَبِّهٍ قَالَ : وَجَدْتُ
٢٠ فِي حِكْمَةِ دَاوُدَ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَشْغَلَ نَفْسَهُ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا
رَبَّهُ ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا دُورَ وَإِخْوَانَهُ وَالَّذِينَ يَنْصَحُونَ لَهُ

في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ عيوبه، وساعة يُحَلِّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يُجَلِّ وَيُحْمَدُ
فان هذه الساعة عَوْنٌ لهذه الساعات وَفَضْلٌ بُلْفَةٌ وَاسْتِجَامٌ للقلوب . وينبغي للعاقل
أَنْ لَا يَرَى الا في إحدى ثلاثِ خِصَالٍ: تزوُّدٌ لمعادٍ، أو مَرَمَةٌ لمعاشٍ، أو لَذَّةٌ،
في غير محرم . وينبغي للعاقل أَنْ يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه، مُقْبِلاً على شأنه .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هلال بن حَقٍّ قال ، قال عمرو بن
العاص : ليس العاقلُ الذي يَعْرِفُ الخيرَ من الشرِّ ولكنه الذي يَعْرِفُ خَيْرَ الشرِّينَ،
وليس الواصلُ الذي يَصِلُ مَنْ يَصِلُهُ ولكنه الذي يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . وقال زياد :

ليس العاقلُ الذي يَحْتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذي يَحْتالُ للأمر الَّا يقع فيه .

قال معاوية لعمرو : ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ قال عمرو : لم أدخُلْ في أمرٍ قطُّ
فكرهته إلا خرجتُ منه . قال معاوية : لكنني لم أدخُلْ في أمرٍ قطُّ فاردتُ الخروجَ

منه . وقرأتُ في كتابٍ للهند : الناسُ حازمانٌ وعاجزٌ، فأحدُ الحازمين الذي إذا نزل به
البلاءُ لم يَنْظُرْ به وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يَخْرُجَ منه، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر إذا
أقبلَ فيدفعه قبل وقوعه، والعاجزُ في تردُّدٍ وتثَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يَأْمُرُ رَشْداً ولا يُطِيعُ
مُرَشِداً . وقال أعرابي : لو صُوِّرَ العقلُ لأظلمت معه الشمسُ ، ولو صُوِّرَ الحقُّ

لأضاء معه الليلُ . قال بعض الحكماء : ما عُيِدَ اللهُ بشيءٍ أحبَّ إليه من العقلِ
وما عُيِيَ اللهُ بشيءٍ أحبَّ إليه من السَّترِ . أبو رَوْقٍ عن الضحَّاك في قول الله عز
وجل (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : مَنْ كَانَ عاقلاً . ذكر المغيرة بن شُعْبَةَ عمر بن الخطاب
فقال : كان أفضلَ مَنْ أَنْ يُخَدَعَ وأعقلَ مَنْ أَنْ يُخَدَعَ .

حدثني إسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيْشِ بن أنس عن حبيب

ابن الشهيد قال ، قال إياس : لستُ بِحَبٍّ وَالحَبُّ لَا يُخَدَعُنِي وَلَا يُخَدَعُ ابْنُ سِيرِينَ
ويخدعُ أبي ويخدعُ الحسن . قال غيره : وكان كثيراً ما يُنْشَدُ

أَبَايَ الْبَلَاءِ وَإِنِّي أَمْرُو * إذا ما تَثَبَّتْ لَمْ أَرْتَبْ

وفي كتاب كليله ودمنة : الأدب يُذهِبُ عن العاقلِ السكرَ وَيَزِيدُ الأحمقَ سُكْرًا ،
كما أن النهارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصِيرَةٍ بَصْرًا وَيَزِيدُ الخَفَافِيشَ سُوءَ بَصِيرَةٍ . وفيه : ذو العقلِ
لَا تُبْطِرُهُ المنزلةُ والعِزُّ كالجليلِ لَا يَتَرَعَّزُ وَإِنْ أَشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ ، وَالسَّخِيفُ يُبْطِرُهُ
أَدْنَى منزلةٍ كالْحَشِيشِ يُحَرِّكُهُ أضعفُ رِيحٍ ، وقال تَابُطُ شَرًّا فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(١)
ولستُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَنِي * ولا جَارِعٌ مِنْ صَرَفِهِ الْمُتَقَلِّبِ
ولا أَتَمُّ الشَّرِّ وَالشَّرُّ تَارِكِي * ولكن متى أُحْمِلَ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

وفي كتاب كليله : رأسُ العقلِ التَّمْيِيزُ بينَ الكائنِ والممتنعِ ، وحسنُ العِزِّ عَمَّا
لَا يُسْتَطَاعُ . وفيه : العاقلُ يَقِلُّ الكلامَ وَيُبَالِغُ فِي الْعَمَلِ وَيَعْتَرِفُ بَزَلَّةِ عَقْلِهِ وَيَسْتَقْبِلُهَا
كَالرَّجُلِ يَعْتَرُّ بِالْأَرْضِ وَبِهَا يَنْتَعِشُ . ويقالُ : كُلُّ شَيْءٍ مَحْتَاجٌ إِلَى الْعَقْلِ ، وَالْعَقْلُ
مَحْتَاجٌ إِلَى التَّجَارِبِ . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى عَقُولِ الرِّجَالِ : الْكِتَابُ ،
وَالرَّسُولُ ، وَالْهَدْيَةُ . وكان يقال : دَلَّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ اخْتِيَارُهُ ، وَمَا تَمَّ دِينَ أَحَدٍ حَتَّى
يَتِمَّ عَقْلُهُ ، وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ الْهَوَى . سُئِلَ أَنُوشِرْوَانُ : مَا الَّذِي لَا تَعْلَمُ لَهُ ، وَمَا
الَّذِي لَا تَغَيِّرُهُ ، وَمَا الَّذِي لَا مَدْفَعَ لَهُ ، وَمَا الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ . فقال : تَعْلَمُ الْعَقْلُ ، وَتَغَيِّرُهُ
الْعُنْصُرُ ، وَدَفْعُ الْقَدَرِ ، وَحِيلَةُ الْمَوْتِ . وكان يقال : كِتَابُكَ عَقْلُكَ تَضَعُ عَلَيْهِ خَاتَمَكَ .
وقالوا : كِتَابُ الرَّجُلِ مَوْضِعُ عَقْلِهِ ، وَرَسُولُهُ مَوْضِعُ رَأْيِهِ . كان الحسنُ إِذَا أُخْبِرَ
عَنْ رَجُلٍ بِصَلَاحٍ قَالَ : كَيْفَ عَقْلُهُ . وفي الحديث ” أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَتَيْتُكَ بِثَلَاثٍ فَاخْتَرِ وَاحِدَةً ، قَالَ : وَمَا هِيَ يَا جَبْرِيلُ ؟
قَالَ : الْعَقْلُ وَالْحَيَاءُ وَالِدِينُ . قَالَ : قَدْ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ فَخَرَجَ جَبْرِيلُ إِلَى الْحَيَاءِ وَالِدِينِ
فَقَالَ : ارْجِعَا فَقَدْ اخْتَارَ الْعَقْلَ عَلَيْكُمَا ، فَقَالَا : أَمَرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ “

(١) تقدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران في باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة

كان يقال : العقلُ يظهرُ بالمعاملةِ وشيئُ الرجالِ تظهرُ بالولاية . ويقال : العاقل يبقِ ما له بسططانه، ونفسه بماله، ودينه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربت الدنيا . خير رجلٌ فأبى أن يختار وقال : أنا يحطى أوثق منى بعقلي فأقرعوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدثني الزبائدي قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أعجزُ أحدكم أن يكون كأبي ضَمَمَ كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إني قد تصدقتُ بعرضي على عبادك" .

حدثنا زياد بن يحيى قال : حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الغضبَ جمرَةٌ تُوقدُ في جوفِ ابنِ آدمَ ، ألم تروا إلى حُمْرةِ عينيه وانتفاخِ أوداجه" . قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ، قال رجل : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدثني أحمد بن الخليل قال ، حدثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديدُ بالصرعة إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب" . قال : حدثنا حسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا حبيب بن حجر القيسي قال ، كان يقال : ما أحسن الإيمانَ يزيئُه العلمُ وما أحسن العلمَ يزيئُه العملُ وما أحسن العملَ يزيئُه الرفقُ ، وما أضيفَ شيءٌ إلى شيءٍ أزينَ من حلمٍ إلى عِلْمٍ ومن عفوٍ إلى مَقْدَرَةٍ . وكان يقال : من حلمَ ساد ومن تفهمَ ازداد . والعرب تقول : أحلمُ تسُد . وقال : سمي الله يحيى

سيداً بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحِلْمُ يَحْيَا بِحَيَاةِ السُّودِدِ . أغلظَ رجلٌ لمعاوية فحُلمَ عنه ، فقيل له : تحلمُ عن هذا ! فقال : إني لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يُحولُوا بيننا وبين سلطاننا . شتمَ رجلٌ الأحنفَ وألحَّ عليه ، فلما فرغ قال له : يا بنِ أُنحى ، هل لك في الغداء ؟ فانك منذ اليوم تَحْدُو بِجِلِّ تَقَالٍ .

- ٥ . حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المزنيّ قال : جاء رجل فشمّ الأحنفَ فسكتَ عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والهِفَاهُ ! ما يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَرِدَّ عَلَيَّ إِلَّا هَوَانِي عَلَيْهِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن لأيم ، قال : نزلتُ برجلٍ من بني تغلبَ فأَتَانِي بِقِرَى فأنفَلتَ مِنِّي فقال والتَّغْلِيُّ إِذَا تَنَحَّجَ لِلْقِرَى * حَكَ آسَتُهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا ١٠ فانقبضتُ فقال : كُلُّ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّمَا قَلْتَ كَلِمَةً مَقُولَةً .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ ، قال : أسمع رجلاً الشعبيّ كلاماً فقال له الشعبيّ : إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَغْفَرَ اللَّهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَغْفَرَ اللَّهُ لَكَ . ومَرَّ بِقَوْمٍ يَنْتَقِصُونَهُ فَقَالَ هَيْنَأُ مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ * لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا أَسْتَحْلِتُ

- ١٥ . وَاسْتَطَالَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي مُعَاوِيَةَ الْأَسُودِ فَقَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي سُلِّطْتَ بِهِ عَلَيَّ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَوْزَنَ مِنْ حِلْمِي . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَبِي جَهْمِ الْعَدَوِيِّ : أَنَا أَكْبَرُ أَمْ أَنْتَ يَا أَبَا جَهْمِ ؟ قَالَ : لَقَدْ أَكَلْتُ فِي عَرَسِ أُمِّكَ هِنْدٍ ، قَالَ : عِنْدَ أَىِّ أَزْوَاجِهَا ؟ قَالَ : عِنْدَ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ : يَا أَبَا جَهْمِ ، يَا لَكَ وَالسُّلْطَانَ فَانْهَ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ وَيُعَاقِبُ عَقُوبَةَ الْأَسَدِ ، وَإِنْ قَلِيلُهُ يَغْلِبُ كَثِيرَ النَّاسِ . وَأَبُو الْجَهْمِ هَذَا هُوَ الْقَائِلُ فِي مُعَاوِيَةَ

(١) هكذا بالنسخ التي بين أيدينا ، ولعل الصواب "فقلت" . (٢) في النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * إِذَا مِلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَيْدِنَا
نَقْلَبُهُ لِنَخْبِرَ حَالَتِيهِ * فَتَخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا

(١) سَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : حَسْبُكَ إِلَّا ضَعِيفًا
فِيمَا تُحَاوِلُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَلَى ظَنِّكَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِي ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِأَمْرٍ مَا
قِيلَ : احْذَرُوا الْجَوَابَ . جَعَلَ رَجُلٌ جُعْلًا لِرَجُلٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ يَسْأَلُهُ
عَنْ أُمِّهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرٍ تَبَيَّنَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ أَخْبِرْنَا مَنْ أُمُّكَ ،
فَقَالَ : كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ عَتَرَةِ أُصَيْبٍ بِأَطْرَافِ الزَّمَاحِ فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ الْفَاكِهِ بْنِ
الْمَغِيرَةِ فَاشْتَرَاهَا أَبِي فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، انْطَلَقَ وَخَذَ مَا جُعِلَ لَكَ عَلَى هَذَا . قَالَ الشَّاعِرُ
قُلْ مَا بَدَلَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ * حَلَمِي أَصَمٌّ وَأُذُنِي غَيْرُ ضَمَاءٍ

نَظَرَ مَعَاوِيَةَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يَضْرِبُ غُلَامًا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُفْسِدُ أَدَبَكَ بِأَدَبِهِ
فَلَمْ يَرْضَ بِأَدَبِهِ غُلَامًا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : إِنَّكَ لَا تُؤَدِّبُ غُلَامَانِكَ
وَلَا تَضُرُّهُمَا ، قَالَ : هُمُ امْنَاؤُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا فَإِذَا نَحْنُ أَخْفَنَاهُمْ فَكَيْفَ نَأْمَنُهُمْ . وَكَانَ
يُقَالُ : « الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهْلِ » . وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَحْلَمَ مِنْ فَرْخٍ طَائِرٍ .
وَفِي الْإِنْجِيلِ : كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلَهَاءَ كَالْحَمَامِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
إِنِّي لِأَعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا * حَتَّى يَقُولَ رَجُلًا إِنِّي بِمُحَقَّقًا
أَخْتَنِي جَوَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاءَ لَهُ * فَسِيلٌ ، وَظَنُّ أَنَايَسٍ أَنَّهُ صَدَقًا

قَالَ الْأَحْنَفُ : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ وَرُبَّ غِيظٍ قَدْ تَجَرَّعَتْهُ خُفَافَةً
مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ . قَالَ أَكْتُمُ بَنَ صَيْفِي : الْعِزُّ وَالْغَلْبَةُ لِلْعَلَمِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(١) هَكَذَا بِالْأَصُولِ . وَلَعَلَّهُ « لَا أَحْسَبُكَ » . (٢) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ « الْجُود » ، وَفِي الْفَتْوْغَرِافِيَةِ
« الْجَوْلُ » وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ تَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْيَدَانِي .

(٣) بِهَامِشِ النُّسَخَةِ الْفَتْوْغَرِافِيَةِ : الْفَسْلُ مِنَ الْخَيْرِ فِيهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : الرِّذْلُ الَّذِي لَا مَرْوَةَ لَهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي « أَخَاف » وَفِي الْفَتْوْغَرِافِيَةِ « يَخَافُهُ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

عليه السلام : ^{رسم}أَوَّلُ عَوْضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنْ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَهْلُولِ . وقال المنصور : عقوبةُ الحكماءِ التعريضُ ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدثني سهيل قال حدثنا الأصمعي قال : بلغني أن رجلاً قال لآخر : والله لئن قلت واحدةً لتسمعنَّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكك إن قلتَ عشرًا لم تسمع واحدةً . قال : وبلغني أن رجلاً شتم عمر بن ذر فقال له : يا هذا لا تُفِرِّقْ في شتمنا ودع للصالح موضعاً ، فإني أمتُّ مُشائمةَ الرجال صغيراً ولن أحييها كبيراً ، وإني لا أكافئ من عصي الله فيِّ بأكثر من أن أطيع الله فيه . وقال بعض المحدثين

وإِنَّ اللَّهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ * يَقْدِرُ الْحِلْمُ يُتَّقَدُ الْحَلِيمُ
لَقَدْ وَلَّتْ بِدَوْلَتِكَ اللَّيَالِي * وَأَنْتَ مُعَلَّقٌ فِيهَا دَمِيمٌ
وَزَالَتْ لَمْ يَعِشْ فِيهَا كَرِيمٌ * وَلَا آسْتَفْنَى بِثَرَوَتِهَا عَدِيمٌ
فَبُعْدًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَمُحَقَّقًا * فَغَيْرُ مُصَابِكَ الْخَدَثُ الْعَظِيمُ

المدايني قال : كان شبيب بن شيبه يقول : مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا أَنْقَطَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرَهَا يَكْرَهُ ، وَكَانَ يَمْتَلِكُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَيَجْزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمَةٍ * وَيُشْتَمُّ الْفَأَّ بَعْدَهَا ثُمَّ يَصِيرُ

قَاتِلَ الْأُحْنَفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَحْرٍ ، أَيْنَ الْحِلْمُ قَالَ : عِنْدَ الْجُبَى . وقال مسلم بن الوليد

حُبِّي لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَاتِهَا * إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَفُتْ حَلَّهَا ذُحُلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْأُحْنَفَ ، فَوُثِبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا ، فَقِيلَ
لِلْأُحْنَفِ : أَيْنَ الْحِلْمُ الْيَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا بِهِ . كَانَ
يَقَالُ : آفَةُ الْحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجعدي -

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِرٍ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وقال إياس بن قتادة

تُعاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْمُ رَأَيْنَا * وَنَشِيْمُ بِالْأُفْعَالِ لَا بِالتَّكَلِمِ

وَأَنشَدَ الرَّيَاشِيُّ

إِنِّي أَمْرُو يَذُبُّ عَنْ حَرِيْمِي * حِلْمِي وَتَرْكِ اللَّوْمِ لِلتَّيْمِ *
وَالْعِلْمُ أَحْمَى مِنْ يَدِ الظُّلُومِ *

وقال الأحنف : أَصَبْتُ الحِلْمَ أَنْصَرَلِي مِنَ الرِّجَالِ . قال أبو اليقظان : كَانَ المَتَمَشِّمُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَمُّ الأَحْنَفِ يَفْضُلُ فِي حِلْمِهِ عَلَى الأَحْنَفِ قَبْلُ ، فَأَمَرَهُ أَبُو مُوسَى أَنْ يَقْسِمَ خَيْلًا فِي بَنِي تَيْمٍ فَقَسَمَهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَنِي فَرَسًا وَتُؤْتِيَ عَلَيْهِ قَرَشَ وَجْهِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ قَوْمٌ لِيَأْخُذُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي وَإِيَّاهُ ، إِنِّي لَا أُعَانُ عَلَى وَاحِدٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو مُوسَى سَأَلَهُ عَمَّا بَوَّجَهُهُ فَقَالَ : دَعَ هَذَا وَلَكِنْ أَبْنُ عَمِّي سَاخِطٌ فَأَحْلِهِ عَلَى فَرَسٍ ، فَفَعَلَ .

قِيلَ لِلأَحْنَفِ : مَا أَحْلَمَكَ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ المِنْقَرِيِّ ، بَيْنَا هُوَ قَاعِدٌ يَفْنَانُهُ مُحْتَبٍ بِكِسَائِهِ ، أَتَتْهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ مَقْتُولٌ وَمَكْتُوفٌ وَقِيلَ لَهُ : هَذَا أَبْنُكَ قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيكَ ، فَوَاللَّهِ مَا حَلَّ حُبُّوتُهُ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى ابْنِ لَهُ فِي المَجْلِسِ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ فَأُطْلِقْ عَنْ ابْنِ عَمِّكَ وَوَارِ أَخَاكَ وَأَحْلِلْ إِلَى أُمِّهِ مَائَةً مِنَ الإِبِلِ فَإِنَّهَا غَرِيْبَةٌ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ

إِنِّي أَمْرُو لَا سَائِنٌ حَسْبِي * دَنَسٌ يُغَيِّرُهُ وَلَا أَفْنٌ
مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ * وَالْغُصْنُ يَنْبِتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهُ «وَالْحِلْمُ» . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ «عَرَبِيَّةٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّحْوِيلُ عَنْ

العقد الفريد . (٣) رَوَاهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ :

إِنِّي أَمْرُو لَا يَطْلِي حَسْبِي * دَنَسٌ يَهْجُهُ وَلَا أَفْنٌ

خُطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ * يَبِضُّ الْوَجُوهَ، أَعْفَى لُسُنُ
لَا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ * وَهُمْ لِحَفِظِ جَوَارِهِ فُطُنُ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ ، وَأَقْلَلْتَ عَدَدَكَ ،
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ غُيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطَّيِّب ، إسلامي

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَهَا
نَحْيَةً مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُهُ هَلَكُ وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بَيْنَ قَوْمٍ تَهْدَمًا

وقال الأحنف : لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحلم كما نختلف إلى الفقهاء
في الفقه . شتم رجل الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف : يا هذا
إن كان بقي في نفسك شيء فهاتيه وأنصرف لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره .
شتم رجل الحسن وأرأى عليه ، فقال له : أما أنت فما أقيت شيئاً ، وما يعلم الله أكثر .
قال بعض الشعراء

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُّوا * حَتَّى يَذِلُّوا - وَإِنْ عَزَّوْا - لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمْرَأُ قَتْرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً * لَا صَفْحَ دُلَّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامِ

قال [حدثني] أبو حاتم عن الأصمعي قال : لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عيينة قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِسَيْمٍ أَوْ قَوْلٍ سَيِّئٍ لَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ : إِنِّي أَتْرُكُكَ رَفْعًا لِنَفْسِي عَنْكَ ، بِغَيْرِ
بَيْنَةٍ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : خَفَضَ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرُكُكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَتْرِكُهُ لِهَذَا النَّاسِ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال رجل : لِمَثَلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفُحْشَ عَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ الْفُحْشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أنت له قبل اليوم . وأغلظ عبدٌ لسيده، فقال : إني أصبر لهذا الغلام على ما ترون
لأروض نفسي بذلك ، فإذا صبرتُ للملوك على المكروه كانت لغير الملوك أصبر .
كلم عمر بن عبد العزيز رجلا من بني أمية وقد ولدته نساء بني مرة فعاب عليه جفاء
رأه منه، فقال : قبح الله شَبهاً [غلب] عليك من بني مرة، وبلغ ذلك عَقِيلَ بن عُلَقَة
المُرِّي وهو بجَنَفَاء من المدينة على أميال في بلد بني مرة ، فركب حتى قَدِم على عمر
وهو بذير سمعان، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغني أنك غضبت على قتي من بني
أبيك، فقلت : قبح الله شَبهاً غلب عليك من بني مرة، وإني أقول : قبح الله الأُمَ
طرفيه، فقال عمر : دَعْ ويحك هذا وهات حاجتك . فقال : والله مالى حاجة غير
حاجته، وولَّى راجعا من حيث جاء، فقال عمر : ياسبحان الله ! من رأى مثل هذا
الشيخ؟ جاء من جنفاء ليس إلا يَشْتِمُنَا ثم أنصرف ! فقال له رجل من بني مرة : إنه
والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله الأُم طرفيه .

المدائني قال : لما عزل الحجاج أمية بن عبد الله عن خراسان أمر رجلا من بني
تميم فعابه بخراسان وشنع عليه ، فلما قفل لقيه التميمي فقال : أصلح الله الأمير
لا تلمني فإني كنت مأمورا، فقال : يا أخا بني تميم أوحَدْتُكَ نفسك أني وجَدْتُ
عليك؟ قال : قد ظننتُ ذاك، قال : إن لنفسك عندك قَدْرًا ! . كان يقال : طيروا
دماء الشباب في وجوههم . ويقال : الغضب غُولُ الحلم . ويقال : القدرة تُذهِبُ
الحَفِظَةَ . وكتب كسرى أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس : إن كلمة منك
تَسِفُك دما، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِن دما ، وإن سَخَطَكَ سيوفُك مسلوطةً على
من سَخِطْتَ عليه، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رَضِيت عنه، وإن نَفَاذَ

(١) زيادة في العقد الفريد .

(٢) رسم في النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل الناسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيه السياق .

(٣) لعله «وإن سخطك سيوف مسلوطة الخ» بالتكثير ليتناسب في السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لوك أن يتغير ومن جسدك أن يخف، وإن الملوك تُدأقب قدرة وحزما، وتعفو تفضلا وحلما، ولا ينبغي للقادر أن يستخف ولا للحليم أن يزهو، وإذا رضى فابلق بمن رضى عنه يحرض من سواه على رضاك، وإذا سخط فضع من سخط عليه يهرب من سواه من سخطك، وإذا عاقبت فأنهك^(١) لئلا يتعرض لعقوبتك، وأعلم أنك تجل عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تقدّر لرضاك من الثواب. قال محمد بن وهيب

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إني * إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فإنى مقوم * ومن رام تعويمى فإنى معوج
وما كنت أرضى الجهل خذنا وصاحبنا * ولكننى أرضى به حين أخرج
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الأسنة مخرج
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا، والذل بالحر أتمج

وقال ابن المقفع : لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا يخجل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يتحقد لأن خطره قد جلّ عن المجازاة. قال سويد بن الصامت^(٢)

إنى إذا ما الأمر بين شكك * وبدت بصائر لمن يتأمل
أدع التى هى أرفق الحالات بى * عند الحفيظة التى هى أجمل

أتى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه، فقال : لولا أنى غضبان لعاقبتك، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه،

(١) نهك السلطان : بالغ فى العقوبة. (٢) فى الأغاني ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام.

كراهة أن يعجل عليه في أول غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردت أن يستغفرني الشيطان بعز السلطان فأنا لك منك اليوم ما تناله متى غدا ، انصرف رحمك الله . قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يُخرجه رضاء إلى الباطل ، وإذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبت ، فزل مغضبا فدخل منزله ، ثم خرج عليهم تقطر لحيته ماء ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطفيه بالماء ، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته . وفي الحديث المرفوع : «إذا غضب أحدكم فإن كان قائما فليقعده وإن كان قاعدا فليضطجع» . وقال الشاعر

احذر مغايظ أقوام ذوى أنف * إن المغيظ جهول السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أشفى غيظي ؟ أحين أقدر فيقال لي : لو عفوت ، أو حين أعجز فيقال لي : لو صبرت ؟ . والعرب تقول : «إن الرئيثة ^(١) مما يفتأ الغضب» والرئيثة اللبن الحامض يُصب عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولي سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كور البصرة والأبلة ، فورد كتاب مولاه أن ساما ضربه بالسياط ، فاستشاط المنصور وقال : على تجرأ سلم ! لأجعلنه نكالا ، فقال ابن عياش — وكان جريئا عليه — يا أمير المؤمنين ، إن سلما لم يضرب مولاك بقوته ولا قوة أبيه ، ولكك قلده سيفك وأصعدته منبرك ، فأراد مولاك أن يطأطئ منه مارفعت ويفسد ما صنعت ، فلم يحتمل ذلك ، يا أمير المؤمنين

(١) في الأصل «الرينة» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، وهو مثل . ونصه كما في اللسان وجمع الأمثال للبدائي «ان الرئيثة تفتأ الغضب» وفتأ الغضب سكه وكسر حذته .

إِنْ غَضِبَ الْعَرَبِيَّ فِي رَأْسِهِ فَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَهْدَأْ حَتَّى يُخْرِجَهُ بِلِسَانِ أَوَيْدٍ، وَإِنْ غَضِبَ النَّبْطِيُّ فِي آسَتِهِ فَإِذَا غَضِبَ [و] تَحَرَّى ذَهَبَ غَضْبِهِ، فَضَحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ :
فَعَلَ اللَّهُ بِكَ يَا مَمْتُوفٌ وَفَعَلَ، فَكَفَّ عَنْ سَلِيمٍ .

كَانَ يَقَالُ : إِيَّاكَ وَعِزَّةَ الْغَضَبِ فَإِنَّهَا مُصِيرَتُكَ إِلَى ذَلِّ الْعِزَارِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ * كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ فَوَقَعَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ
فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَهْمَمْتُ بِهِ ، فَقَالَ : لَعَلَّ الَّذِي غَضِبْتَ لَهُ لَوْ سَمِعَهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

باب العز والذل والهيبة

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ السَّكَنِ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
لِيزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ : فِيمَنْ الْعِزُّ بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ : فِينَا وَفِي حُلَفَائِنَا مِنْ رِبِيعَةٍ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِزُّ فِيمَنْ تُحُولَفُ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَتْ قُرَيْبَةُ : إِذَا كُنْتُ فِي خَيْرِ قَوْمِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الذَّلَّةِ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لِشَيْخٍ مِنْهُمْ : عَلَّمَنِي الْحِلْمَ ، قَالَ : هُوَ يَا بَنَ أَخِي الذَّلُّ ، أَتَنْصَبِرُ عَلَيْهِ ؟ . وَقَالَ
الْأَحْنَفُ : مَا يَسُرُّنِي بِنَصِيْبِي مِنَ الذَّلِّ حُرُّ النَّعَمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنْتَ أَعَزُّ
الْعَرَبِ ، فَقَالَ : إِنْ النَّاسَ يَرَوْنَ الْحِلْمَ ذَلًّا ، فَقُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ أَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَ تَحْطِمُ دَوْحَ الشَّجَرِ وَمُشِيدَ الْبَنِيَانِ وَيَسْلِمُ
عَلَيْهَا ضَعِيفُ النَّبْتِ لِلِيْنِهِ وَتَثْنِيهِ . وَيَقَالُ فِي الْمَثَلِ : «تَطَاطَأُ لَهَا تُخْطِئُكَ» . وَقَالَ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ حِينَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ مُغْضِبًا : مَا أَحَبُّ أَحَدَ قَطُّ
الْحَيَاةَ إِلَّا ذَلًّا ، وَتَمَثَّلَ

شَرُّهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ * كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ خَرَّ الْجَلَادُ

منخرقُ الحُقَيْنِ يشكو الوَجَى * تنكبه أطرافُ مَرٍ وحَدَادٍ
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه * والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)
ولا يُقيم بدار الذلَّ يعرفها * إلا الحمارُ حمارُ الأهل والوتدُ

وقال الزبير بن عبد المطلب

ولا أُقيم بدار لا أشدُّ بها * صوتي إذا ما أعتزني سورة الغضب

وقال آخر

إذا كنت في قومٍ عداست منهم * فكلُّ ما علفت من خبيث وطيب

وقال العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلمٍ رسولا نصيحة * فإن معشرُ جادوا بعرضك فابخل
وإن بؤءوك متزلا غير طائل * غليظا فلا تنزل به وتحول
ولا تطعن ما يعلفونك منهم * أتوك على قربانهم بالتمل
أراك إذ ذن قد صرت للقوم ناضحا * يقال له بالغرب أذير وأقبل

وقال آخر

فأبلغ لديك بني مالك * على نايها وسرة الباب
بأن أمرا أتم حوله * تحفون قُبته بالقياب
يُهينُ سراتكمُ عامدا * ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلًا أملحت^(٢) * لقد نزعَت للبياه العذاب
ولكنكم غمُّ تصطفى * ويترك سائرُها للذئاب

(١) ناقة أجد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر، خاص بالأناث . قاموس .

(٢) يقال : أملحت الإبل أي وردت ماء ملحا وفي الأصل أملجت بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر

تالله لولا أنكسار الرمح قد علموا * ما وجدوني ذليلا كالذي أجد
قد يُحطَّم الفحلُ قسراً بعد عزته * وقد يُردّ على مكروهه الأمد

وقال بعض العبدین

٥ ألا أبلغا خُطِّي راشداً * وصنوي قديما إذا ما اتصل
بأن الدقيق يهيجُ الجليل * وأن العزيز إذا شاء ذلّ
وأن الحزامة أن تصرّفوا * حتى سوانا صدور الأسل
فان كنت سيدنا سُدتنا * وإن كنت للخال فاذهب نخل

وقال البعِث

١٠ ولو تُرمى بلؤم بني كليب * نجوم الليل ما وُصحت لِساري
ولو ليس النهار بنو كليب * لدنس لؤمهم وُصَح النهار
وما يغدو عزيرُ بني كليب * ليطلب حاجة إلا يجار

جاور ابنُ سيّابة مولى بني أسد قوماً فازعجوه، فقال لهم : لم تُزعجونني من جواركم؟
فقالوا : أنت مُريب، فقال : فن أدلّ من مريب ولا أحسنُ جواراً . أبو عبيدة
١٥ عن عوانة قال : إذا كنت من مُضر ففاخر بكثانة وكثير بئيم وألق بقيس، وإذا كنت
من قحطان فكثير بقضاء وفاخر بمدحج وألق بكلب، وإذا كنت من ربيعة ففاخر
بشبيان وألق بشبيان وكثير بشبيان . كان يقال : من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا
سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : من
السيدُ عندهم ؟ قال : الذي إذا أقبل هبناه وإذا أدبر آغبتناه . ونحوه قول مسلم
٢٠ وكم من مُعدٍّ في الضمير لي الأذى * رآني فآلني الرعبُ ما كان أضمر

وقال أيضا

يا أيها الشامي عِرْضِي مُسَارَقَةٌ * أعلن به، أنت إن أعلته الرجلُ

ومن أحسن ما قيل في الهية

في كفه خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهَا عَيْقُ * من كَفَّ أَرْوَعَ فِي عِرْزَيْنِهِ شَمُّ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ * فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ

وقال ابن هرمة في المنصور

لَهُ مَلَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافٍ سَرِيرِهِ * إِذَا كَتَرَهَا فِيهَا عَقَابٌ وَنَائِلُ
فَاتِمٌ الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى * وَأُمٌّ الَّذِي أَوْعَدَتْ بِالْثُكُلِ نَاكِلُ
كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانٌ وَجْهٌ لَدَى الرِّضَا * أَسِيلٌ، وَوَجْهٌ فِي الْكَرِيمَةِ بَاسِلُ
وَلَيْسَ بِمُعْطَى الْعَفْوِ عَنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ * وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّتْهُ الْمَقَائِلُ

وقال آخر في العفو بعد القدرة

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * مَا إِنْ يَلِينُ وَلَا يَهُونُ
فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فَهَنَّاكَ أَحْلَمُ مَا يَكُونُ

وقال آخر في مالك بن أنس

يَا بِي الْجَوَابِ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسَ الْأَذْقَابِ
هَذِي الثَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ الثَّقَى * فَهُوَ الْمَطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقال آخر

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يُزِيدَ رَأْيَتَهُمْ * خُضِعَ الرِّقَابُ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

وقال أبو نواس

أَضْمُرُ فِي الْقَلْبِ عَنَابًا لَهُ * فَإِنْ بَدَأَ تُنْسِيْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ

أمدائني قال : قال ابن شبرمة القاضي لابنه : يا بني لا تُمكن الناس من نفسك ،
فإن أجزأ الناس على السباع أكثرهم لها معاينة . قيل لأعرابي : كيف تقول :
استخذأت أو استخذيت ؟ قال : لا أقوله ، قيل : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى .
وكان يقال : اصفح أو أذبج .

(١) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَذِي الْوَقَارِ .

باب المروءة

في الحديث المرفوع : قام رجل من مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
 يا رسول الله ، ألسنتُ أفضل قومي؟ فقال : «إن كان لك عقل فلك فضل ، وإن كان
 لك خلُق فلك مروءة ، وإن كان لك مال فلك حسَب ، وإن كان لك تُقى فلك
 دين» وفيه أيضا « إن الله يُحبُّ معالي الأمور ويكره سَفَسَافَها » . روى كثير بن هشام
 عن الحكم بن هشام الثَّقَفِيُّ قال : سمعت عبد الملك بن عُحمير يقول : إن من مروءة
 الرجل جلوسه ببابه . قال الحسن : لا دين إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة : ما المروءة؟
 قال : إصلاح المال ، والزَّانَةُ في المجلس ، والغداء والعشاء بالفناء . قال ابراهيم :
 ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشى . ويقال : سرعة المشى
 تذهب بهاء المؤمن .

١٠

قال معاوية : المروءة ترك اللذة . وقال عمرو : ما ألدُّ الأشياء ؟ فقال عمرو : مُرُ
 أحداث قريش أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد
 عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَرَوْا الذَّوِي الْمُرُوَاتِ عَنْ عَثَرَاتِهِمْ ،
 فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد الله» . كان عروة بن الزبير يقول
 لولده : يا بني ألعبوا ، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف : ما المروءة؟
 فقال : العِفَّةُ والحِرْفَةُ . قال محمد بن عمران التيمي : ما شيء أشدَّ حملا على من المروءة ،
 قيل : وأى شيء المروءة؟ قال : لا تعمل شيئا في السرِّ تستحى منه في العلانية .
 وقال زهير في نحو هذا

١٥

السُّرْدُونُ الفاحشات ، ولا * يلقاك دون الخير من سِرِّ

٢٠

(١) كذا في الأصول ، وفي العقد الفريد «تجاوزوا» .
 (٢) في الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فَسِرِّي كَاعِلَانِي ، وَتَلَكَ خَلِيقَتِي * وَظَلَمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِي

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة ، وتعلموا النسب فرب رَجِمَ مجهولة قد وُصِلَتْ بنسبها . قال الأصمعي : ثلاثة تحكّم لهم بالمروءة حتى يعرفوا : رجل رأيتَه راجباً ، أو سمعته يُعَرِّبُ ، أو شَمِمَتْ منه رائحة طيبة . وثلاثة تحكّم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شَمِمَتْ منه رائحة نبذ في محفل ، أو سمعته يتكلم في مصير عربي بالفارسية ، أو رأيتَه على ظهر الطريق ينازع في القدر . قال ميمون : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التودد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسَبُ نفسه لم ينفعه حسَبُ أبيه . قال مسleme بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان : الرياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة . قالوا : كان الرجل إذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره . وقال بعض الشعراء

نَوْمُ الْغَدَاةِ وَشُرْبُ الْعِشِيَّاتِ * مَوَكَّلَانِ بِتَهْدِيمِ الْمَرْوَاتِ

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس ، قال : كُلُّ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ إِذَا مَا أَخْطَاكَ شَيْئَانِ : سَرَفٌ أَوْ خَيْلَةٌ .

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مُصْعَب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت مِلْحَفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِهِ مُوزَنَةً ^(١) حَتَّى إِذَا لَتَرَدَعُ ^(٢) عَلَى جِلْدِهِ .

(١) مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر باليمن . وفي الأصول : "موزنة" بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) تنفض صفيها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع ^(١) عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إزارا فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزيادة قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن ابن عباس ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأديم . نظر معاوية ^(١) إلى النّخار العذريّ المناسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال سحيم بن وثيل
ألا ليس زين الرجل قطعاً يُمزق * ولكن زين الرجل يامى راكبة

وقال آخر

١٠ إياك أن تزدرى الرجال فما * يدريك ماذا يَكُنْهُ الصّدْفُ
نفسُ الجواد العتيق باقية * يوماً وإن مس جسمه العَجْفُ
والحر حر وإن ألم به الضّر وفيه العَفافُ والأَنفُ

وقال آخر من المحدثين

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا * لَا تَعَجَّيْ قَدْ يَلُوحُ الْفَجْرُ فِي السَّدْفِ
١٥ وزادها عَجَباً أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ * وَمَا دَرْتُ دُرٌّ أَنْ الدَّرُّ فِي الصَّدْفِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى برئسا من عمر بن أنس بن سيرين فتر على معاذة العدوية ، فقالت : أمثلك يلبس هذا ! قال : فذكرت ذلك لابن سيرين فقال : ألا أخبرتها أن تميا الداري اشترى حلة بألف يصلّى فيها .

(١) كذا في النسختين .

(٢) في الاصل : ألا أخبركم . والتصويب عن العقد الفريد . ج ٣ ص ٣٤٨

حدَّثني أحمد بن الخليل قال حدثنا مُصعبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران: رداءً وعمامةً.

حدَّثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيباني قال: رأيتُ محمدَ ابن الحنفية واقفا بعرفات على رُذونٍ عليه مُطَرَفٌ خَزْأَصْفَرُ.

حدَّثني الرِّياشي عن الأصمعي عن حَفْص بن الفَرَّافِصَةِ ^(١) قال: أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيق بن ثور فمن دونه وآيتهم في بيوتهم الحفَّافُ والعِيسَةُ فإذا قعدوا بأفئتهم لَبَسُوا الأكسيةَ وإذا أتوا السلطانَ ركبوا ولبسوا المَطَارِفَ.

قدِمَ حمَّادُ بن أبي سليمان البصرة بخاء فرقدَ السَّبْخِيَّ وعليه ثيابُ صوف فقال حماد: ضَعْ نصرانيتك هذه عنك، فلقد رأيتُنا ننتظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليه مُعَصْفَرَةٌ ونحن نرى أن المِيتَةَ قد حلت له.

وروى زيد بن الحُبَّاب عن الثَّوْرِيِّ عن ابن جُرَيْجٍ عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً بألفٍ. قال معمر: رأيت قميصَ أيوبَ يكاد يمسُّ الأرض، فكلمته في ذلك فقال: إن الشهرةَ فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تسميره.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال: جاء سيَّارُ أبو الحَكَمِ إلى مالك بن دينار في ثيابٍ اشتهرها مالكُ ^(٢)، فقال له مالك: ماهذه الشهرةُ؟ فقال له سيَّار: أتضعني عندك أم ترفعني؟ قال: بل تضعك، قال: أراك تهنأني عن التواضع، فقتل مالك فقعد بين يديه.

(١) في لسان العرب: كل ما في العرب فراصة بضم الفاء الا فراصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله فانه يفتح الفاء لا غير. (٢) اشتهرها: شنع بها.

قال أبو يعقوب الخريزمي : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فندفع إلى خادم كيسا فيه ألف دينار وقال : إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعي وسيحدثني ويضحكني فإذا ضحكك فضع الكيس بين يديه ، فلما رجع ودخل عليه رأى حبا مكسورا الرأس وجرّة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة أعشارا وراه على مصلى بال وعليه بركان^(٢) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأصمعي شيئا مما يضحك النكّلان إلا أوردته عليه فما تبسم وخرج ، فقال لرجل كان يسأره : "مَنْ أَسْرَعَى الذَّبَّ ظَلَمَ" ومن زرع سبخة حصد الفقر ، فإني والله لو علمت أن هذا يكتُم المعروف بالفعل لما خفّلت نشره له باللسان ، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغنى ، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب . والله در نصيب حيث يقول

١٠

فما جؤا فاثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

ثم قال له : أعلمت أن ناووس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان . قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : رأيت مشيخة بالمدينة في زى الفتيان لهم الغدائر وعليهم للمورد والمقصّر وفي أيديهم المخاصر وبها أثر الحناء ، ودين أحدهم أبعدهم الثريا إذا أريد دينه . ذمّ ابن التوهم رجلا فقال : رأيته مشحما النعل درن الجورب مفضن الخلف دقيق الخزامة . أنشد ابن الأعرابي

١٥

فإن كنت قد أعطيت خزا تجره * تبدلته من فروة وإهاب

فلا تأيسن أن تملك الناس إتنى * أرى أمة قد أدبرت لذهاب

قال أيوب يقول الثوب : أطوني أجلك . هشام بن عروة عن أبيه قال ، يقول

المال : أرني صاحبي أعمّر ، ويقول الثوب : أشكر مني داخلا أكرمك خارجا .

٢٠

(٢) كساء أسود .

(١) في اللسان وغيره : الحب الخافية فارسي معرب .

ويقال: لكل شيء راحة، فراحة البيت كنسه، وراحة الثوب طيه. قيل لأعرابي: إنك تكثير لبس العمامة، فقال: إن عظمًا فيه السمع والبصر لجديرًا أن يكن من الخبز والقُسر. ويقال: حبي العرب حيطانها، وعمائمها تيجانها. وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جنة في الحرب، ومكنة في الخبز والقُسر، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدهن يُذهب البؤس، والكسوة تُظهر الغنى، والإحسان إلى الخادم مما يَكِبُّ الله به العدو.

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال: سمعت أعرابيا يقول: لقد رأيت بالبصرة برودا كأنما نصحت^(١) بأنوار الربيع وهي تزوع، واللابسوها أروع. قال يحيى بن خالد للعتابي في لباسه - وكان لا يُبالي ما ليس - يا أبا علي أعزى الله أمرأ رضى أن يرفعه هيئته من جماله وماله، فإنما ذلك حظ الأذنياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: همته ونفسه، وأصغراه: قلبه ولسانه. وفي الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه". قال حبيب بن أبي ثابت: أن تعز في خصفة خير لك من أن تدل في مطرف، وما أقرضت من أحد خير من أن أقرض من نفسي. قال عمرو بن معديكرب

ليس أجمال بمسّر * فأعلم وإن رديت بردا

إن أجمال معادن * وموارث أورث مجدا

وقال ابن هرمة

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال إذا هم نطقوا

إن جلسوا لم تضيئ مجالسهم * أوركبوا ضاق عنهم الأفق

(١) نصح الثوب: خاطه.

كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَخٍ وَذِي ثِقَةٍ * عَنْ مَنْكِيبِهِ الْقَمْبِصُ مُنْخَرِقُ
تَجْهِمَ عُوْذَ النِّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْمَرَتْ تَحْتَ الْقَوَانِيسِ الْحَدَقُ
فَرِيحُهُمْ عِنْدَ ذَاكَ أُنْدَى مِنْ أَلْمَسِ * وَفِيهِمْ نَحَاطِيطُ وَرَقُ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبي سعد الخزرجي الشاعر
كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد ، هذا خير ؟ فقال : لا ، ولكنه
دَعِيَ عَلَى دَعِيٍّ ، وكان أبو سعد دعيا في بني مخزوم ، وفيه يقول أبو البرق

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ * شَرِيفٌ يَا أَبَا سَعْدِ
فِيهِ مَا شِئْتَ إِذْ كُنْتَ * بِلَا أَصْلٍ وَلَا جَدٍّ
وَإِذْ حَظُّكَ فِي النَّسَبِ * بَيْنَ الْحَرِّ وَالْعَبْدِ
وَإِذْ قَاذُفُكَ الْمُفْحِشُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني ؟ قال :
أحسن طاعة ، قال : فَأَطِئْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أَطِيعُكَ ، خذ من شاربك حتى تبدو
شَفَتَاكَ ، ومن ثوبك حتى يبدو عَقْبَاكَ . وكيع قال : راح الأعمش إلى الجمعة وقد
قَلَبَ فُرُوءَ جِلْدِهَا عَلَى جِلْدِهِ وَصَوَّفُهَا إِلَى خَارِجٍ ، وَعَلَى كَتِفَيْهِ مَنَدِيلُ الْحَوَانِ مَكَانَ
الرِّدَاءِ . قال حدثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حُصَيْن قال : رأيت
الشَّعْبِيَّ يَقْضِي عَلَى جِلْدِهِ . قال الأحنف : أَسْتَجِيدُوا النَّعَالَ فَانْهَاجُوا خِلَافَ الرِّجَالِ .
أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسْلِمٍ فِي مَذْرَعَةٍ
صَوْفٍ فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى لُبْسِ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ ، فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ : أَكَلَمَكَ
فَلَا تَجِيبُنِي ! قَالَ : أُرَاكَ أَنْ أَقُولَ زَهْدًا فَأَرْكَبَكَ نَفْسِي ، أَوْ أَقُولَ فَقْرًا فَأَشْكُرَكَ .

قال ابن السَّكَّ لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسكم هذا موافقا لسرايركم لقد أحببت أن يطَّلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أطمار عليه

فما أنا إلا السَّيفُ يأكل جفنه * له حليَّةٌ من نفسه وهو عاطِلٌ

التَّخْتُمُ

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى الحَسَّاني قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه .

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو خَلْدَةَ خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كان نقشُ خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : "صَدَقَ اللهُ" قال : فألحق الخلفاء بعد صدق الله "محمد رسول [الله]"^(١) .

قال أبو الخطاب حدثنا عَتَابٌ قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أوثق في خاتمه خيطا . حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من وِريقِ نقشه "نِعَمَ الْقَادِرُ اللهُ" . كان على خاتم علي بن الحسين بن علي "عَلِمْتَ فَأَعْمَلْ" . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي "تبارك من"

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من النسخ . ويؤيده ما في "شرح المواهب اللدنية" للزرقاني في رواية ابن سعد عن أبي العالية : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد في شيوخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آقا . وقد جاءت الرواية عنه في أول سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبي عتاب .

نَحَرِي بِأَنِّي لَهُ عَبْدٌ“ وَنَقَشَ خَاتَمُ شَرِيحٍ ”الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ“. وَنَقَشَ خَاتَمُ طَاهِرٍ
 ”وَضَعُ الْخَدَّ لِلْحَقِّ عِزٌّ“. وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ : أَحَدُهُمَا عَقِيقٌ مَرْبَعٌ وَعَلَيْهِ
 تَعَاظَمَنِي ذَنبِي فَلَمَّا عَدَّئُهُ * بَعْفُوكَ رَبِّي كَانَ عَفْوَكَ أَعْظَمًا
 وَالْآخَرُ حَدِيدٌ صِينِيٌّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : ”الْحَسَنُ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا“
 فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقْلَعَ الْفُصُّ وَيُغْسَلَ وَيُجْعَلَ فِي فَمِهِ .

بَابُ الطَّيِّبِ

- قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ
 أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَيْرُ طَيِّبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ
 رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَخَيْرُ طَيِّبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» .
- ١٠ حَدَّثَنَا الْقُطَيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا بِشْرٌ عَنْ أَبِي هَلِيعَةَ قَالَ حَدَّثَنِي بُكَيْرٌ عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ أَبْنَ
 عَمْرٍو كَانَ يَسْتَجْمِرُ بَعُودٍ غَيْرِ مُطَرَّى وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ وَيَقُولُ : هَكَذَا كَانَ رَسُولُ
 اللَّهِ يَسْتَجْمِرُ .
- قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ يُونُسَ ، قَالَ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ :
 كَانَ أَبُو نَضْرَةَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ جِيرَانَهُ ذَلِكَ بِطَيِّبِ رِيحِهِ .
- ١٥ حَدَّثَنِي الْقُومَسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ عَنْ شَقِيقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ قَالَ أَبُو الضَّحَى :
 رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ أَبِي الزَّيْرِ مِنَ الْمَسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي كَانَ رَأْسَ مَالٍ .
- قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيبَةَ وَأَبُو دَاوُدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْهَاشِمِيِّ
 عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ أَبْنَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْغَالِيَةُ عَلَى صَلَاحَتِهَا كَأَنَّهَا الرَّبُّ .
- قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْنٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ
 مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانٍ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْخُلُوقِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .
- ٢٠

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن عُمارة بن غَزِيَّة قال :
لما أولم عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة
الغالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْحِمْلِ » .

قال حدثني زيد بن أنزَم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِصِ الطَّيِّبِ
فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال
[قال] عكرمة : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَطْلِي جَسَدَهُ بِالْمَسْكِ فَإِذَا مَرَّ بِالطَّرِيقِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
(٢)

أَمَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أُمَّ مَرِّ الْمَسْكُ ؟ . قال المُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ يمدح بني شيبان

تَبَيَّتِ الْمَلُوكُ عَلَى عَتَبِهَا * وَشِيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تَعْتَبُ
وَكَلَّ شَهْدُ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ * وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهُمَا أَعْدَبُ
وَكَلَّ مَسْكُ تَرْبُ مَقَامَاتِهِمْ * وَتَرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وَأَنْتِ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَا * بَ صَارَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيْبَا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

الْمَطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزْمَتْ أَزْمَتُ * وَالطَّيِّبُونَ شِيْبًا بِأَكْثَرِ قُورَا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفتيوغرافية فالنقل فيها

محذوف صهوا .

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابي

خَوْدٌ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمْسُهُ * مِنْ طَيْبِهَا عَيْقًا يَطِيبُ وَيَكْثُرُ
شَكَرَ الْكَرَامَةَ جِلْدُهَا فَصَفَا لَهَا * إِنَّ الْقَبِيحَةَ جِلْدُهَا لَا يَشْكُرُ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ذُكِرَ لأَيُّوبَ هؤلاء الذين يَتَقَشَّفُونَ فقال :
ما علمتُ أن القدرَ من الدين .

باب المجالس والجلساء والمحادثة

قال حدثني أحمد بن الخليل عن حبان بن موسى قال حدثنا ابن المبارك عن معمر
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الرجلُ أحقُّ بمجلسه إذا قام لحاجةٍ ثم رجع» .

وحدثني أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المسيب بن رافع عن
عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الله بن الغسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«المرءُ أحقُّ بصدرِ بيته وصدرِ دابته وصدرِ فراشه ، وأحقُّ أن يؤمَّ في بيته» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر
محمد بن علي قال : أُلقيَ لعلَى وسادةٌ فجلس عليها وقال : إنه لا يأبى الكرامة إلا حمارٌ .
وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ
الجلسِ الصالحِ مَثَلُ الدَّارِيِّ إن لم يُحَذِّكْ من طيبه عَلِقَكَ من ريجِه ، ومَثَلُ المجلسِ
السوءِ مَثَلُ الكِيرِ إن لم يُحْرِقْكَ بِشَرَارِ نارِه عَلِقَكَ من نَتْنِه» . قال أبو إدريس الخولاني :

(١) في النسخة الألمانية : الغليل وفي الفتوغرافية : الليل ، وكلاهما محرف عن «القليل» اذ هو الذي

يقتضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أَطْيَبُ الْمَجَالِسِ مَا سَافَرَ فِيهِ الْبَصْرُ وَأَتَدَعُ^(١)
فِيهِ الْبَدَنُ ، فَأَخَذَهُ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ فَقَالَ
صُحُونُ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ * وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خَيْرُ الْمَجَالِسِ مَا بَعْدَ فِيهِ مَدَى الطَّرْفِ وَكَثُرَتْ فِيهِ فَائِدَةُ الْجَلِيسِ .
قِيلَ لِلأَوْسِيِّ : لَيْ مُنْظَرٍ أَحْسَنُ ؟ فَقَالَتْ : قَصُورٌ يَبِضُّ فِي حَدَائِقِ خُضِرٍ . وَنَحْوُهُ
قول عدي بن زيد

كُدِّمِي الْعَاجَ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَالنَّيَّيْضِ فِي التَّرُوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ

حدثنا سهل بن محمد قل حدثنا الأصمعيّ قال : كَانَ الْأَحْنَفُ إِذَا أَنَاهُ إِنْسَانٌ
أَوْسَعَ لَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَوْضِعًا تَحْرَكَ لِيُرِيَهُ أَنَّهُ يُوسِعُ لَهُ . وَكَانَ آخِرَ لَا يُوسِعُ لِأَحَدٍ
وَيَقُولُ "ثَلَاثُ ذَوِ الْهَضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ"^(٢) .

قال ابن عباس : لَجَلِيسِي عَلَى ثَلَاثٍ : أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ ، وَأَنْ أَوْسِعَ
لَهُ إِذَا جَلَسَ ، وَأُضْغِي إِلَيْهِ إِذَا تَحَدَّثَ . وَقَالَ الْأَحْنَفُ : مَا جَلَسْتُ مُجَلِّسًا خَفْتُ أَنْ
أُقَامَ عَنْهُ لَغَيْرِي . وَكَانَ يَقُولُ : لِأَنَّ أَدْعَى مِنْ بَعِيدٍ فَأُجِيبَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أُقْصَى مِنْ قَرِيبٍ .

كَانَ الْقَعْقَاعُ بْنُ شَوْرٍ إِذَا جَالَسَهُ رَجُلٌ فَعَرَفَهُ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ جَعَلَ لَهُ نَصِييَا فِي مَالِهِ ،
وَأَعَانَهُ عَلَى عَدْوِهِ ، وَشَفَعَ لَهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَغَدَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَجَالَسَةِ شَاكِرًا . وَقَسَمَ مَعَاوِيَةَ
يَوْمًا أَنِّيَّةَ فَضِيَّةٍ وَدَفَعَ إِلَى الْقَعْقَاعِ حَظَّهُ مِنْهَا ، فَأَثَرَبَهُ الْقَعْقَاعُ أَقْرَبَ الْقَوْمِ إِلَيْهِ فَقَالَ

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شطرييت من قصيدة للفرزدق وقد جاء في الأصل وفي معجم البلدان هكذا «ثلاث ذوات الهضبات»
بالرفع . وقال ابن بري في حكاية صاحب اللسان : صوابه «ثلاث ذوات الهضبات» بالنصب لأن صدره :
* فارفع بكفك إن أردت بنا منا *

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ * وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
ضُخْوِكَ السَّنَّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ * وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبَّاسٍ

كان يقال : إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا
تجلس متكئا ! فقال : تلك جلسة الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملهم :
جليسى ما فهم عني ، وثوبى ما سترنى ، ودابتى ما حملت رجلى . وزاد آخر : وأمرأتى^(١)
ما أحسنت عشتري .

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إنه لا أخذ بأربع ، تارك لأربع : أخذ
بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأحسن البشر إذا لقي ،
وبأيسر المونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة اللئيم ، ومنازعة الجبوج ، وممارة
السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال : إنك جلست
إلينا على حين قيام منا أفئاذن ؟ . قال الفضيل بن عياض للثوري : دُلّنى على مَنْ
أجلس إليه ، قال : تلك حالة لا توجد . قال مطرف : لا تطعم طعامك مَنْ
لا يشتهيهِ ، يُريد : لا تُقبل بحديثك على مَنْ لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن
سَلَم : إذا لم تكن المحدث أو المحدث فانهض . ونحوه قول ابن مسعود : حدث
القوم ما حذجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عياش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما
رأى رجلي عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا
تأخذ عليه شرف المجلس . وقال ابن عباس : ما أحد أكرم على من جليسى ، إن

الذباب يقع عليه فيشق على^{١١} . ذكر الشعبي قوما فقال : ما رأيت مثلهم أشد تناوبا في مجلس ولا أحسن فهمًا عن محدث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفارية ووطننا الحسنة وليسنا اللين وأكلنا الطيب حتى أجبنا^(٢) ما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس أضع عني مشونة التحفظ فيما بيني وبينه .

روى ابن أبي ليلى عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبهتي في التراب لله أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى على شيء من العراق إلا على ظمأ الهواجر ، وتجارب المؤذنين ، وإخوان لي منهم الأسود بن كَثُوم . وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السكر ، وليل الحرير ، وحديث ابن أبي بكرة . وقال المغيرة : كان يجالس إبراهيم صيرفي ورجل منهم برأى الخوارج ، فكان يقول لنا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا ، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللهمم .

كان يقال : محادثة الرجال تُلْقِحُ ألبابها . كان بعض الملوك في مسير له ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقَطَّعُ سرى الليل بمثل الحديث فيه فليتنفص كل رجل منكم بنسا

(١) في الأصول : تَأْيِذًا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجمع الطعام وغيره : كرهه وملة .

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للنعالي .

(٤) في الأصول : الحزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : في أغلى جبانة البصرة موضع يقال له الحرير . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيًا أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا مِنْهُ ^(١) . قَالَ معاوية لعمر بن العاص : مَا بَقِيَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا تَلَذُّهُ ؟ قَالَ :
مُحَادَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَخَبْرُ صَالِحٍ يَأْتِينِي مِنْ ضَيْعَتِي . قَالَ أَبُو مُسْهَرٍ : مَا حَدَّثَتْ رَجُلًا
قَطُّ إِلَّا حَدَّثَنِي إِصْغَاؤَهُ : أَفِيهِمْ أَمْ ضَيْعٍ .

باب الثَّقَلَاءِ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِذَا عَلِمَ الثَّقِيلُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ فَلَيْسَ بِثَقِيلٍ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ خَافَ أَنْ
يُثْقَلَ لَمْ يَثْقُلْ . قِيلَ لِأَيُّوبَ : مَا لَكَ لَا تَكْتُبُ عَنْ طَاوُسٍ ؟ فَقَالَ : أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
بَيْنَ ثَقِيلَيْنِ : لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةٍ .

قَالَ الْحَسَنُ : قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الثَّقَلَ فِي كِتَابِهِ قَالَ : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كَانَ
أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا اسْتَثْقَلَ رَجُلًا قَالَ : اللَّهُمَّ آغْفِرْ لَهُ وَأَرْحَمْنَا مِنْهُ . وَكَتَبَ رَجُلٌ عَلَى
خَاتَمِهِ : أَبْرَمْتَ فَقُمْ ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ ثَقِيلٌ نَاولَهُ إِيَّاهُ . قَالَ بَجْتِيشُوعُ لِلْأُمُونِ :
لَا تُجَالِسِ الثَّقَلَاءَ فَإِنَّا نَجِدُ فِي الطَّبِّ : مَجَالِسَةُ الثَّقِيلِ حُمَى الرُّوحِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

إِنِّي أَجَالِسُ مَعْشَرًا * نَوَكِي أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ * صَدِثَتْ بِقُرْبِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ * وَيَدِيقُ عَنْهُمْ مَا أَقْوَى
فَهُمْ كَثِيرٌ بِي وَأَعْلَمُ أَتْنَى بِهِمْ قَلِيلُ

أَخْبَرَنَا النُّوْشَجَانِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ :
أَتَيْتُ الْكَوْفَةَ فَفَلَسْتُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ فَقَالَ
فَا الْفِيلُ تَحْمِلُهُ مِيتًا * بِأَثْقَلٍ مِنْ بَعْضِ جُلَسَائِنَا
فَا حَمَلَتْ عَنْهُ شَيْئًا .

(١) فِي الْقَامُوسِ : الْجَوْشُ الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مِنْ آخِرِهِ هـ . وَالْجَوْشُ بَزِيَادَةِ النُّونِ لَفْظٌ فِيهِ .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل ، فقال له : كيف حالك ؟ فقال
وقائل كيف أنت قلت له * هذا الخنسي فما ترى حالي
وقال بشار

ربما يثقل الخليل وإن كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في آلا * ض ثقيل أربى على ثهلان
كيف لم تحمِل الأمانة أرض * حملت فوقها أبا سفيان^(١) !
وقال آخر

هل غربة الدار منك منجيتي * إذا أغتدت بي قلائص دمل
وما أظن الفلاة تنجيني * منك ولا الفلك أيها الرجل^(٢)
ولو ركب البراق أدركني * منك على ناي دارك الثقل
هل لك فيما ملكت نافلة * تأخذه جملة وترتحل
وقال أعرابي

كأني عند حمزة في مقيامي * ألا حيث عنا يا مدينا
بلينا عنده حتى كأننا * ألا هبي بصحك فاصبحنا

وقال آخر

ثقل يطالنا من أمم * إذا سره رغم أنفي ألم
لطلعت وخزة في الحشا * كوخ المشارط في المحتجم
أقول له إذ بدا طالما * ولا حملته إلينا قدم^(٣)
فقدت خيالك لا من عمي * وأذني كلامه لا من صمم^(٤)

(١) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أبا عمران . (٢) هكذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية
"تنجيني" ولعلها "منجيتي" . (٣) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفي ديوان
ناظمه أبي نواس لا آتي . (٤) في العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سهيل بن عبد العزيز: مَنْ ثَقُلَ عليك بنفسه وغمك في سؤاله فألزمه أذناً صمّاً وعيناً عمياء .

وكتب بعض الكتاب في فصل من كتابه: ما آمن نزع مُستميح حرمة، وطالب حاجة ردده، ومثاير ثقیل حجبته، أو منبسط ناب قبضته، ومُقبل بعنانه على لَوَيْتُ عنه، فقد فعلت هذا بمستحقين وبتعذر الحال، فتثبت رحمك الله، ولا تُطع كلّ حَلّاف مهين .

وقال بعض المحدثين للخليل

خرجنا نريد غُرّة لنا * وفيها زياد أبو عَصَصَة
فستة رهط به خمسة * وخمسة رهط به أربعة

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عدى عن مجاليد عن الشعبي قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم: أخبرني عن مكان من القرية لا يتخرب حتى أستقطع ذلك الموضع، فقال له: ما بين الماء إلى دار الإمارة، فاخترت لثقيف ذلك الموضع، قال الهيثم بن عدى: فبت عندهم فإذا ليّهم بمنزلة النهار .

وقال قائل في الدار: ليكن أوّل ما تبتاع وآخر ما تبع .

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين آختر داره لبينها: هي قيضك فان شئت فوسعه، وإن شئت فضيقه. وأتاه وهو يبنى داره التي ببغداد بقرب الدور، وإذا هم يبيضون حيطانها فقال: اعلم أنك تُعطى الذهب بالفضة، فقال جعفر: ليس في كلّ مكان يكون الذهب أنفع من الفضة، ولكن هل ترى عيباً؟ قال: نعم، مخالطتها دور السوق .

دخل ابن التوهم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الذرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السمك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مشونة لا تطاق ، وعيالا لا يحتمل مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما أبليت به نفسك ، وإن لم تفعل هجنت رأيك .

وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبلُ بفراش الملك ومجلسه المشرق ، أو يُستقبلُ به مَهْبُ الصِّبَا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية الدُّبُور وناحية المغرب يُوصَفَانِ بِالْفَضِيلَةِ وَالانْخِفَاضِ ^(١) ، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملك المشرق أو مَهْبُ الدُّبُور ، ويُستقبلُ بصدور أخلاء وما فيه من المقاعد مَهْبُ الصِّبَا ، لأنه يقال : إن استقبل الصِّبَا في موضع أخلاء آمن من سحر السَّحَرَةِ ومن ريح الجنَّة .

وكان عمر يقول : على كلِّ خائن أمينان : الماء والطين . ومر ببناء يُبنى بأجرٍ وجصٍّ فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عامل له ، فقال : تأبى الدرهم إلا أن تُخرج أعناقها ، وشاطرته ماله .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنوا بالمدر قال : قد كنتُ أكره لكم البنيان بالمدر ، فأما إذ قد فعلتم فعرضوا الحيطان ، وأطيلوا السمك ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لأني لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنتُ أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنتُ أميرا فدارُ الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتخذَ الدُّورُ بين الماء والسوق ، وأن تكونَ الدُّورُ شرقية والبساتينُ غربية .

قال بعض الشعراء

بنو عُمَيْرٍ مجدهم دارهم * وكلُّ قومٍ لهم مُجَدُّ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبي محمد الزيدى

قَوِّنِي خِيَارَ غَيْرِ مَا أَنَّهُمْ * صَوَّلْتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
لَيْسَ لَمْ يَجِدْ سِوَى مَسْجِدٍ * بِهِ تَعَدَّوْا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
لَوْ هَدِمَ الْمَسْجِدُ لَمْ يُعْرِفُوا * يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ

وقال رجل من خُرَاعَة

نَحَرَ الْمَسِيْبُ بِالْمَنَارَةِ * وَمَنَارُهُ بِرَحَا عُمَارِهِ
فَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْقُبَا * ثُلٌّ مِنْ تَمِيمٍ أَوْ فَزَارِهِ
حَفَلَتْ عَلَيْكَ شُيُوخُ ضَبَّةٍ * بِالْمَسِيْبِ وَالْمَنَارِهِ

مرّة رجل من الخوارج بدار ثُبْنِي فقال : مَنْ هَذَا الَّذِي يُقِيمُ كَيْفِيًّا ؟ وقالوا :

كُلُّ مَالٍ لَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ وَلَا يَرْجِعُ بِرَجُوعِكَ وَلَا يَنْتَقِلُ فِي الْوَجْهِ بِانْتِقَالِكَ فَهُوَ
كَفِيلٌ .

وقالت الحكماء من أروم : أَصْلَحُ مَوَاضِعِ الْبَنِيَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَى نَلٍّ أَوْ كَيْسٍ وَثِيقٍ
لِيَكُونَ مُطْلَأًا ، وَأَحَقُّ مَا جُعِلَتْ إِلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَنَازِلِ وَأَفْنِيتُهَا وَكَوَاثِرُهَا الْمَشْرِقُ وَاسْتِقْبَالُ
الصَّبَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ لِلْأَبْدَانِ لِسُرْعَةِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَضَوْئِهَا عَلَيْهِمْ .

ومن حسن التشبيه في البناء قولُ علي بن الجهم

صُحُورٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ * وَتُخَيَّرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا
وَقُبَّةٌ مُلْكٌ كَأَنَّ النُّجُومَ * مَ تَصْنَعِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وَفَوَارَةٌ تَأْرَاهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ تَارِهَا
إِذَا أُوقِدَتْ تَارُهَا بِالْعِرَاقِ * أَضَاءَ الْجَمَازَ سَنًا تَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى الْأَرْضِ مَا أُنْزِلَتْ * عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا

(١) محلة بالكوفة تنسب الى عمارة بن عقبة بن أبي معيط . معجم البلدان .

لها شُرُفَاتُ كَأَنَّ الرِّبْعَ * كَسَاهَا الرِّيَاضُ بِأَنْوَارِهَا
فَهَنَ كَمْصَطِحَاتٍ نَحْرُجَنَ * لِفَصْحِ النَّصَارَى وَإِفْطَارِهَا
فَمِنْ بَيْنِ عَاقِصَةِ شَعْرِهَا * وَمُصْلِحَةِ عَقْدِ زُنَارِهَا

وقال الوليد بن كعب

بَكَتْ دَارُ بَشِيرٍ شَجَوَهَا أَنْ تَبْدَلَ * هَلَالُ بْنُ عِيَادٍ بِبَشِيرِ بْنِ غَالِبٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ عَرِيْسٍ تَتَّقِلُ * عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبِ

وقال آخر

أَلَمْ تَرِ حَوْشَبَا أَمْسَى يُنَيِّ * قَصُورًا نَفَعَهَا لَبْنِي بُقَيْلَهُ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوْحٍ * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ

١٠ كان مالك بن أسماء يهوى جارية من بني أسد وكانت تنزل خُصًا وكانت دارُ
مالك مبنيةً بأجر فقال

يَالَيْتَ لِي خُصًّا يُجَاوِرُهَا * بَدَلًا بَدَارِي فِي بَنِي أَسَدٍ
الْخُصُّ فِيهِ تَقَرُّ أَعْيُنُنَا * خَيْرٌ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَدِ

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه قال حدثنا إسحاق بن الفُرات قاضي
١٥ مصر عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يا بُنَيَّ إِنْ
مِنْ ضَيْقِ الْعَيْشِ شِرَاءَ الْخُبْزِ مِنَ السُّوقِ، وَالنَّقْلَةَ مِنْ مِثْلٍ إِلَى مِثْلٍ .

بلغني أن رجلا من الزهاد مرّ في زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح :
وَأَعْمَرَاهُ ! فَسَمِعَهُ الْمَأْمُونُ فِدَعَا بِهِ فَقَالَ : مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ بِنَاءَ أَلَا كَاسِرَةً فَقُلْتُ
مَا سَمِعْتُ ، قَالَ الْمَأْمُونُ : أَرَأَيْتَ لَوْ تَحَوَّلْتُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِيوَانَ كَسْرَى
بِالْمَدَائِنِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَعِيبَ نَزُولِي هُنَاكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَرَاكَ إِنَّمَا عِيبَتْ إِسْرَافِي

في النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا البناء لرجل أكنت تعيب ذلك؟
 قال : لا، قال : فلو بنى هذا الرجل بما كنت أهب له بناءً أكنت تصيح به كما
 صحت بي ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في نفسي لا لعله هي
 في غيري، ثم قال له : هذا البناء ضرب من مكائدا نبيه ونخذ الجيوش ونعد
 السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودن إلى فتمسك عقوبي، فإن
 الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواه، فاستعمله .

(١) باب المزاح والرخص فيه

قال حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
 أبي سلمة قال : أخبرني عائشة أنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
 فسبقت، وسأبت في سفر آخر فسبقتها وقال : « هذه بتلك » .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفة
 لمروان، فرما ركب حمارا قد شد عليه برذعة وفي رأسه حلية فلقى الرجل فيقول :
 الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشاءه بالليل فيقول : دع العراق للأمير،
 فأنظر فإذا هو ثريد بزيت .

قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصلت الطاحي عن سعيد
 ابن عثمان قال، قال الشعبي لخياط مر به : عندنا حب مكسور تحيطه ؟ فقال
 الخياط : إن كان عندك خيوط من ريح .

(١) كذا في الأصل، ولم نجد في القاموس ولا في اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسجيل، والوارد في هذا
 المعنى إنما هو الرخصة بناء التأنيث فلعل التأء سقطت من قلم الناسخ .

(٣) العراق : العظم أكل لحمه أو العظم بلحمه .

(٣) في الأصل : الطاحي بالميم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبيّ ومعه في البيت امرأة فقال :
أيكم الشعبيّ ؟ قال الشعبيّ : هذه . وسئل الشعبيّ عن لحم الشيطان فقال : نحن
نرضى منه بالكفّاف ، قال : فما تقول في الذّبّان ؟ قال : إن اشتبهته فكُفّه .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لمّا
رأيناه أكبرنه وقطعن أيديهن ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
توفّي البارحة ، أمّا شعرت ؟ بفزع واسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جرحه قرأ (اللَّهُ يَتَوَفَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .

مرّ بالشعبيّ حمّالٌ على ظهره دَنٌّ خَلٌّ ، فلما رآه وضع الدنّ وقال : ما كان اسمُ
امرأة ابليس ؟ فقال الشعبيّ : ذاك نكاحٌ ما شهدناه .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن الأصمّهانيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
قال : عادني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال : أمّا أنت فتعرّف في منزلك أنك لست من
أهل القريتين عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال ، قالت
أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه نعيان وسويبط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
وكان نعيان على الزاد فقال له سويبط وكان مزاحا : أطعمني ، فقال : حتى يجيء
أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، ففروا بقوم فقال لهم سويبط : أتشترون مني
عبدا لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إني حرّ ، فإن كنتم
إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا عليّ عبدي ، فقالوا : بل نشتره منك .

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا في عنقه جبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حرّ، قالوا : قد أخبرنا بخبرك، وأنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فرد عليهم القلائص وأخذه ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا ^(١) .

- حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الجعفي عن أبي عوانة عن قتادة أن عدى بن أرطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سميت ، قال : إني تزوجت امرأة ، قال : بالرفاء والبين ، قال : وولدت غلاما ، قال : ليمنتك الفارس ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيت ، قال : ١٠ بمه ؟ قال شريح : « حدثت امرأة حديثين فإن أبت فأربع » ^(٢) قال لي المحدث : فأربعة ، وإنما هو فاربعة أى كُف وأمسك .

- وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما يدعى الآخر عليه وهو لا يعلم ، فقضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتقضى على بغير بينة ؟ فقال : قد شهد عندي ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك . ١٥

كان ابن سيرين يُنشد

نُبئتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

(١) في القاموس في مادة نعم أن نعيان هو المزاح وأنه هو الذي باع سويطا وبعد نحو صفحتين من هذا الكتاب ستجد ذكر نعيان بأنه هو المزاح .

(٢) رواه الميبداني « حدثت امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أى زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرر مرتين فكأنك حدثتها حديثين ، والمعنى كررها الحديث لأنها أضعف فهما فإن لم تفهم فاجعلهما أربعة . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في معناه أى قف واقتصر وهو من ربع يربع إذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عرسُ الفرزدق ناشزا * ولو رضيت ربحَ آسته لاستقترت
وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

المدائني قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت أبارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضعت الموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال ألبال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دنائير مصر !

كان مَعْن بن زائدة ظنينا في دينه ، فبعث إلى ابن عيَّاش المتوفى بألف دينار ،
وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار اشتريتُ بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلي بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ الدنانير وبعثتُ بها ديني خلا التوحيد
ليأعرفت من زهدك فيه .

قال الرشيد ليزيد بن مزيّد : ما أكثر الخلفاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ،
ولكن منابرهم أجدوع .

قال بلال بن أبي بردة لابن أبي علقمة : إنما دعوتك لأتخبر منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلتَ ذلك لقد حَكَّم المسلمون رجلين سَخَّر أحدهما من الآخر .
كان يقال : السَّبَابُ مِزَاحُ التَّوَكِّي^(١) . وقال الشاعر

أخو أَلْحَدِ إن جاددتَ أرضاكِ جَدُّه * وذو باطل إن شئتَ الهالكِ باطلُهُ
وقال مسعرُ بن كَدَّام لابنه

ولقد جِبتك يا كَدَّامُ نصيحتي * فاسمع لِقولِ أبٍ عليك شفيق
أما المِزَاحَةُ والمِراءُ فدعهما * خُلُقَان لا أرضاهما لمصديق
ولقد بلوَّتهما فلم أحدهما * لمحاوِرٍ جارٍ ولا لرفيق

(١) كذا في الأصل . وفي جمع الأمثال للبدائي «المزاح سباب التوكي» .

وقال الكبيّ

وفي الناس أقذاعٌ مَلاهيحُ بالحنّا * متى يبلُغُ الجُدُّ الحفيظَةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدثين

أراني سأبدي عند أول سكرة * هواي لفضل في خفاء وفي ستر

فإن رَضِيتَ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غَضِبْتَ حَمَلْتُ ذنبي على السكر

وقال الراعي — في نحو هذا يصف نساء —

يُنَاجِينَا بالطَّرْفِ دون حديثنا * وَيَقْضِينَ حاجاتٍ وهنَ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجلٍ عاملين ليختار أحدهما فيوليه ، فقال : « كلاهما

ونمرا » ، فقال : أعندي تمزح ! لا وَلَيْتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وقال عليّ : إِذَا ضَحِكَ الْعَالِمُ

ضَحَكَةً جَمَّ مِنَ الْعِلْمِ بَجَّةٌ . وقال أ كثم : « الْمُرَاحَةُ تُذْهِبُ الْمَهَابَةَ » .

الهيثمُ عن عوانة الكلبّي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقَارِضُهُ ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدي

بأبي هذا الفتى وهو سيدنا معشرَ بني جُشَم ، وشيخنا الذي نصدُرُ عن رأيه ، فاهترَّ

لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه

أمرنا ذات يوم وقد تورت الرياضُ أن نَخْرُجَ إلى روضة في ظهر بيوت الحى

فنتحدّث فيها ، فخرجنا وابتسطنا لعبا ، وخرج الرجل منا بالبكرة الكؤماء ^(١) وبالحروف

والجدى ، وقام الفتيان فاجترّوا واشتروا ودارت السقاة علينا ، فبينما نحن كذلك

رُعِفَ أبوه فما تركنا في الحى روثة حمار إلا نَشَقْنَاهُ إياها فلم يرقأ دمه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « ابسط » ، ولعله مجزوف عن « أبسطنا » .

شَدُّوا خُصْبِي الشَّيْخَ عَصَبًا ، ففعلنا ذلك فرقاً الدم ، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أنا الصريحُ عن أمه أنها قد رَعِفَتْ ، فبادرنا إليها ، فوالله ما درينا ما نَعِصِبُ منها حتى خرجت نفسها ، وعبد الملك يَفَحِّصُ برجليه ضحكاً ، والفتى يقول : كذب والله ، فقال عبد الملك : ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديكم وحديثكم !

٥ حدثني أحمد بن عمرو قال : كان رجل من الفقهاء في طريق مكة ، فرأى وهو محرم يربوفاً فرماه بعصا كانت في يده فقتله ، فقال الجمال : ألسن محرمًا؟ قال : بلى وما كانت بي إلى رمية حاجة إلا أن تعلم أن إحرامى لا يمنعني من ضربك .
قال وكان الأعمش يقول : من تمام الحج ضربُ الجمال .

١٠ المدائني قال : كان نعيمان رجلاً من الأنصار وشهد بدرًا وولده النبي عليه السلام في الخمر أربع مرات ، فمَرَّ نعيمانُ بِمَحْرَمَةٍ بن نوفل وقد كُفَّ بصره فقال : ألا رجل يقودني حتى أبول ، فأخذ بيده نعيمان ، فلما [بلغ] ^(١) مؤخر المسجد قال : ها هنا فُبِل ، فبال فصيح به ، فقال : مَنْ قادني ؟ قيل : نعيمان ، قال : لله على أن أضربه بعصاي هذه ، فبلغ نعيمان فأتاه فقال له : هل لك في نعيمان ؟ فقال : نعم ، فقال : قم ، فقام معه فأتى به عثمان بن عفان وهو يصلي ، فقال : دونك الرجل ، فجمع يديه في العصا ثم ضربه ، فقال الناس : أمير المؤمنين ، فقال : مَنْ قادني ؟ قالوا : نعيمان ، قال : لا أعود إلى نعيمان أبدا .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : قلت لخارجة بن زيد : هل كان الغناء يكون في العُرُسات ؟ قال : قد كان ذاك ، ولا يُحْضَرُ بما يُحْضَرُ اليوم

(١) زيادة في النسخة الألمانية وهي لازمة .

من السفه، دعانا أخواننا بنو نَيْطٍ في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسانُ بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغَيَّانِ

أنظر خليلي نِبابِ جَلَّقَ هل * تُؤْنَسُ دون البقاء من أحد

فبكي حسان وقد كُفَّ بصره، وجعل عبد الرحمن يُومئ إليهما أن زيدا، فلا أدري ماذا يُعجبه من أن تُبكي أباه، ثم جئ بالطعام، فقال حسان : أ طعامُ يد أم طعامُ يدين ؟ فقالوا : طعامُ يد، يريدون الثريدَ فأكل، ثم أتى بطعام آخر فقال : أ طعامُ يد أم طعام يدين ؟ قالوا : طعامُ يدين، يعنون الشواء فكف .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان طُوَيْسٌ يَتَغَنَّى في عُرْس، فدخل النعمان ابن بشير العرس وطويس يقول

أَجَدَ بَعْمَرَةَ غُيَّانُهَا * قَهَجَرَأَمَ شَأْنُهَا شَأْنُهَا^(١)

وعمرة أم النعمان، ف قيل له : اسكت اسكت، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وَعْمَرَةُ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا * تَتَفَحُّ بِالْمَسْكِ أُرْدَانُهَا

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المجاج بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن

أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس^(٢)
وَهَنْ يَمِشِينَ بَنَاهِمِيَسَا * إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَبْلَ لَمِيَسَا

فقالوا : تقول الرفث وأنت محرم يا ابن عباس ! فقال : إنما الرفث عند النساء .

قال جابر الجعفي : رأيت الشعبي خارجا من الكوفة فقلت له : أين ؟ قال :

أَنْظُرْ إِلَى الْفِيلِ .

(١) كذا بالأصول ولسان العرب . وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شأنها شأنها وهو أوجه .

(٢) كذا في الأصل نبل باللام . وروى في شرح القاموس للرتضي والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فدعوتُ اللعَّابين فلعبوا فأعطاهم ^(١) أربعمائة درهم .

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولي الأوقصُ المخزومي قضاء مكة فما رُئيَ مثله في العفاف والنبل ، فبينا هو نائم ذات ليلة في جناح له مرَّ به سكران يتغنى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأيقظت نؤاما ، وغيتَ خطا ، خذ عني فأصلحه له . وقال الأوقصُ قالت لي أمي : يا بُنيَّ إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لجامعة الفتيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تحطنتك إليه العيون ، فعليك بالدين فإنه يرفع الحسيسة ويُمِّم النقيصة ، فنفعني الله بكلامها فبلغت القضاء .
قال عبد الله بن جعفر لرجل : لو غنتك فلانة جاري صوت كذا ما أدركت دكانك .

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مرَّ بي عمر ، وأنا وعاصمُ بن عمر نتغنى غناء النصب ^(٢) ، فقال : أعيذا ، فأعدنا ، فقال : مثلكما مثل جماري العبادي ، قيل له : أي جماريك أشتر ^(٣) ؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحداء فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود نبي الله معزفة يضربُ بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فبكي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزامير داود ، كأنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية "أربعة درهم" ولا ندرى أسقط من الناصح كلمة مائة أم ألف الجمع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب . (٣) كذا بالأصل ، وفي مجمع الأمثال «شتر» وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال
 وإذا المعدة جاشت * فارمها بالمِنجنيق
 بثلاث من نبيذ * ليس بالحلو الرقيق

النوشجاني قال حدثني محمد بن سابق قال حدثنا مالك بن مغول عن أبي حصين
 قال : شرب الأسود فقال : لو سقيتموني آخر لغيت .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن المجالد^(١) عن الشعبي عن عمه قال :
 صحبتُ ابن مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يصم يوما واحدا ، [ف]أهمني^(٢)
 ذلك وسألت عنه ، ولم أره صلى الضحى حتى نخرج من بين أظهرنا .
 قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن مهدي بن ميمون قال :
 كان أبو صادق لا يتطوع من السنة بصوم يوم ، ولا يصلي ركعة سوى الفريضة
 قبلها ولا بعدها ، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدثني الزبائدي قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من
 الفقهاء وهو يلعب بالشطرنج .

وحدثني الزبائدي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن
 سيرين عن اللعب بالشطرنج فقال : لا بأس به هورقق .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال ، قال أبي : ترون أن الشطرنج^(٣)
 وضعت على أمر عظيم ؟ .

(١) كذا في الأصل بالتعريف والمعروف في كتب التراجم «مجالد» بدون أل ، ودخول أل في مثل المنقول
 عن اسم الفاعل للح الصفة وموقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضها سياق الكلام .

(٣) لم تقف في كتب اللغة على أن الشطرنج مما يصح تأنينه ولعل تأنينه هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال : كان قيس .
ابن أبي حازم في مدّة فقال لصاحب المنزل : طيّر .

حدّثني شبابة قال حدّثني القاسم بن الحَكَم العُرنِيّ قال : حدّثني سُلَيْمٌ مولى الشعبيّ
أن الشعبيّ كان إذا اختَضَبَ فغَرَضَ لاعباً بآبَتِهِ بالزرد حتى يعلّق الخضاب .

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدّثنا شُعْبَةُ عن عبد ربه
قال : سمعتُ سعيد بن المسيب وسئل عن اللعب بالزرد فقال : إذا لم يكن قراراً فلا بأس .

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رُشَيْدِ بْنِ كُرَيْبٍ
قال : رأيتُ عِكْرِمَةَ أُقِيمَ قائماً على اللعب بالزرد . قال إسحاق : إن كان لعبه على غير
معنى القمار يريد به التعلّم والمكايده فهو مكروه ، ولا يبلغ ذلك إسقاط شهادته .

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال : رأيتُ
أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشر على ظهر المسجد .

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثني عليّ بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني عن
خوات التيميّ عن الحارث بن سويد قال : أتى عبد الله بن مسعود رجلاً فقال :
يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يُرْبِي وما يتورّع من شيء أصابه ، وإنّي أُعسرُ
فأستسلفه ، ويدعوني فأجيبه ، فقال : كُلُّ فلك مَهْثُوهٌ وعليه وزره .

كان أبو فضالة أسنّ وشقّت عليه الصلاة ، فكان يقول : مُشَقِيَّةٌ مُنْصِبَةٌ ، مُقِيْمَةٌ
مُقْعِدَةٌ ، لا تزال بصاحبها حتى يضع أكرمه ويرفع أخفّشه .

(١) غرض : أصابه الملل .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان

ثم قال : وقيل له أيضاً راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقَاعِ الأَسَدِيُّ

أَنَا نَاهَا صَفْرَاءُ يَزْعَمُ أَنَّهَا * زَيْبٌ، فَصَدَّقْنَاهُ وَهُوَ كَذُوبٌ
فَهَلْ هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ غَابَ نَحْسُهَا * أَصَلَّى لِرَبِّي بَعْدَهَا وَأَتُوبُ

وقال آخر

مَنْ ذَا يُحَرِّمُ مَاءَ الْمَزْنِ خَالِطُهُ * فِي جَوْفِ آنِيَةِ مَاءِ الْعِنَاقِيدِ
إِنِّي لَا كَرِهَ تَشْدِيدَ الرُّوَاةِ لَنَا * فِيهَا وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ
وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ وَمَتَخَيَّرُ الشُّعْرَ فِي الشَّرَابِ يَقَعُ فِي كِتَابِي الْمَوْئِلُ فِي الْأَشْرَبَةِ، وَلِذَلِكَ
تَرَكْتُ ذِكْرَهَا .

وكتب بعضُ الكُتَّابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ فِي فَصْلِ : وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ فَإِنْ عُقِدَةَ
الإِسْلَامِ فِي قُلُوبِنَا صَحِيحَةٌ، وَأَوَاخِيهِ ثَابِتَةٌ، وَلَقَدْ اجْتَهَدَ قَوْمٌ أَنْ يُدْخِلُوا قُلُوبَنَا مِنْ
مَرَضِ قُلُوبِهِمْ، وَأَنْ يَلْبِسُوا يَقِينَنَا بِشُكِّهِمْ، فَمَنْعَتْنَا عَصْمَةُ اللَّهِ مِنْهُمْ، وَحَالَ تَوْفِيقُهُ
دُونَهُمْ، وَلَنَا بَعْدُ مَذْهَبٌ فِي الدُّعَاةِ جَمِيلٌ، لَا يَشُوبُهُ أَذَى وَلَا قُدْزٌ، يُخْرِجُ إِلَى
الْأَنْسِ مِنَ الْعُبُوسِ، وَإِلَى الْإِسْتِرْسَالِ مِنَ الْقُطُوبِ، وَيُلْحِقُنَا بِأَحْرَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ
الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنْ لِبْسَةِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ .

١٥ التَّوَسُّطُ فِي الْأَشْيَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهَا وَالْغُلُوقِ

باب التَّوَسُّطِ فِي الدِّينِ

حَدَّثَنِي الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَّأَوْرِدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَاحِلَاءَ
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
”إِكْفَأُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ
أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ“ .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا محمد بن علي بن مُقَدَّم عن مَعْنِ الغفاري عن المقبري عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرُّ وَلَنْ يُنَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا".

حدثني القومسي عن أحمد بن يونس عن زهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّيِّئُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعَشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ".

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن مسلم بن يسار أن رُفْقَةً مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فُلَانٍ، يَصُومُ النَّهَارَ، فَإِذَا نَزَلْنَا قَامَ يُصَلِّي حَتَّى نَزْتَحِلَّ، قَالَ: "مَنْ كَانَ يَمْنُهُ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ؟" قَالُوا: نَحْنُ، قَالَ: "كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ".

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام قال: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍ تَوَابَ. وقال علي أيضا: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّمُطُ الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ النَّالِي^(١).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال، قال حذيفة: خِيَارُكُمْ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرْتَهُمْ لَدُنْيَاهُمْ. وَكَانَ يَقَالُ: دِينَ اللَّهِ

(١) كذا في اللسان والعقد الفريد وفي الأصل «البالي» وهو تحريف، ورواه في نهج البلاغة «نحن النقرة الوسطى بها يلحق النالي والبالي يرجع الغالي» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النصارى بها فكان الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما يجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوزا.

بين المقصّر والغالى . وقال المطرّف لأبنة ^(١) : يا بُنى، الحسنَةُ بين السيئتين، يعنى بين الإفراط والتقصير، وخيرُ الأمور أوساطُها، وشرُّ السيرِ ^(٢) الحقّقة

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيرُكم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيرُكم مَنْ أخذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ" . وقال : "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ بِالْحَنِيفَةِ السَّهْلَةِ، وَلَمْ يَبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَةِ الْمُبْتَدَعَةِ، سُنَّتِي الصَّلَاةُ وَالنُّومُ، وَالْإِفْطَارُ وَالصُّومُ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" . وفى الحديث : "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفِيقٍ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى" .

وكان يقال : طالبُ العلمِ وعاملُ البرِّ كَأَكْلِ الطَّعَامِ إِنْ أَخَذَ مِنْهُ قُوْتًا عَصَمَهُ، وَإِنْ أَسْرَفَ فِي الْأَخْذِ مِنْهُ بِشْمُهُ، ^(٤) وَرَبَّمَا كَانَتْ فِيهِ مَنِيَّتُهُ، وَكَأَخَذَ الْأَدْوِيَةَ الَّتِي قَصَدَهَا شِفَاءً، وَمَجَاوَزَةُ الْقَدَرِ فِيهَا السَّمُّ الْمَمِيتُ .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفصة أَنَّ ابْنَ أَبِي نُعَيْمٍ كَانَ يُهْلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ وَيَقُولُ فِي تَلْبِيئِهِ : لِيكَ، لَوْ كَانَ رِيَاءً لَأَصْحَمَحَلَّ . حدثني أحمد بن أنخليل قال حدثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبي إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدرك أصحابنا محمد بن أبي نُعَيْمٍ لَرَجَمُوهُ، كَانَ يُوَاصِلُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا وَيُهْلُ بِالْحَجِّ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ .

وقال سلمان : القصْدُ وَالِدَوَامُ وَأَنْتَ السَّابِقُ الْجَوَادُ . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم لقي رجلا فقال : مَا تَصْنَعُ ؟ قال : أَتَعْبُدُ . قال : مَنْ يَعْبُدُ عَلَيْكَ ؟ قال : أَنَحَى، قال : أَخُوكَ أَعْبُدُ مِنْكَ .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرّف» بدون أل . (٢) الحققة : أرفع السير

وأتمه للظهر . (٣) فى الأصل «فتى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان ، يقال : بَشِمَ الرَّجُلُ وَأَبْشَمَ الطَّعَامُ .

رَوْحُ بن عُبَادَةَ عن الْحجاج بن الْأَسود قال : مَنْ يَدُّنِي على رجل بَكَّاءٍ بالليل بَسَامٍ
بالنهار ؟

وروى أَبُو أُسامة عن حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد قال ، قال مُطَرِّفُ :
انظروا قوما إذا ذُكِّروا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وأنظروا قوما إذا ذُكِّروا ذُكِّروا
بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء .

باب التوسط في المداواة والحلم

قرأت في كتاب للهند : بعض المقاربة حزم ، وكل المقاربة عجز ، كالخشب
المنصوبة في الشمس تُمال فيزيد ظلها ، ويُفَرِّط في الإمالة فينقص الظل . ومن
أمثال العرب في هذا : « لا تكن حُلُوءًا قُسْطَرَطٌ ^(١) ولا مُرًّا فُتْلَفَطٌ » وأبو زيد يقول :
ولا مُرًّا فُتْعَقِي ، يقال : أعق الشيء إذا اشتدت مرارته . وقال الشاعر ^(٢)
* وإني لصعبُ الرأس غيرُ جموح *
وقال آخر في صفة قوس

* في كفه مُعْطِيَةٌ مُنَوِّعٌ *

وقال آخر

* شَرِيَانَةٌ تَمْنَعُ بعد اللَّينِ *

وقال أبرويز لابنه : اجعل لأقتصادك السلطان على إفراطك ، فإنك إذا قَدَّرْتَ
الأُمُورَ على ذلك وَزَنَتهَا بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وقَوَّمتها تَقْوِيمَ الثَّقَافِ ، ولم تجعل للنسدامة
سلطانا على الحلم .

(١) سرطه واسترطه : ابتلعه .

(٢) هذا يقتضى أن القاف في قوله تعق مكسورة ، ويقال : أعق الشيء إذا نظه من فيه لمرارته ، وهذا

يصح أن يكون الفعل مبنيًا للجھول ، وقد روى المثل بالوجهين كما في اللسان .

وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تُنجي صفوه أن يُكدرًا

وقال آخر

ولا خير في عرض أمري لا يصونه * ولا خير في حلم أمري ذل جانبه

وقال أكرم بن صيفي : الانتباض من الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأئس
مكسبة لقراءة السوء .

باب التوسط في العقل والرأى

رُوى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله
عمر عن ذلك ، فقال له زياد : أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة ؟
فقال : لا عن ذاك ولا عن هذا ، ولكنني كرهت أن أحمل على العاقبة فضل عقلك .
ويقال : إفراط العقل مُضرٌ بالحد . ومن الأمثال المبتدلة : استأذنت العقل على
الحد فقال : اذهب لا حاجة بي اليك . وقال الشاعر

فَيس في جد أنوكَ حالفتَه * مقادير يساعدها الصواب

وقال آخر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

وقال آخر

أرى زمناً نوَّكاهُ أسعدُ أهله * ولكنه يشقى به كل عاقل

وقال الحسن : تشبه زيادٌ بعمر وأفرط ، وتشبه المجاجُ بزياد فأهلك الناس .
وقالت الحكماء : فضلُ الأدب في غير دين مهلكة ، وفضلُ الرأى إذا لم يستعمل
في رضوان الله ومنفعة الناس قائدٌ إلى الذنوب ، والحفظُ الزاكي الواعي لغير العلم
النافع مُضرٌ بالعمل الصالح ، والعقلُ غيرُ المورع عن الذنوب خازنُ الشيطان .

تنازع آثنان : أحدهما سلطاني والآخر سُوقيّ ، فضربه السلطانيّ فصاح :
وأعمرّاه ! ورُفِعَ خبرُهُ إلى المأمون فأمر بادخاله عليه ، قال : من أين أنت ؟ قال : من
أهل قاميّة ، قال : إن عمر بن الخطّاب كان يقول : من كان جاره نبيطاً واحتاج إلى
ثمنه فليبعه ، فإن كنتَ تطلبُ سيرة عمر فهذا حكمه فيكم ، وأمر له بألف درهم .

باب ذم فضل الأدب وألقول

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدبُ شراً من عدمه ؟ قال : إذا كَبُرَ الأدبُ
ونقصَ العقلُ . وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطقُ الرجل على عقله . ويقال : من
لم يكن عقله أغلبَ خصالٍ أخير عليه كان حَتْفُهُ في أغلب خصالٍ أخير عليه .
وقال الشاعر

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

وقال سليمان بن عبد الملك : زيادةُ منطقي على عقلي خُدْعَةٌ ، وزيادةُ عقلي على
منطقي مُجَنَّةٌ ، وأحسنُ من ذلك ما زَيَّنَ بعضُهُ بعضًا .

قال ضرار بن عمرو لابنته حين زوّجها : أمسكي عليك الفضلَيْنِ : فضلَ الغلّةِ
وفضلَ الكلامِ .

وقال عمر بن الخطّاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ أَمْرًا أَمْسَكَ فَضْلَ الْقَوْلِ وَقَدَّمَ فَضْلَ
الْعَمَلِ .

نزل المنذر بن المنذر في كَتِيبَةٍ موضِعًا ، فقال له رجل : أبيتَ اللَّعنَ إن دُيِّعَ رجلٌ
هاهنا ، إلى أيّ موضع يبلغُ دُيُّهُ من هذه الرابِيةِ ؟ فقال المنذر : المذبوحُ والله أنتَ ،
ولأنظرنَّ أين يبلغُ دُيُّكَ ، فقال رجلٌ ممن حضر : « رَبِّ كَلِمَةٍ تَقُولُ [لصاحبها] دَعْنِي » .

(١) الذي في جمع الأمثال للبدائي : أن القاتل هو المنذر نفسه .

(٢) الزيادة عن جمع الأمثال للبدائي .

قال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطعُ بها ذنبَ عترِ مَصُورٍ ولو بلغتْ إمامه سفكتْ دمه . وقال أ كثم بن صيفي : مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ .
وقال الأحنف : حَتَفُ الرَّجُلِ مَجْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

باب التوسُّط في الجِدَّة

- كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غِنًى مُبْطِرٍ وَمِنْ فَقْرٍ مُلْبِّ أَوْ مُرِيبٍ “ ، وكذلك ” اللَّهُمَّ لَا غِنًى يُطْغِي وَلَا فَقْرٌ يُنْسِي “ .
وقال أبو المَعْتَمِر السَّامِيُّ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٌ : أَغْنِيَاءُ وَفُقَرَاءُ وَأَوْسَاطُ ، فَالْفُقَرَاءُ مَوْتَى إِلَّا مَنْ أَغْنَاهُ اللَّهُ بِعِزِّ الْقَنَاعَةِ ، وَالْأَغْنِيَاءُ سُكَارَى إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ بِتَوْقِعِ الْغَيْرِ ، وَأَكْثَرُ الْخَلِيرِ مَعَ أَكْثَرِ الْأَوْسَاطِ وَأَكْثَرُ الشَّرِّ مَعَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءُ لِسَخْفِ الْفَقْرِ وَبَطَرِ الْغِنَى . وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي هَذَا : « بَيْنَ الْمُحْمَضَةِ وَالْعَجَفَاءِ » .

باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء

- قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
حدثني أحمد بن الخليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
” مَا عَالٌ مُقْتَصِدٌ “ .

وحدثني أيضا عن مسلم قال حدثنا أبو قُدَامَةَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا بُرْدُ بْنُ سَيَّانٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : حُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ أَفْضَلُ مِنْ نِصْفِ الْكَسْبِ ، وَلَقَطَ حَبًّا مَنثورًا وَقَالَ : إِنْ فَقِهَ الرَّجُلُ رَفْقَهُ فِي مَعِيشَتِهِ .

(١) من ألب بالمكان وأرب به : أقام به ولزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَاوِدُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَجودُ وأَجَدُّ، وإنه لو شاء أن يُوسِّعَ على الناس كلَّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفَعْلٍ، فلا تُجْهِدُوا أَنْفُسَكُمْ في التوسعة فتَهْلِكُوا هُرْلاً. قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله — : إنك تُنسَبُ إلى البخل، فقال : والله إني لا أَجُدُّ في الحق ولا أدوبُ في الباطل . وكان يقال : لا تَصْنُ كثيرًا عن حقٍّ ولا تُتَفِقْ قليلًا في باطل . ومن أمثال العرب في ذلك « لا وَكْسَ ولا شَطَطَ » و « إذا جَدَّ السؤالُ جَدَّ المنعُ » . وقال الشاعر

إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي * عَلَى الزَّادِ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ لَنِيمٍ
وإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الشُّجَاعِ فَإِنِّي * أَرْدُ سِنَانَ الرِّيحِ غَيْرَ سَلِيمٍ
وقد عَلِمْتُ عَلَيَا هَوَازِنَ أَنِّي * فتَاها وَسُفْلَى عَامِي وَتَمِيمٍ
قال معاوية : ما رأيتُ شرفاً قط إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضْطَبَعٌ .

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدثني الرباعي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة كان يقال له : [طلحة] الأخير، وطلحة الفياض، وطلحة الطَّلَاحَاتُ وأنه فدى عشرة من أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سُئِلَ بِرَحِيمٍ فقال : ما سُئِلْتُ بهذه الرحيم قبل اليوم، وقد بعْتُ حائطاً لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئتُ أرتجمته وأعطيتك، وإن شئتُ أعطيتك ثمنه .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرني شيخ من مشيختنا، — وربما قال : هارون الأعور — أن قتيبة بن مسلم قال : أرسلني أبي إلى ضرار بن القَعْقَاعِ بن مَعْبُدِ ابن زُرَّارة فقال : قل له قد كان في قومك دماء وجراح، وقد أحبوا أن تحضر المسجد فيمن يحضر، قال : فأتيتُه فأبلغته فقال يا جارية : عَدَّني، فجاءت بأرغفة

خُشْنٍ فَتَرَدَّتْهُنَّ فِي مَرِيَسٍ ثُمَّ بَرَّقَتْهُنَّ فَأَكَلْنَ، قَالَ قَتِيْبَةٌ : بِفَعْلٍ شَأْنُهُ يَصْغُرُ فِي عَيْنِي
وَنَفْسِي، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ، حِنْطَةُ الْأَهْوَازِ وَتَمْرُ الْفَرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ،
ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ وَارْتَدَى، ثُمَّ انْطَلَقَ مَعِيَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَحْتَبَى،
فَمَا رَأَتْهُ حَلَقَةٌ إِلَّا تَقَوَّضَتْ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمَطْلُوبُونَ فَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ،
فَقَالَ : إِلَى مَاذَا صَارَ أَمْرُهُمْ ؟ قَالُوا : إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ إِبْلِ، قَالَ : هِيَ عَلَى، ثُمَّ قَامَ .
الْمِثْمُ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ مَعْدِيكَرِبُ بْنُ أَبِرْهَةَ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ
عَلَى سَرِيرِهِ فَأَتَى بِفَتْيَانٍ قَدْ شَرَبُوا الْخَمْرَ، فَقَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَتَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ! فَقَالَ
مَعْدِيكَرِبُ : أُنْشِدْكَ اللَّهُ أَنْ تَفْضَحَ هَؤُلَاءِ^(٣)، فَقَالَ : إِنْ آلَحْتُ فِي هَؤُلَاءِ وَفِي غَيْرِهِمْ
وَاحِدٌ، فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : يَا غِلَامُ صُبَّ مِنْ شَرَابِهِمْ فِي الْقَدَحِ، فَصَبَّ لَهُ فَشَرِبَهُ
وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا شَرِبْنَا فِي مَنَازِلِنَا إِلَّا هَذَا، فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : خَلَّوْا عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ
حِينَ أَنْصَرَفُوا : شَرِبْتَ الْخَمْرَ ! فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَيَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَشْرَبْهَا قَطُّ فِي سِرٍّ
وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُفْضَحَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ بِمَحْضَرِي .

وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا قَالَ : مَدَحَ شَاعِرٌ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ : احْتَكِمْ، وَظَنَنَّ
أَنْ هَمَّتْهُ قَصِيدَةٌ، فَقَالَ : أَلْفَ نَاقَةٍ، فَوَجَّهَ الْحَسَنُ وَلَمْ يُمْكِنْهُ، وَكَرِهَ أَنْ يُفْضَحَ
وَقَالَ : يَا هَذَا إِنْ بَلَدَنَا لَيْسَتْ بِلَادُ إِبْلِ، وَلَكِنْ مَا قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبْلٌ فِعْزَى * كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصَى^(٥)

قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِالْأَفْ شَاةً، فَأَلَقَ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ شَاةٍ دِينَارًا .

(١) فِي هَامِشِ النُّسخَةِ الْفَتْوْغَرَاْفِيَّةِ : « الْمَرِيَسُ تَمْرُوزِيَّةٌ » ، وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّهُ التَّمْرُ الْمَرْوُوسُ أَوْ اللَّبَنُ .

(٢) بَرَقَ الطَّلَامُ بَزَيْتٍ أَوْ سَمْنٍ : جَعَلَ فِيهِ مِنْهُ قَلِيلًا . قَامُوسٌ .

(٣) هَكَذَا بِالنُّسخِ الَّتِي بَايَدِنَا ، وَظَاهِرُ الْكَلَامِ يَتَوَقَّفُ عَلَى "لَا" النَّافِيَةِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ بِمِصْرَى وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) فِي الْأَصْلِ : عِصَى . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الدِّيَوَانِ وَالْأَخْفَافِ .

قال : وقدم زائر على أبي دُلَيْف فأمر له بألف دينار وكُسُوة ثم قال - ويقال إن الشعر لعبد الله بن طاهر -

أُعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ رَنَا * قُلًّا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِيلِ
نَحْذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ * شَيْئًا، وَنَحْنُ كَأَنَّنَا لَمْ نَفْعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الْفَتِيَانِ مِنْ فَضْلِ مَالٍ * إِنَّمَا الْجُودُ لِلْقِلِّ الْمَوَاسِي

وقال دَعِيلُ فِي نَحْوِهِ

لئن كُنْتَ لَا تُؤَلِّي يَدًا دُونَ إِمْرَةٍ * فَلَسْتَ بِمُؤَلٍّ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَيُّ إِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مَلِيهِ ! * وَأَيُّ بُخِيلٍ لَمْ يُبَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ !
وليس النقي المعطى على اليسر وحده * ولكنه المعطى على العسر واليسر

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعى القاسم ليقسم ، فلما مَدَّ الحبل قال له عبد الله : أقيم المِطْمَرُ ، يعني الحبل الذي يَدُّ . فقال له عبيد الله : يا أُنْحَى ، الدارُ دارك لا يُمَدُّ والله فيها اليوم مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالسَّخَاءَ وَالْجَمَالَ فليأت دار العباس ، كان عبدُ الله أعلم النَّاسِ ، وعبيدُ الله أَسْحَى النَّاسِ ، والفضلُ أَجْمَلُ النَّاسِ .

باع عبدُ الله بنُ عتبةَ أرضًا بثمانين ألفًا ، ف قيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا المال ذُخْرًا ! فقال : أنا أجعلُ هذا المالَ ذخرًا لي عند الله ، وأجعلُ الله ذخرًا لولدي ، وقسمَ المالَ .

ويقال : إنَّ أَوَّلَ مَا عُرِفَ بِهِ سُودْدُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِي أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ طُرُقِ دِمَشْقَ وَهُوَ غَلَامٌ فَارُطًا فَرَسَهُ صَبِيًّا فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَتَحَرَّكُ أَمَرَ غَلَامَهُ

٥

١٠

١٥

٢٠

خمله، ثم انتهى به إلى أول مجلس مرّ به فقال : إن حدث بهذا الغلام حدث الموت فانا صاحبه، أوطأته فرسى ولم أعلم .

قال عدي بن حاتم لابن له حديث : قُمْ بِالْبَابِ فامنع مَنْ لَا تَعْرِفُ وَأُذْنُ لِمَنْ تَعْرِفُ، فقال : لا والله، لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع قوم من الطعام .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف بني زياد العبيسيين ضيف، فلم يشعروا إلا وقد احتضن أمهم من خلفها، فرفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال : لا يضار الليلة عائد أتي، إنه عاذ بحقوقها .

المدائني قال : أحدث رجل في الصلاة خلف عمر بن الخطاب، فلما سلم عمر قال : أعزّم على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى، فلم يقم أحد، فقال جرير ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين أعزّم على نفسك وعلينا أن نتوضأ ثم نعيد الصلاة، فاقمنا نحن فتصير لنا نافلة، وأما صاحبنا فيقضي صلاته، فقال عمر : رحمك الله، إن كنت لشريفا في الجاهلية فقيها في الإسلام .

كان عبد الله بن جُدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادن مني، فإذا دانمته لطمه ثم قال : اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس الرقيات — حين غرّ بادة قريش —

والذي إن أشار نحوك لطمًا * تبسّع اللطم نائل وعطاء

وآبن جُدعان هو القائل

إني وإن لم ينل مالي مدى خلقي * وهاب ما ملكت كفى من المال
لا أحبسُ المالَ إلا ريثَ أتلفه * ولا تُغيّرني حالٌ عن الحال

الهيثم عن حماد الراوية عن مشايخ طي قالوا : كانت عنبه بنت عفيف أم حاتم
لا تُلَيِّقُ شَيْئاً سَخَاءً وَجوداً، فمنعها إخوانها من ذلك فأبت، وكانت مُوسرةً فحبسوها
في بيت سنةً يُطْعِمُونَهَا قُوَّتَهَا رَجَاءً أَنْ تَكُفَّ، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد
أقصرت ودفنوها إليها صرمة^(٣)، فأتتها امرأة من هوازن فسألها فأعطتها الصرمة وقالت :
والله لقد مسنى من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلاً شيئاً، وقالت

لعمري لقد ما عَضَنِي الْجُوعُ عَضَّةً * فَأَلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعاً
فَقُولَا لِهَذَا أَلَّا نَعْنِي أَلَّا نَأْكُلَ * فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصَابِعَا
[فإذا عساكم أن تقولوا لأختكم * سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً]
وَلَا مَا تَرَوْنَ الدَّهْرَ إِلَّا طَبِيعَةً * فَكَيْفَ بَتَرَكِي يَا بِنْتُ أُمِّ الطَّبَائِعَا

١٠. ابن الكلبي عن أبيه عن رجال طي قالوا : كان حاتم جواداً شاعراً، وكان حينما
نَزَلَ عِزْرَ مَتْلُهُ، وكان ظَفِيراً إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ، وَإِذَا غَنِمَ أَتَّهَبَ، وَإِذَا سُئِلَ وَهَبَ،
وَإِذَا ضَرَبَ بِالْقِدَاحِ سَبَقَ، وَإِذَا أَسْرَأُ طَلَّقَ، وكان أقسم بالله : لا يَقْتُلُ واحداً أمه .

(١) كذا بالنسختين بعين مهمله ونون وباء موحدة بعدها . ويوافقهما في الشعر والشعراء للزلف وعلق
عليه ناشره بأنه يروى «عنبه» و«غنية» أنظر نسخة طبعة أوربا ص ١٢٣ و ١٢٤ . وفي الأغاني طبع بولاق
ج ١٦ ص ٩٧ «عنبه» . وكذا في شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه في رواية الميداني «غنية» . أنظر
نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تُلَيِّقُ : لا تُمْسِكُ .

(٣) القطعة من الأبل واختلف في عددها من العشرة إلى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغاني وشعراء النصرانية .

٢٠ (٥) كذا بالنسختين . وفي الأغاني وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ، وفي هامش نسخة
الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو أليقظان قال : أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أذينة^(١) [أخا] أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سأل قال : اكتب عليّ بمسألتك سبيلاً إلى أيام يسرى .

باع أعرابي ناقه له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ، ثم قال

وقد تزعج الحاجات يا أتم معمر * كرائم من رب بين ضنين

فقال له مالك : خذ ناقك وقد سوغتك الثمن . اشترى عبيد الله بن أبي بكرة جارية نفيسة فطلبت دابة فحمل عليها فلم توجد ، فجاء رجل بدابة فحملها ، فقال له عبيد الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبي بكرة دار الصفاق من مقاتل بن مسمع نسيئة ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه ، فراه عبيد الله فقال : مالك ؟ قال : حبسني ابنك . قال : يم ؟ قال : بمن دار الصفاق ، قال : يا نابت أما وجدت لغرمائك محبسا إلا داري ، إدفع إليه صكّه وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف ؟ فقال : منازل الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدره ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما كبر عدي بن حاتم آذاه برد الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالنسخين الألمانية والفرنغرافية وهو محذوف عن "أذينة" ، وعروة بن أذينة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أوروبا المجلد الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوروبا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ .
(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهوا من الناسخ لأن المكنى بأبي بلال إنما هو أخوه مرداس بن أذينة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا في ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لِحَيٍّ فَهَنَسَتِ الْأَرْضُ نَحْذِيهِ بِجَمْعِ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي ثَعْلَ ، إِنِّي لَسْتُ بِمُخِيرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَنَفَى عَنْكُمْ الْعَارَ
 فَأَصْبَحَ الطَّائِيُّ إِذَا فَعَلَ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ حَيٍّ لَا يُمَحِّدُونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعَذِّرُونَ
 عَلَى الْبُخْلِ ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَذَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَأَذْنُوا لِي فِي وِطَاءٍ فَوَاللَّهِ
 مَا أُرِيدُهُ نَخْرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طَنْفِيسَةً وَقَعِدَ
 حَوْلَهُ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذِلَّ فِي عِرْضِهِ وَيَتَخَدَّعَ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسُدَ شَرِيفًا وَلَا يَحْقِرَ
 وَضِعًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ غَدَوْا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضِعْ الطَّنْفِيسَةَ
 وَالْبَيْسَ التَّاجَ ، فَبَلَغَ ابْنَ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ
 حَتَّى أَتَيْتَكَ بِمَالٍ فَتَمْدَحَنِي عَلَى حَسَبِهِ ، لِي أَلْفُ ضَائِنَةٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَعْيَدٍ^(١)
 وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ

تَيْحَنُ قُلُوصِي فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا * تُلَاقِي الرَّبِيعَ فِي دِيَارِ بَنِي ثَعْلَ
 وَأَبْنَى الْأَيَالِي مِنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ * حُسَامًا كَلُونِ الْمَلِخَ سَلٍّ مِنْ الْخِلَالِ^(٢)
 أَبُوكَ جَوَادٌ مَا يُشْقَى غُبَارُهُ * وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتَ تُعَذِّرُ بِالْعِلَلِ
 فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا فَمِثْلُكُمْ أَتَقْبَى * وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَمِثْلُكُمْ فَعَلْ

فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَشَاطِرُهُ مَالَهُ .

جاء رجل الى معن فاستحملة عيرا فقال معن : يا غلام أعطه عيرا وبغلا ويرذونا وفرسا
 وبعيرا وجارية ، ولو عرفتُ مركوبا غير هذا لأعطيتك . وكان يقال : حدث عن
 البحر ولا حرج وعن بنى إسرائيل ولا حرج وعن معن ولا حرج . قال رجل من كلب
 للحكم بن عوانة وهو على السند : إنما أنت عبد ، فقال الحكم : والله لأعطينك عطية

(١) في العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ زيادة « وثلاث إماء » .

(٢) رواية العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ « كنصل السيف » .

لا يُعطِيها العبدُ فأعطاه مائة رأس من السَّبِي. وقرأت في بعض كتب العجم أن جامات كسرى التي كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى ينظر إليه، فلما رُفعت الموائد آتَقَدَ الطَّبَّاحُ الحَمامَ فرجع يطلبها، فقال له كسرى: لا تَتَعَنَّ فقد أخذها مَنْ لا يردُّها ورآه مَنْ لا يُفْشِي عليه، ثم دخل عليه الرجل بعد ذلك وقد حلَّى سيفه ومنطقته ذهبا، فقال له كسرى بالفارسية: يا فلان هذا، يعنى السيف، مِنْ ذاك قال: نعم وهذا، وأشار الى منطقته. قالوا: لم يكن لخالد بن برمك أخٌ إلا بنى له دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعِيشُهُمْ أبدا ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جاريةٍ هو وهبها له.

بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع دارا له لدين ركبته وكان يجلس في ظل داره، فقال: ما قمتُ إِذَا بِحُرْمَةِ ظِلِّ داره إن باعها مُتَمِدِّما وِثَّ واجداً، فحمل اليه ثمن الدار وقال: لا تَبْسُغْ. قال أبو اليقظان: باع نبيك بن مالك بن معاوية إبله وأنطلق بثمنها الى منى بفعل يَنْهِيهِ، والناس يقولون: مجنون، فقال: لستُ بِمَجْنُونٍ ولكنِّي سَمِعْتُ أَنَّهُمْ مَالِي إِذَا عَزَّ الفتح. قال: وأتى عبد الله بن جعفر قَهْرَمَانُهُ بحسابه فكان في أوله حبلٌ بخمسين درهما، فقال عبد الله: لقد غلبت الحبال، فقال القَهْرَمَانُ: إنه أبرق، فقال عبد الله: إن كان أبرق فأنا أُجِيزُهُ، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة. كان أبو سفيان إذا نزل به جار زال له: يا هذا، إنك قد اخترتني جارا بخنايتك يدك على دونك، وإن جنت عليك يدناحتكم على حكم الصبي على أهله. وقال بعض الشعراء: يُنْقِى على قوم بحسن الجوار—
 هُمُ خُلَطُونِي بِالنَّفْسِ وَدَافَعُوا * وَرَأَى بَرْكِي ذِي مَنَازِلٍ مَدْفَعٍ
 وَقَالُوا تَعْلَمُ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبَّ * يَعْدُكَ وَإِنْ تُحْبَسَ يَرُدُّكَ وَيَشْفَعُ

وروى عبد الله بن بكر السَّمَمِيُّ عن حاتم بن أبي صَغِيرَةَ عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام وعِكْرِمَةَ بن أبي جَهْلٍ وعِيَّاش بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليرموك

حتى أَتَبَتُوا، فَدَنَا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بِمَاءٍ يَشْرِبُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عِكْرَمَةُ فَقَالَ: ادْفَعْهُ إِلَى عِكْرَمَةَ
فَنَظَرَ إِلَيْهِ عِيَّاشٌ فَقَالَ عِكْرَمَةُ: ادْفَعْهُ إِلَى عِيَّاشٍ، فَمَا وَصَلَ إِلَى عِيَّاشٍ حَتَّى مَاتَ وَلَا عَادَ
إِلَيْهِمْ حَتَّى مَاتُوا، فَسُمِّيَ هَذَا حَدِيثَ الْكَرَامِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي مَوْضُوعٌ لِأَنَّ أَهْلَ
السَّيْرِ يَذْكُرُونَ أَنَّ عِكْرَمَةَ قُتِلَ يَوْمَ أَجْنَادِينَ وَعِيَّاشٌ مَاتَ بِمَكَّةَ، وَالْحَارِثُ مَاتَ
بِالشَّامِ فِي طَاعُونِ عَمَّوَّاسٍ ^(١).

أَعْطَى رَجُلٌ أَمْرَأَةً سَأَلَتْهُ مَا لَا عَظِيمًا، فَلَامَوْهُ وَقَالُوا: إِنَّهَا لَا تَعْرِفُكَ وَإِنَّمَا كَانَ
يَرْضِيهَا الْيَسِيرُ، فَقَالَ: إِنْ كَانَتْ تَرْضَى بِالْيَسِيرِ فَاتَى لَا أَرْضَى إِلَّا بِالْكَثِيرِ وَإِنْ كَانَتْ
لَا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي.

قال بعض الشعراء

وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَبْقَى الدَّمُ رَبُّهُ * وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُبَيِّنُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّأُ إِلَى أُمُورٍ * وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ حَالِي ^(٣)

فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِخَيْلٍ * وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي ^(٤)

وقال أيضا

وَلَا أَقُولُ نَعَمْ يَوْمًا فَأَتَيْسَعُهَا * مَنَعًا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

وَلَا أَوْثَمْتُ عَلَى سِرِّ فُجِحْتُ بِهِ * وَلَا مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ يَدِي

وقال كعب بن سعد الغنوي

وَذِي نَدَبٍ دَائِمِي الْأُظْلَى قَسَمْتُه ^(٥) * مَحَافِظَةً بَنِي وَبَيْنَ زَمِيلِي

(١) هكذا بفتح أزله وسكون ثانيه كما في الناج وكما نقله دوه عن الرض الأنف للمهمل ، ثم نقل

أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البكري في معجمه ضبطها كذلك . (٢) هو عبد الله بن جعفر كما

في القندالفرید ، ج ١ ص ١١٢ (٣) الذي في ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزي «مالي» .

(٤) في الأصول «ليس يبله» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح

التبريزي ج ٣ ص ١٠٢ . (٥) الأظلى بطن الأصبع من الإنسان ، ومن الإبل باطن المنسم .

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تَجَمُّلاً * لِأَوْثَرِ فِي زَادِي عَلَى أَكْبَلِي
وما أنا للشيء الذي ليس نافعِي * وَيَغْضَبُ مِنْهُ صَاحِبِي بِقَوْلِ

وقال زهير

وَأَبْيَضَ فَيَاضَ يَدَاهُ غَمَامَةٌ * عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِبُّ نَوَافِلُهُ
غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ فَوَجَدْتُهُ * قُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
فَأَعْرَضَنِي مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَزَّيْ * جُمُوعٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ قَاعِلُهُ
أَجْبَى ثِقَةٍ لَا تُدْهِبُ الْخُمْرُ مَالَهُ * وَلَكِنَّهُ قَدْ يُدْهِبُ الْمَالُ نَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا * كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

المداثني قال : أضلَّ فيروز بن حصين سوطه يوماً ، فأعطاه رجلٌ سوطاً فأمر له
بالف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : صاحبُ السوط فأمر له بالف
درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : صاحبُ السوط ، قال : أعطوه
ألف درهم ومائة سوطٍ فأنقطع عنه . قال الشاعر

إِنِّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ نَحَدْتُ * نِيرَانُ قَوْمِي فَشَبَّتْ فِيهِمْ النَّارُ
وَمِنْ تَكْرِمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ * لَا يَحْسَبُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارُ

١٥

وقال آخر

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًّا * بَعِيدًا قِصَى الدَّارِ فِي زَمَنِ مَحَلِّ
فَمَا زَالَ بِي الْإِطَافُ هُمْ وَأَفْتَقَادُهُمْ * وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

وقال آخر

إِذَا كَانَ لِي شَيْئَانِ يَا أُمَّ مَالِكٍ * فَإِنْ لَجَّارِي مِنْهُمَا مَا تَخَيَّرَا

(١) في الأصل «لا يذهب الحمد» وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة . ٢٠

وقال عمرو بن الأَهم

ذَرِبْنِي فَإِنَّ الشُّحَّ ^(١) يَا أُمَّ هَيْمٍ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
ذَرِبْنِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ ^(٢) شَفِيقُ
وَمُسْتَمْنَحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارَى الشَّاءِ طُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَبًا * فَهَذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ
أَصَفْتُ فَلَمْ أُخْشِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَحْرِمَهُ إِنِّ الْفِئَاءَ مَضِيقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ بَاهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطالب ثوبٌ لِعَارِي بنِ هاشم ، وَجَفَنَةٌ لِحَارِهِ ^(٤) وَمِقْطَرَةٌ لِحَاهِلِهِمْ . قال بكر بن النَّطَّاح

وَأَوْ خَذَلْتُ أَمْوَالَهُ جَوْدَ كَفِّهِ * لِقَاسَمٍ مَنْ يَرْجُوهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَحْدَثْ فِي الْعُمُرِ قِسْمًا لَزَائِرٍ * بِلِحَادِهِ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ

وقال الفرزدق

إِنَّ الْمَهَالِبَةَ الْكَرَامَ تَحْمَلُوا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوَى الْمَكْرُوهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كان يقال : الشَّرَفُ فِي الشَّرَفِ . قال عامر بن الطفيل

إِذَا نَزَاتِ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلَمَّةٌ * تَسُوقُ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا

(١) في الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للبريزي ، ج ٤ ص ٩٤

(٢) في الأصل : حُطِّي بِالْفَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للبريزي ، ج ٤ ص ٩٤

وتاج العروس في مادة «حط» ويقال كما في أساس البلاغة : «حط في دواء وانحط فيه» أي اندفع فيه

والمراد منه في البيت مساعدته على الجود . (٣) الذي في شرح ديوان الحماسة للبريزي ج ٤ ص ٩٤

«الزاكي» . (٤) هي خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يُدْخَلُ فيها أرجل المحبوسين .

دَلَفْنَا لها حتى تُقَوِّمَ مَيْلَهَا * ولم نَهْدَ عنها بالأسِنَّةِ أو تَهْدَا
وكم مُظْهِرٍ بَغْضَاءَنَا وَدَّ أَنْسَا * إذا ما التَقِينَا كَانَ أَخْفَى الذي أَبْدَى
مَطَاعِيمُ في الآلَاءِ وَمَطَاعِينُ في الوَغَى * شَمَائِلُنَا تَنْكِ وَأَيْمُنُنَا تَنْدَى

وقال حاتم طي^(١)

أَكْفُ يَدِي مَنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ * إذا ما مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعَا^(١)
وَإِنِّي لَا سَتَحِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى * مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

وقال جابر بن حبان^(٢)

فَإِنْ يَقْتَسِمَ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَتِي * فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَعْلِي^(٣)
وَمَا وَجَدَ الْأَصْيَافُ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ * لَهْمُ عِنْدَ عِلَالِ النَّفُوسِ أَبَا مِثْلِي^(٤)
أَهَيْنُ لَهُمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أَتْنِي * سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِنْ قَبْلِ

كان سعيد بن عمرو مؤاخيا ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر بن عبدالعزيز يزيد
ومنع من الدخول عليه، أتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين، لي على يزيد خمسون ألف
درهم وقد حلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه؟ فأذن له فدخل عليه
فسر به يزيد، وقال: كيف وصلت إلي، فأخبره، فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهي
ملك فامتنع سعيد خلف يزيد ليقبضنها، فقال عدي بن الرقاع

(١) كذا في الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزي ج ٤ ص ١١٨

أَكْفُ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ التَّمَسُّهَا * أَكْفُ صَحَابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا

(٢) هكذا في الأصول «حبان» بالياء الموحدة . والذي في ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزي

ج ٤ ص ١١٦ «حبان» بالياء المثناة . (٣) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٦

(٤) الذي في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٧ «عِلَالَتِ الزَّمَانِ» .

لم أرحبوسا من الناس واحدا * حبا زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازة * بنمسين ألفا عجّلت لسعيد

وقال بعض الشعراء

وإني لحلال في الحق، أتقى * إذا نزل الأضياف أن أتجهما
إذا لم تدد ألبانها عن لحومها * حلبنا لهم منها بأسيا فنا دما

دخل شاعر على المهدي فامتدحه ، فأمر له بمال فلما قبضه فزقه على من حضر وقال
لمست بكفى كفه أبتغي الغنى * وما خلت أن الجود من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعداني فبددت ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال ، أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مالٍ وقد تأدّب وقال الشعرَ
وعرف شيئا من العلوم وكان له ولدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفزقه على
أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثا فعُوتِبَ على ذلك فقال

رأيتُ مالى أبرّ من ولدي * فاليوم لا نخلة ولا صدقة
من كان منهم لها فأبعده الله * ومن كان صالحا رزقه

وحدثني الأخفش بهذا الخبر عن المبرد عن الرياشي والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهي المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع

فهرس

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

صفحة	
(ط)	مقدمة الكتاب

الجزء الأول - كتاب السلطان

١	عمل السلطان وسيرته وسياسته
١٤	اختيار العمال
١٩	باب صحة السلطان وأدائها وتغير السلطان وتلقونه
٢٧	المشاورة والرأى
٣٤	الإصابة بالظن والرأى
٣٧	اتباع الهوى
٣٨	السروكمانه وإعلانه
٤٢	الكتاب والكتابة
٥٢	خانات العمال
٦٠	القضاء

صفحة	
٦٨	في الشهادات
٧٢	باب الأحكام
٧٤	الظلم
٧٩	قولهم في الحبس
٨٢	المجباب
٩٢	التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه
٩٢	الخفوت في طاعته
٩٣	التلطف في مدحه
٩٨	التلطف في مسئلة العفو

الجزء الثاني - كتاب الحرب

١٠٧	آداب الحرب ومكايدها
١٢٢	الأوقات التي تختار للسفر والحرب
١٢٣	الدعاء عند اللقاء
١٢٤	الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه
١٢٧	ذكر الحرب
١٢٨	في العدة والسلاح
١٣٢	آداب الفروسة
١٣٤	المسير في الغزو والسفر

صفحة	
١٤٢	التفويض
١٤٤	في الطيرة والفأل
١٥١	مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها
١٥٣	باب في الخيل
١٦٠	باب البغال والحمر
١٦١	باب في الإبل
١٦٣	أخبار الجبناء
١٧٢	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
١٩٤	باب الخيل في الحروب وغيرها
٢٠٤	باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين
٢١٣	ذكر الأمصار

الجزء الثالث - كتاب السؤدد

٢٢٣	مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء
٢٢٧	الكمال والتناهي في السؤدد
٢٢٩	السيادة والكمال في الحداثة
٢٣١	الهمة والخطار بالنفس
٢٣٩	الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب
٢٤٦	ذم الغنى ومدح الفقر

صفحة	
٢٤٩	التجارة والبيع والشراء
٢٥٤	الدين
٢٥٨	اختلاف المهم والشهوات والأطافير
٢٦٤	التواضع
٢٦٩	باب الكبر والعجب
٢٧٥	باب مدح الرجل نفسه وغيره
٢٧٦	قول الممدوح عند المدحة
٢٧٨	باب الحياء
٢٧٩	باب العقل
٢٨٢	باب الحلم والغضب
٢٩١	باب العز والذل والهيبة
٢٩٥	باب المروءة
٢٩٦	باب اللباس
٣٠٢	التختم
٣٠٣	باب الطيب
٣٠٥	باب المجالس والجلساء والمحادثة
٣٠٩	باب التقلاء
٣١١	باب البناء والمنازل

فهرس المجلد الأول

(ز)

صفحة

باب المزاح والرخص فيه	٣١٥
التوسط في الأشياء وما يكره من التقصير فيها والغلو (باب التوسط في الدين)	٣٢٥
باب التوسط في المداراة والحلم	٣٢٨
باب التوسط في العقل والرأى	٣٢٩
باب ذم فضل الأدب والقول	٣٣٠
باب التوسط في الحدة	٣٣١
باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء	٣٣١
أفعال من أفعال السادة والأشراف	٣٣٢